

جمعية التوفيق القبطية

لجنة النسخ والنشر

تاريخ الأقباط

الجزء الأول

تأليف

الأستاذ زكي شنودة

المحامى

الطبعة الأولى

١٩٦٢

جمعية التوفيق القبطية
لجنة النسخ والنشر

تاريخ الأقباط

الجزء الأول

تأليف
الأستاذ زكي شنودة
المحامى

الطبعة الأولى
١٩٦٢

مطبعة
فايضة محفوظ
للسيد الربيعي
بجدة

كلمة

جمعية التوفيق القبطية

بالقاهرة

لما كانت رسالة الجمعية منذ إنشائها رسالة إصلاحية وثقافية ، فضلا عن كونها رسالة خيرية ، فقد أحست الجمعية أن الثقافة القبطية لم تحظ بالعناية الواجبة لها ، كما أحست أن أكثر الشباب القبطي لم يعد على علم بماضى آباءه وأجداده . ذلك لأنه لا يجد من الكتب والمؤلفات القبطية ما يبصره بتاريخهم ونشأتهم ، وأصل لغتهم ، وحقيقة عقيدتهم ، وتقاليدهم كنيستهم ، وما بذلوا في سبيلها من تضحيات أصبحت مضرب الأمثال .

إزاء ذلك الإحساس رأت الجمعية من واجبها الذى التزمت به فى الإصلاح والثقافة أن تكون من أعضاء مجلس إدارتها لجنة للتاريخ والنشر ، وأن تضم هذه اللجنة إلى عضويتها المهتمين من الأقباط بهذه الثقافة التاريخية ، وأن تتلقى من المؤرخين ما هو جدير بالنشر فى هذا المجال .

ولما كان للأقباط تاريخ مجيد ، وقد وصلوا إلى القمة فى عهودهم الذهبية السالفة ، وكانوا مصدر إشعاع لكثير من الأمم والشعوب ، وكتب شهداؤهم تاريخهم بدمائهم ، وسجلوا بطولات خالدة فى الروحانية والثبات على المبدأ والتضحية فى سبيل ذلك بكل مرتخص وثمان .

ولما كانت لجنة التاريخ والنشر بالجمعية قد تلقت من الباحث المدقق الأستاذ زكى شنوده المحامى الجزء الأول من كتابه « تاريخ الأقباط » ،

يتكلم فيه عن أصل الأقباط، ومنشأ لغتهم، وكيفية وصول العقيدة المسيحية إليهم، وما لاقته من استجابة في قلوبهم، وما بذلوا من تضحيات في سبيل التمسك بأيمانهم، فقد رحبت الجمعية بهذا الكتاب الذي رأت فيه المنهل العذب لترتوى به نفوس الشباب المتعطش إلى معرفة ماضى آبائه وأجداده .

وإن الثقافة التي يتيحها هذا الجزء الأول وما يليه من أجزاء وما يتفضل به الباحثون في هذا المضمار، ستكون حجر الزاوية في نهضة طيبة تتفق وثورة الكرامة والشعور بالقومية العزيزة الجانب، التي أصبحت شعار ثورتنا وأساس نهضتنا .

وترجو الجمعية أن تتاح لها الفرصة لإصدار سلسلة من الكتب المتنوعة في الروح والأدب والاجتماع وكل نواحي الثقافة القبطية . وندعو الله أن يمنح الجمعية التوفيق في هذا المضمار الجديد .

تقديم

المكتبة القبطية تحتاج إلى سلسلة متصلة من تاريخ مفصل لكنيستنا المجيدة .
والتاريخ هو الصورة الصادقة للماضى البعيد والقريب . وشبابنا يتطلب في
شوق أن يتعرف على الأحداث التي مرت بالشعب ، في ظروف مختلفة ، بألوان
متعددة ، طوال أجيال كثيرة .

ويبدو لي أنه كلما تمكن الشعب من الإلمام بما احتوتة الأجيال من خير
وشر ، وحلو ومر - كلما استطاع أن يكون حذراً من النزوع الى ما كانت
عاقبته وخيمة ، وإلى التطلع لكل ما كان سبب بعث لروح معنوية ، في حياة
قوية ، ظهرت في مثل حية .

وحياة البطولة التي امتلأت بها مصادر التاريخ الوطنية والأجنبية تؤكد
في يقين مدى الصلابة في الحق ، والذود عن المبدأ ، والصمود في العقيدة
والتسامي في الأخلاق ، والتأصل في الروحانية ، والإمعان في البذل ،
والذوبان في الخدمة : تلك التي انصف بها جدودنا وآباؤنا الذين سجلوا
على توالي الأجيال بطولات أخرى أن تكون باعثة لجيلنا الحاضر ، وللأجيال
المتعاقبة ، عند ما نتعرفها على حقيقتها ، والأهداف التي كانت تترسمها .

من أجل ذلك كنت شغوفاً أن أقرأ كتاباً في التاريخ لكاتب معاصر ،
يكون سهل المأخذ ، حسن الأسلوب ، متوخياً الدقة في التعبير ، والصدق
في التصوير . ولذلك تلقت كتاب الصديق الأستاذ زكي شنوده المحامي

فى تاريخ الأقباط بشغف ولذة ، ورجوت أن يسترسل فى إنجاز الأجزاء المتتالية ، لكى يضم الى المكتبة القبطية كسبا جديداً ، كما تمنيت أن ينسج على هذا المنوال الكثيرون من المخلصين لكنيستهم العريقة الراسخة . وفى التاريخ فروع متعددة تحتاج الى المزيد فى إبرازها .

ولقد أحسنت جمعية التوفيق القبطية صنعاً فى أن تصدر هذا الكتاب . وعندى أنه من أقوى وسائل الإصلاح أن تصدر كتب قيمة فى موضوعات متنوعة فى الروح والأدب والاجتماع والأخلاق .

أدعو الله من كل قلبى أن يجعل هذا الكتاب مصدراً لإشعاع للكثيرين ، وبركة لقارئيه وسامعيه .

عياد عياد

مقدمة المؤلف

حين لمست الحاجة إلى كتاب يضم تاريخ الأقباط ، عقدت العزم على إصدار هذا الكتاب، ضارعاً إلى الله أن يمدني بما أحتاج إليه من قوة تعينني على السير في هذا الطريق الطويل المحفوف بالمتاعب والصعاب .

وتاريخ الأقباط خلال عشرين قرناً من الزمان ، تاريخ ضخم ، زاخر بالأحداث ، عامر بكل جليل وخطير ، تتلاطم في خضمه أجيال تلو أجيال من البطولات والأجساد ، وآيات تلو آيات من صور الإيمان والجهاد ، والتضحية والاستشهاد ، والصبر على المكاره الشديدة ، والتمسك بأهداب العقيدة حتى الرmq الأخير .

ومن ثم جعلت رسالتي وهدفي أن أجمع شتات هذا التاريخ بين دفقي كتاب واحد ، يليق بعظمته وجلاله ، على أن يضم سلسلة من الأجزاء ، يشتمل كل جزء منها على استعراض مرحلة من مراحل هذا التاريخ ، ووصف جيل كامل من أجياله .

بيد أنني رأيت قبل الخوض في هذا السرد المفصل المستفيض لتاريخ الأقباط أن أقدم هذا الجزء ليكون بمثابة المقدمة لتاريخ الأقباط ، وليكون في ذات الوقت بمثابة التعريف بالأقباط ، فتحدثت فيه عن « أصل الأقباط » وعن « لغة الأقباط » وعن « عقيدة الأقباط » ، وفي خلال ذلك رسمت صورة شاملة للتاريخ القبطي ، تبرز فيها ملامحه الأصيلة ، ووقائعه البارزة ، وشخصياته المتميزة ، بحيث يتاح لقارئ هذا الجزء وحده أن يخرج منه بفكرة كاملة عن الأقباط ، ونشأتهم ، وعقيدتهم ، وتقاليدهم كنيسةهم ، وما لاقوه خلال تاريخهم الطويل من صعاب ، وما ذاقوه من عذاب ، وما برهنوا عليه من قوة الإيمان ، وقوة الجنان ، وقوة الصبر أمام تصارييف الزمان .

هذا فضلاً عن أنى توخيت فى هذا الجزء الأول أن يكون مختصراً وافياً لتاريخ الأقباط ، بحيث يمكن من جهة أن ينتفع به الأجانب المذنبين يتطلعون إلى معرفة شىء عن هذه الأمة العريقة . وبحيث يمكن من الجهة الأخرى أن ينتفع به أبناء الأقباط أنفسهم ، فى معاهدتهم ومدارسهم .

وقد كان الفضل الأول فى ظهور هذا الكتاب ، للسادة الأجلاء ، رئيس وأعضاء جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة ، وإلى لجنة التاريخ والنشر بهذه الجمعية ، فقد كان تشجيعهم من أكبر الحوافز على المضى فى هذا المجهود . وقد كان ما تنطوى عليه صدورهم من غيرة وحماسة نحو تدوين التاريخ القبطى ، بمثابة الحركة الدافعة ، والسند القوى . لذلك فأنى أتقدم اليهم جميعاً بالشكر الجزيل ، راجياً من الله أن يجزىهم خير الجزاء . كما أشكر أصحاب مؤسسة فايقه محفوظ على مالقيناه لديهم من معاونة فى طبع هذا الكتاب .

وأسأل الله أن يوفقنى إلى المضى فى إصدار الأجزاء التالية ، وأن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير .

زكى شنوده

الباب الأول

أصل الأقباط

من هم الأقباط ؟

أقباط جمع قبطى . وقبطى نسبة إلى قبط . فمن أين جاءت هذه التسمية ؟
اختلفت الآراء فى ذلك :

١ - فقال البعض - وقولهم هو الراجح - أن الأشوريين عرفوا مصر باسم « هيكوبتاه » وهو الاسم الذى كان يطلقه المصريون على عاصمة ملكهم « منف » ، ومعناه « بيت روح بتاح » . فلما سمع اليونان هذا الاسم نطقوه حسب لغتهم : « إيجيبتوس » . وقد ورد هذا الاسم عدة مرات فى شعر هوميروس . فاذا حذفنا علامة الرفع اليونانية فى آخر الكلمة ، وهى « أوس » نتجت لنا كلمة « إيجيبت » ، المستعملة فى اللغات الأوربية كناية عن مصر ، وهى مركبة من كلمتين هما « إى » بمعنى أرض أو دار ، و « جيب » أى قفط أو جفط كما ينطقها أهل الصعيد إلى اليوم ، فيكون معنى الكلمتين معاً أرض القبط أو دار القبط . إلا أن العرب ظنوا أن المقطع الأول - وهو « إى » - حرف تعريف أو حرف استهلال ، فحذفوه ، فخلصت لنا بعد ذلك كلمة « جيب » ، ثم حوروها إلى النطق العربى الأسهل ، فصارت « قبط » بمعنى مصر .

٢ - وقال البعض الآخر أن كلمة « قبط » مشتقة من إسم قفطاييم أحد أولاد مصراييم بن حام بن نوح الذى أتى بأولاده إلى مصر ، التى سميت بعد ذلك باسمه ، فلما كثر أولاده منح كلا منهم إقطاعية ، وكان قفطاييم من أكبر أولاده فمنحه قفط وما فوقها إلى أسوان ، وما دونها إلى الأشمونين ، بمديرية أسيوط . وقد سميت « قفط » باسمه . ولا يستبعد بعض المؤرخين هذا الرأى الذى أورده المقرئى ، قائلين أن سكان وادى النيل كانوا قبل انضمامهم فى أمة واحدة عدة قبائل كقبائل العرب ، فيحتمل أن تكون قد وجدت من بينها قبيلة تسمى قفط ، نسبة إلى قفطاييم بن مصراييم ، ثم أطلق الإسم على الجميع ، ولا سيما أن هذا الرأى موافق لما جاء بالسفر الأول من التوراة .

ويخلص لنا من ذلك - على أى حال - أن كلمة « قبط » معناها مصر . ولكن من أين جاءت كلمة « مصر » بدورها ؟ اختلفت الآراء فى ذلك كذلك :

١ - فقال البعض - وقولهم هو الراجح - أن أرض النيل كانت تعرف لدى شعوب البلاد السامية المجاورة لها باسم « مصر » فى الآشورية ، و « مصرين » فى الآرامية ، و « مصراييم » فى العبرانية ، وقد عرفها العرب باسم مصر . والمصر فى اللغات السامية معناه الحد . وقد أطلقت الشعوب السامية من آشوريين وآراميين وعبريين وعرب على البلاد المتاخمة لها إسم « مصر » ، كما سموا سكانها بالمصريين . ثم أطلقت كلمة « مصر » على القطر عامة .

٢ - وقال البعض الآخر أن كلمة « مصر » مشتقة من اسم مصراييم بن حام بن نوح الذى لجأ إلى وادى النيل واتخذة مقراً له ولأولاده عقب تبليبل الألسنة فى بابل وتفرق أولاد نوح على وجه الأرض كما جاء فى التوراة . ويقول بعض المؤرخين أن مصراييم هو ذاته مينا أول ملوك مصر . ولكنه قول لا دليل عليه .

٣ - وقال فريق ثالث أن كلمة مصر نشأت عن كلمة « صر » العبرانية

ومعناها الشدة ، وأن العبرانيين أطلقوها على هذه البلاد ، لما لاقوه فيها من شدة واستبداد .

أما اسم مصر في اللغة القبطية ، فهو « كيمي » ، أو « خيمي » ، أو « خيمي » ، وهي تسمية مشتقة من كلمة « كيم » التي معناها أسود ، نسبة إلى سواد طينة وادي النيل ، وإن كان البعض يذهب إلى أن « خيمي » ، نسبة إلى حام بن مصرايم .

والنتيجة أن قبطى نسبة إلى قبط ، وأن قبط معناها مصر . فالقبطى إذن هو المصرى ، وجمعها أقباط أى مصريون .

* * *

ولكن ما أصل الأقباط ، أو المصريين بتعبير آخر ؟

المصريون في الأصل شعب أبيض من جنس البحر الأبيض المتوسط ، وقد نزحوا إلى وادي النيل واستوطنوه بالتدريج ، ثم اختلطوا بشعوب مختلفة كان لكل منها أثره في تكوين عنصرهم الذي يجمع بين الساميين والهاميين ، ولذلك نجد اختلافاً بين العشائر التي استقرت في وادي النيل حتى منف شمالاً ، عن العشائر التي استوطنت الدلتا . إذ كان للأولين علاقات بالبلاد الحامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية ، على حين كان للآخرين علاقات بالبلاد الواقعة على طول شواطئ البحر الأبيض إلى الغرب . كما أن من المحقق أن الهكسوس الساميين غزوا مصر حوالي سنة ١٦٨٠ قبل الميلاد ، فمزجوا دم أبنائها بالدم السامى ، وإن كان من المحتمل أن يكون الدم السامى قد تسرب إليهم قبل ذلك التاريخ ، كما تسرب الدم الحامى إلى المصريين عن طريق الليبيين الذين هاجروا إلى الدلتا ، والنوبيين الذين هاجروا إلى الوادي في القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد . وقد كان

لاتصال المصريين بالإغريق والعرب أثر شديد في تكوين عنصرهم : فقد بدأ الإتصال بالإغريق في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وبدأ اتصالهم بالعرب من منتصف القرن السابع بعد الميلاد حتى اليوم.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الأقباط خليط من الجنس القوقازي والجنس الزنجي بنسب مختلفة ، ولكن دلت البحوث الحديثة على أن الأقباط شعب أبيض من شعوب البحر الأبيض المتوسط . وقد احتفظوا بميزات الجنس المصري القديم حتى اليوم ، ، إذ كان اختلاطهم بالأجناس المختلفة التي نزحت إلى مصر قليلا إلى درجة لم تؤثر عليهم ، حتى لقد تبين لعلماء الأجناس أن التشابه يكاد يكون تاماً بين الموميات المصرية القديمة وبين أقباط اليوم. وبذلك يمكن القول أن أقباط اليوم هم من ناحية الجنس ، سلالة مباشرة لقدماء المصريين .

الباب الثانى

لغة الأقباط

لغة الأقباط الأصلية ، هى اللغة القبطية . فما أصل هذه اللغة ، وكيف تطورت ، وكيف ازدهرت ، ثم كيف تدهورت واضمحلت ؟

أصل اللغة القبطية :

اللغة القبطية هى الصورة الأخيرة من تطور اللغة المصرية القديمة . واللغة المصرية القديمة هى لغة الفراعنة التى استعملوها منذ فجر تاريخهم - أى منذ حوالى ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد - وكانوا يكتبون لغتهم هذه بثلاثة أقلام ، هى : القلم الهير وغلينفى ، وكانوا يكتبون به على الأحجار والمعابد والمسلات . والقلم الهيراطيقى ، وكان خاصاً بالكهنة . والقلم الديموطيقى ، وكان يستخدمه العامة فى كتابة عقودهم وخطاباتهم ووثائقهم . وقد سادت الكتابة الديموطيقية منذ الأسرة الخامسة والعشرين ، واستمر استعمالها حتى القرن الرابع للميلاد .

ولما استولى الإسكندر الأكبر على مصر ، أصبحت اللغة اليونانية هى السائدة ، وبدأ المصريون يكتبون بها خطاباتهم ووثائقهم . ومن ثم قل استعمال الديموطيقية فى الكتابة ، وعمد البعض إلى كتابة اللغة المصرية

بحروف يونانية ، فكانت هذه هى اللغة القبطية ، التى استعملها المصريون فى العصر المسيحى ، وأصبحوا يتخاطبون بها ويكتبون بها خطاباتهم ويؤدون بها صلواتهم . وقد ازدهرت هذه اللغة بعد ذلك فى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد .

لهجات اللغة القبطية :

ولما كانت اللغة المصرية القديمة متعددة اللهجات ، فقد كان لذلك أثره فى تعدد لهجات اللغة القبطية ، التى هى آخر تطور لها . وهذه اللهجات هى :-

١ - اللهجة البحرية : وكانت تعرف سابقاً بالمفیه ، نسبة إلى منف . وكانت تستعمل فى الأسكندرية وما جاورها والدلتا ووادى النطرون . والراجح أنها كانت أول لهجة وضعت قواعد لكتابتها ، وأنها أقرب اللهجات فى تراكيبها ومفرداتها إلى اللغة الديموطيقية . وقد أصبحت هى اللهجة الرسمية للكنيسة القبطية منذ أن نقل البابا خريستوذولوس البطريكى فى اوائل القرن الحادى عشر من وادى النطرون إلى القاهرة التى كانت حينئذ عاصمة البلاد الجديدة .

٢ - اللهجة الصعيدية : وكانت تعرف سابقاً بالطيبة ، نسبة إلى طيبة . وقد نشأت بعد اللهجة البحرية مباشرة ، وأصبحت هى اللهجة الأدبية لمصر العليا والوسطى .

٣ - اللهجة الفيومية : وكانت تستعمل فى الفيوم . ويسمىها البعض باللهجة البشمورية .

٤ - اللهجة الأخميمية : وكانت تستعمل فى أخميم .

هذه هي اللهجات الأربع الرئيسية . وهناك لهجات أخرى فرعية منها :
اللهجة المنفية ، وكانت تستعمل في منطقة منف . واللهجة الأسيوطية ،
وكانت تستعمل من البهنسا إلى اسيوط . واللهجة البشمورية ، وكانت
تستعمل في شرق الدلتا .

آثار اللغة القبطية :

أستعملت اللغة القبطية منذ أواسط القرن الثالث الميلادي في تدوين
الرسائل والوثائق . وقد دون بها الكتاب المقدس بعد ترجمته من اليونانية
كما دونت بها العظات وكتب الطقوس وسير القديسين ، وغير ذلك من
المقطوعات الأدبية :

١ - ولا شك أن أهم آثار اللغة القبطية هو الكتاب المقدس، الذي ترجم
كاملا عن اليونانية إلى اللهجتين البحيرية والصعيدية ، كما ترجمت بعض
فصوله إلى اللهجتين الأخميمية والفيومية . وكان العهد القديم قد ترجم قبل
ذلك بمدينة الإسكندرية من العبرانية الى اليونانية ، بواسطة اثنين وسبعين
حبراً من أحرار اليهود بناءً على طلب بطليموس فيلادلفوس حوالي سنة
٢٨٢ قبل الميلاد . فلما عمت المسيحية البلاد ، بادرت نخبة من المصريين الذين
كانوا يجيدون اليونانية والقبطية إلى نقل الكتب المقدسة من اليونانية إلى
القبطية بلهجاتها المختلفة ، ليتسنى لكل الأقاليم الاستفادة منها . فلم ينقض
القرن الثالث للميلاد حتى كان الكتاب المقدس قد ترجم بأكمله الى اللهجات
القبطية الرئيسية . والمأثور عن العلامة بنطينوس رئيس المدرسة اللاهوتية
بالإسكندرية ، الذي عاش في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد ، أنه تمكن
من ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية الى القبطية بمساعدة تلاميذه ، وفي
مقدمتهم إكليمنضوس الأسكندري .

٢ — ومن أروع الآثار القبطية كذلك سير القديسين وأعمال الشهداء، وتراجم الرهبان الأوائل وقوانين الرهبنة وكتب الطقوس الكنسية. ومن أبدع الأمثلة على ذلك الثاوطوكيات - وهي منظومات دينية - ورسائل أنطونيوس أب الرهبنة، الذي عاش في القرن الثالث، وقد كتبها باللغة القبطية الصعيدية، وكتابات الأنبا شنودة ومواعظه.

٣ — ومن الآثار القبطية، كتب المعتقدات المذهبية المختلفة، كالأبوكريفا، وهي الأسفار غير المقبولة لدى كل الكنائس المسيحية، وكتب الأغنسطية التي تشتمل على تعاليم الأغنسطيين، وهم طائفة من الهرطقة المسيحيين، كانوا يعتقدون أن المعرفة وليس الإيمان هي الوسيلة الوحيدة للخلاص.

٤ — ومنها آثار تتعلق بالقوانين والعقود والبيع والميراث والضرائب، وآثار تتعلق بالفلك والسحر والطب، وآثار تتعلق بالتاريخ ومواقع البلدان.

٥ — ولم تقتصر الآثار القبطية على الناحية الدينية وإنما شملت مقطوعات من الأدب الديوى، ولاسيما في القرنين السابع والثامن، حيث بدأ الأقباط يتجهون إلى أدب القصة، والشعر، ومن ذلك قصة ثيودوسيوس وديونيسيوس التي ترجع إلى أوائل القرن الثامن، وقصة ملكة سبأ، وقصة الأسكندر، وقصة قمباز التي تتناول بلغة قبطية أصيلة غزو مصر على يد قمباز ملك الفرس. ومن ذلك القصيدة المكتوبة عن أرخيليدس وأمه سنكليتيكيس. ويلاحظ أن الأدب القبطى في عهده الأخير مكتوب كله بأسلوب شعرى تغلب عليه روح الوطنية وطابع الحكمة، ويبدو فيه التأثير

الواضح بأمثال سليمان الحكيم وسفر الجامعة ونشيد الأنشاد .

انهماء اللغة القبطية :

ازدهرت اللغة القبطية كما رأينا في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد . ثم ازدهرت مرة أخرى في القرن الثامن . إلا أنها بعد الفتح العربي ما لبثت أن اضمحلت شيئاً فشيئاً منذ القرن التاسع ، حتى إذا جاء القرن الثالث عشر ، كانت اللغة العربية قد دحرتها وسادت عليها . وفي هذا القرن وضع علماء كل القبط مؤلفاتهم اللاهوتية باللغة العربية .

إلا أن اللغة القبطية ظلت مع ذلك لغة التخاطب في الوجه القبلي حتى القرن السابع عشر . وفي القرن الثامن عشر بدأ الأقباط يكتبون اللغة العربية بحروف قبطية ، كما بدأوا يكتبون اللغة القبطية بحروف عربية . ثم في القرن التاسع عشر انتهى الكلام باللغة القبطية ، وإن كانت قد ظلت لغة الكنيسة حتى القرن العشرين . وفي هذا القرن ضعف استعمال اللغة القبطية حتى كلغة كنسية ، وقد تهاون الإكليروس في الصلاة بها .

وقد بذلت عدة محاولات لإنقاذ اللغة القبطية من الإندثار : فمنذ القرن الثالث عشر ، عمد بعض علماء الأقباط ، حين لمسوا خطر اللغة العربية على لغتهم ، إلى وضع قواعد مختصرة للغة القبطية ، ثم إلى تدوين مفرداتها حفظاً لها من الضياع . وقد انتفع العلماء الأجانب في العصور الأخيرة بهذه القواعد في دراسة اللغة القبطية ، وتعمقوا في ذلك لدرجة كبيرة ، حتى لقد وضعوا الكتب والمؤلفات عن هذه اللغة وتطورها ولهجاتها وقواعدها ، وصنفوا لها معاجم تماثل معاجم اللغات الحية الأخرى . وكان أول من عنى بذلك الأب اليسوعي أنناسيوس كيرشر ، الذي وضع مصنفات في قواعد اللغة القبطية ، وطبع كتاب « السلم الكبير » لأبن كبر . والدكتور كرام الذي وضع قاموساً وافياً لمفردات اللغة القبطية . ولدفيج ستيرن . وأدولف أرمان .

وجورج ستيندورف . ووالتر تيل . وأماديوس بيرون . وولهم سيجليرج .
وغيرهم من كبار العلماء الغربيين .

أما في مصر فإن أول من اهتم بتعليم اللغة القبطية بعد اندثارها هو
البطريك كيرلس الرابع الذي أمر بتدريسها في مدارس الأقباط ، ومن ثم
تخرج على يديه جيل من الشبان الغيورين على إحياء اللغة القبطية ، كان
آخرهم وأكثرهم غيرة وأثراً المرحوم اقلاديوس ليب ، الذي وقف حياته
على بعث هذه اللغة من رقدتها ، وبدأ بتعليمها لأهل بيته ، ثم ألف الكتب
العديدة لتلقيها لسائر الأقباط . وكان لكفاحه أثره — وإن كان في حيز
محدود — في خلق جو من الإهتمام بأحياء اللغة القبطية بين أفراد من المثقفين
الأقباط ، وعلى هؤلاء الافراد ينعقد الأمل في إحياء لغة
الآباء والأجداد .

وبالرغم من أن اللغة القبطية قد اندحرت أمام اللغة العربية ، فإن آثارها
ما تزال باقية في لغة المصريين ، فقد دخل في اللغة العربية المصرية كثير من
الكلمات القبطية، منها أسماء مثل : برسيم . وبلح . وشونة . وأردب . ولقمة .
وقلة . وسلة . ونبوت . وذهبية . وشبورة . وسمك بوري . وراى . وشال .
وشلبة . ومنها أسماء الشهور مثل : بابة . وهاتور . وكيهك . وطوبة .
وأمشير . وأسماء المدن مثل : شبرا . وحلوان . وبنها . وطوخ . وأرمنت
والمنيا . ومنها أفعال مثل : هلوس . وهوش . ولكلك . وفتفت .
وبشيش . وهكذا .

بل أن لغة القبطية أثرها الباقي في بعض الكلمات الأوربية مثل : واحة

وهى بالقبطية وازيس ، وجوم - أى صمغ - وهى بالقبطية كوى ، وأدوبى - أى طوبة - وهى قبطية الأصل ، والسوسن ، والأبنوس ، وغير ذلك .

ومن أثر اللغة القبطية كذلك أن القديسين كيرلس وأخاه ميتودوس ، حين وضعوا الأبجدية الروسية فى القرن التاسع الميلادى ، أدخلوا فيها بعض الحروف القبطية المأخوذة عن الديموطيقية .

ولا يسع كل مخلص إلا أن يتمنى للغة القبطية العزيزة يداً قوية تنهضها من عثرتها ، وتبث الحياة فيها .

الباب الثالث

عقيدة الأقباط

مقدمة

إنتهينا إذن الى أن الأقباط هم البقية الباقية من المصريين القدماء ، وأن لغتهم القبطية ما هي إلا آخر صورة من صور التطور في لغة هؤلاء المصريين القدماء ، وهي المسماة في أصلها الأول بالهروغليفية .

والآن يدعونا منطق التدرج في البحث لأن نتساءل : ما هي العقيدة الدينية للأقباط ، وفي أي الظروف اعتنقوها ، وعلى أي صورة احتفظوا بها وحافظوا عليها ؟

وهذا البحث بدوره يتطلب دراسة المعتقدات الدينية لدى قدماء المصريين أولا ، حتى ننتهي الى الجو الذي صادفته المسيحية حين دخولها إلى مصر ومقدار تهيؤ هذا الجو لقبول الدين الجديد الذي مازال الأقباط يدينون به حتى اليوم .

وعلى ذلك يتفرع بنا البحث الى شقين ، نتناولهما في فصلين متتاليين :

الشق الأول . معتقدات قدماء المصريين حتى ظهور السيد المسيح ودخول مرقس الرسول الى مصر ليبشر بديانته .

والشق الثانى : دخول المسيحية مصر وعوامل نجاحها وانتشارها وكيفية تناول المصريين لها ، وتحديد جوهرها الذى اعتنقه المصريون ، بعد نضال طويل مع ما ظهر من آراء ونظريات ، قال بها بعض فلاسفتها والباحثين فيها .

الفصل الأول

عقائد قدماء المصريين

تاريخ مصر قبل دخول المسيحية إليها تاريخ طويل ، عرف المؤرخون بعضه ولم يتوصلوا إلى معرفة معظمه ، نظراً لقلة الآثار التي تدل عليه . ويقتضينا البحث هنا أن نتناوله في إيجاز شديد ، متوخين استعراض عقائد قدماء المصريين فحسب .

عبادة النيل :

يتكهن بعض المؤرخين بأن الرقعة التي تشغلها مصر كانت صحراء جرداء في العصور الجغرافية الأولى، حتى شق النيل مجراه في هذه الهضبة الصحراوية القائمة في الشمال الشرقي من أفريقيا ، وتدفقت مياهه المنحدرة من قلب القارة ، فكونت رقعة من أخصب رفاع العالم ، إنبثقت فيها الحياة، وسكنها الإنسان ، وكون فيها مع الزمن صوراً مصغرة من المجتمع البشري ، على هيئة قبائل أو أمارات صغيرة. ولما كانت هذه الرقعة بما نشأ فيها من الحياة والأحياء تدين للنيل بوجودها ، فقد كان لذلك النهر في نفوس المصريين الأوائل تقديس عظيم ، حتى لقد عبدوه ، وسموه «حابي» أي الإله المقدس، وهم ما يزالون يحتفلون بفيضانه حتى اليوم .

عبادة آلهة منفردة :

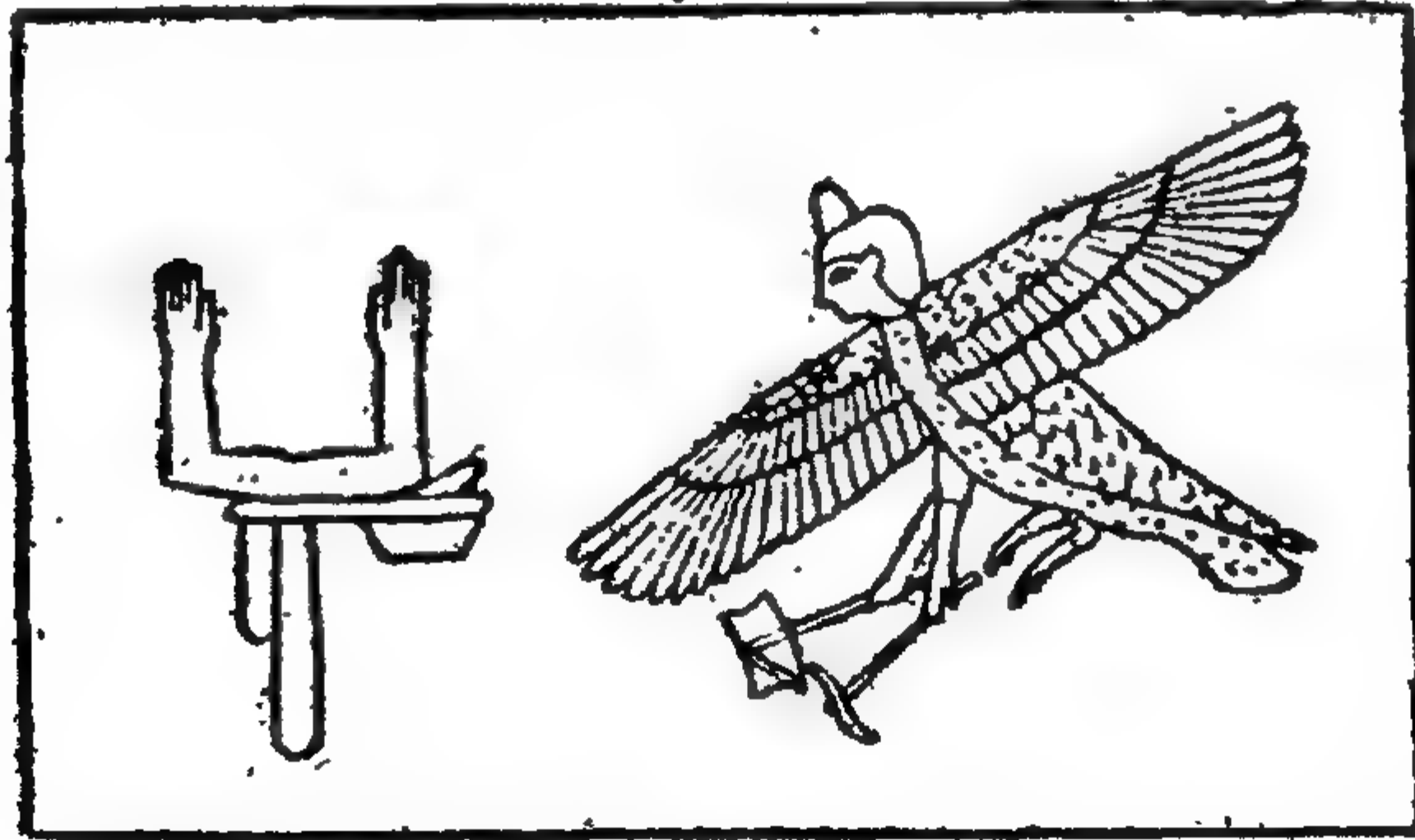
ولما كان وادى النيل بطبيعة أرضه وتكوينه ينقسم إلى قسمين مختلفين تمام الاختلاف ، أدى ذلك إلى وجود وحدتين كبيرتين : إحداهما جنوبية وهى المسماة مصر العليا ، والأخرى شمالية ، وهى المسماة مصر السفلى .

وتتكون مصر العليا من واد ضيق يمتد من الشلال الأول عند أسوان إلى رأس الدلتا بالقرب من القاهرة . وتتكون مصر السفلى من دلتا النيل ، وهى سهل فسيح تكون مع الزمن من طمى النيل .

وما من شك فى أن الإنسان الذى كان يقطن ذلك الوادى ، عاش فى أول أمره على الفطرة ، حتى نشأ بين الأفراد المتفرقين مع الزمن قدر من التعاون ، فانتظموا فى قبائل تخضع لنظام خاص ، وتعيش عيشة استقرار ، وقد اتخذت كل قبيلة شعاراً أو رمزاً اختارته مما يحيط بها من حيوان أو نبات أو غيره تنتسب إليه ، كما اتخذت إلهاً خاصاً بها تعبده . ثم اجتمعت عدة قبائل فى منطقة واحدة ، فتكونت بذلك القرى التى راحت كل منها فى أول الأمر تعيش فى عزلة عن غيرها ، حتى بدأت هذه القرى مع الزمن تتبادل السلع والحاجيات ، فتألفت منها بالتدرج أمارات صغيرة . واتخذت كل منها رمزاً خاصاً بها ، كما اتخذت معبوداً اعتبرته ربها وحاميها . ثم بمرور الأيام اتحدت تلك الأمارات ، وكونت مملكتين منفصلتين ، إحداهما فى مصر العليا والأخرى فى مصر السفلى ، وصار لكل منها ملك تخضع له ، وشعار تميز به ، وإله خاص تعبده : فكانت مصر العليا تخضع لملك يلبس تاجاً أبيض ، وتتخذ نبات البردى شعاراً لها ، وتعبد إلهاً يرمز له بالنسر . وكانت مصر السفلى تخضع لملك يلبس تاجاً أحمر ، وتتخذ نبات اللوتس شعاراً لها ، وتعبد

إلهاً يرمز له بالأفعى . ثم جاء وقت عبدت فيه المملكتان إلهاً واحداً هو الإله حوريس ، وصار ملوكها يلقبون بخدام حوريس ، ومن ثم أسبغ المصريون على أولئك الملوك صفة دينية ، إذ اعتقدوا أن أرواحهم تكون بعد الموت واسطة بين الناس والآلهة . ثم اعتبروهم مع الزمن أشباه آلهة .

وحدث بعد ذلك أن راح بعض ملوك هاتين المملكتين يحاولون توحيدهما . ولكن محاولاتهم باءت بالفشل زمناً طويلاً ، حتى قام واحد من ملوك مصر العليا ، ونجح في غزو مصر السفلى وضمها لمملكته ، وذلك هو الملك مينا رأس الأسرة الأولى التي بذل ملوكها من بعده جهداً عظيماً لتوطيد وحدة البلاد وتوسيع رقعتها ، وكانت الملكية في ظلها مطلقة أساسها قدسية الملك وأعتبره الإله الأكبر للمملكة . وظل الأمر كذلك في عهد الأسرتين الثانية والثالثة ، ثم كان عصر الأسرة الرابعة أزهى عصور الدولة القديمة ، وفيه بنيت أهرامات الجيزة لتكون مقابر لمن بنوها من الملوك ، إذ كانوا يحفظون



« الروح والقرين كما تخيلها المصريون القدماء »

أجسادهم سليمة من العطب لأنهم كانوا يؤمنون بالخلود ، وبأن الإنسان مكون من عدة قوى لكل منها عمله : فالى جانب الجسم وهو الجزء الظاهر من الإنسان ، يوجد « الكا » أو القرين ، وهو شبح للإنسان يشبه صاحبه تمام

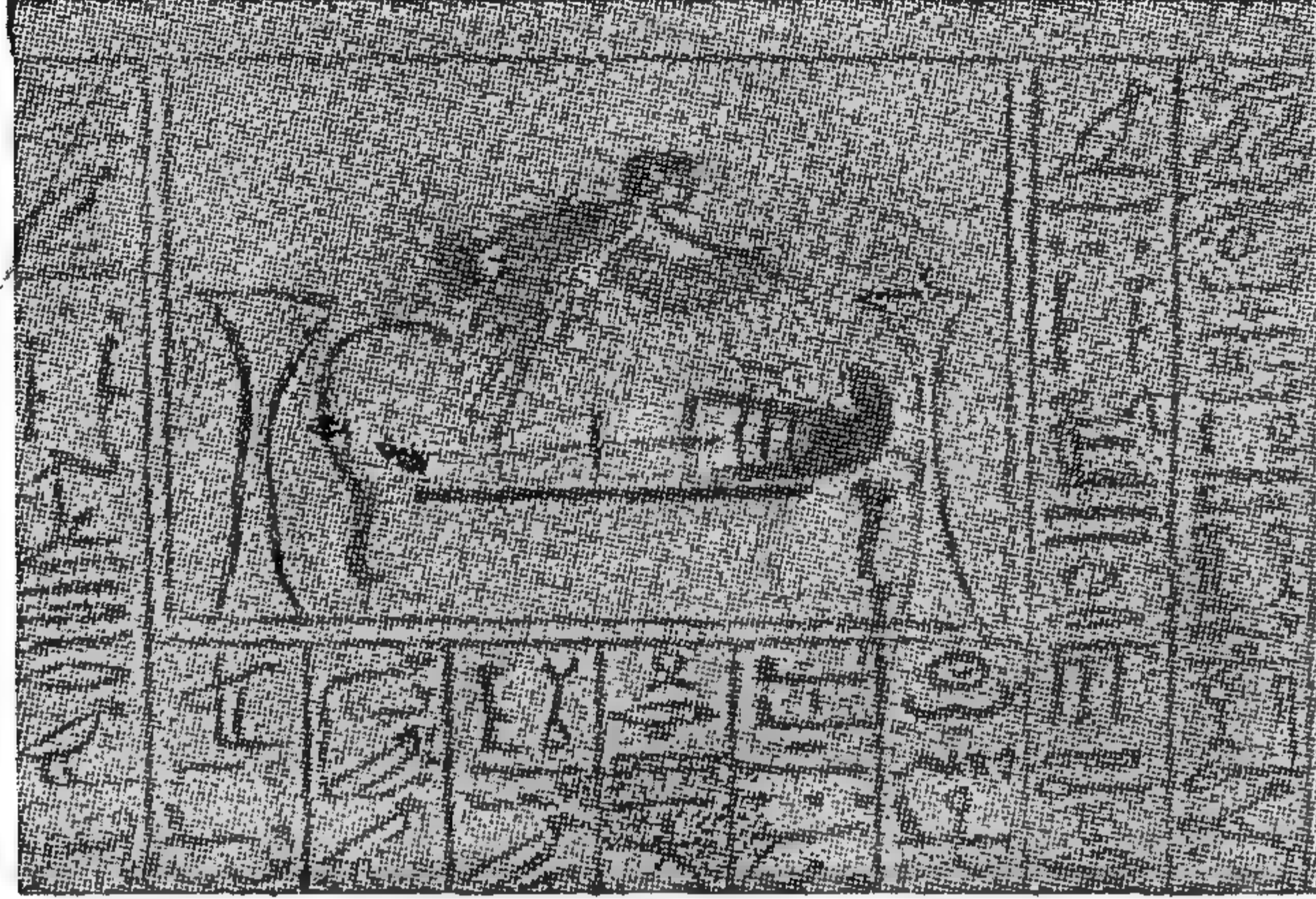
الشبه ولا يمكن رؤيته ، كما يوجد « البا » وهو الروح التي تخيلوها على هيئة طائر له رأس إنسان . وكانوا يعتقدون أن هذه القوى معرضة للفناء إذا أهملت ، فإذا هي فئت مات الشخص مرة أخرى وزال من الوجود نهائياً . كما كانوا يعتقدون أن حياة « الكا » متوقفة على بقاء الجسم سليماً ، ولذلك كانوا يحنطون جثث موتاهم ، ويضعونها في قبور محصنة بعيدة عن عبث اللصوص ، وجافة بعيدة عن الرطوبة التي تحلل الأجسام . وكانوا فضلاً عن ذلك يقيمون الصلاة ويقدمون القرابين ليحفظوا حياة « الكا » و « البا » . وكان « الكا » في اعتقادهم لا يفارق الجسد في القبر ، وأما « البا » فيصعد إلى الآلهة في السماء ، ثم يهبط بين آونة وأخرى ليزور الجسد .

ولما كانوا قد اعتبروا المقابر دوراً أبدية ، فقد أقاموها ونظموها بالطريقة التي تتفق وفكرتهم عن الحياة المقبلة ، وكفلوا فيها للميت نعيم الحياة وأطايبها ، فكانوا يضعون معه في قبره كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب ومتاع . إلا أنهم منذ الأسرة الخامسة بدأوا يكتبون برسم هذه الأشياء على جدران المقابر معتقدين أن تلاوة الصلوات والنصوص الدينية كفيل بتحويل هذه الرسوم إلى أشياء حقيقية .

وكانوا كذلك يصنعون تماثلاً أو أكثر للميت ، إذ كانوا يخافون أن تتحلل جثته على الرغم من تحنيطها ، أو تمتد إليها يد اللصوص فلا تجد الروح مكاناً تأوى إليه ومن ثم يموت المتوفى مرة أخرى ، وكانوا يكتبون على هذه التماثيل إسم الميت حتى يعرفها « الكا » ويحل فيها إذا فني الجسد الحقيقي ، وبذلك تستمر الحياة .

وقد دام حكم الأسرة الرابعة مائة وستين عاماً ، وصلت مصر خلالها

إلى أعظم درجات الحضارة والرقى ، غير أن نفوذ الملوك بدأ فى أواخر هذه المدة يضعف ، بينما أخذت تزداد قوة الكهنة ويستفحل تدخلهم فى شئون البلاد حتى استأثروا بكل ما للملوك من سلطان . وقد شجعهم على ذلك ثقة الملوك بهم ، لأنهم عملوا على إخضاع البلاد كلها لعقيدة البيت المالك وهى



« زيارة الروح للجثة عند الفراعنة »

عبادة الشمس أو الإله رع ، ولا سيما أن الشمس كانت فى نظر المصريين جميعاً قوة تسيطر على الحياة فتبديد الظلام وهو طريق الموت ، وتخلق النور وهو سبيل الحياة ، ومن ثم أصبح من الميسور إدخال المعبودات المحلية فى دائرة هذه القوة ونسبتها إليها ، فلقب حوريس مثلاً بحوريس رع ، وآمون بآمون رع وهكذا . ولتقريب هذه التسمية من أذهان المصريين شبه الكهنة الآلهة بحكومة جعلوا رئيسها رع وأعضاءها الآلهة الباقين ، وبذلك أمكن توحيد العقائد الدينية تحت لواء كهنة رع فأخذ نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً حتى طغى على نفوذ الملك . وانتهى الأمر بأن جمعوا كل السلطة فى أيديهم ، واستطاع كبيرهم أوسركاف أن يغتصب العرش لنفسه ، ويؤسس أسرة جديدة ، هى الأسرة الخامسة .

فلما بدأ عهد هذه الأسرة الخامسة ، تغيرت بعض مظاهر العقائد الدينية ، فقلت عناية المصريين بتشديد الأهرامات وجعلوها أصغر حجماً وإن كانوا زينوا جدرانها بالنصوص الدينية بعد أن كانت خالية منها في العصر السابق ، وأكثروا من إقامة المسلات وهي رمز الإله رع . وينتهي نفوذ هذه الأسرة ، بانتهاء حكم الملك أوناس الذى بنى لنفسه هرمًا فى سقارة ، زين جدرانه بنصوص دينية تعتبر أقدم النصوص المعروفة فى مصر ، وهى مجموعة أدعية وطلاسم كانوا يعتقدون أنها تحفظ جثة الميت وتحول صور الأطعمة والأشربة المرسومة إلى أشياء حقيقية . ومنذ



« الإله رع »

عهد أوناس بدأ المصريون ينقشون على مبانيهم الرسمية صورة قرص الشمس تكتنفها من الجانبين حية مقدسة ويحملها جناحان منشوران ، وهذا هو قرص الشمس الذى يحلى واجهة المعابد المصرية ويبدل على مكانة الشمس فى المدينة المصرية القديمة .

إلا أن الكهنة منذ قبضوا على أزمة الملك وجهوا كل عنايتهم للأمور الدينية وأغفلوا شئون السياسة والإدارة ، مما قوى شوكة حكام الأقاليم ، وانتهى بهم الأمر إلى انتزاع الملك منهم ، فقامت في أعقابهم الأسرة السادسة ، وكان آخر ملوكها الملك ييى الثانى الذى عاش حتى بلغ المائة ، فانتهز الأمراء فرصة شيخوخته واستولوا على الملك . وبذلك انتهى عهد الدولة القديمة الذى بلغت فيه مصر درجة عظيمة من المدنية والمجد .

عبادة اله واهم :

وتداولت حكم مصر بعد ذلك أسرات تخلل عهدها فترات قوة وضعف ، ووحدة وتفكك ، حتى مرت بها فترة من أحلك فتراتها فى عهد الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، حيث حكمها ملوك ضعاف سادت الفوضى فى مصر على أيامهم ، مما شجع جيرانها الآسيويين على غزوها ، فأغار عليها الهكسوس ، وأخضعوها ، وألف ملوكهم فيها الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، وعلى الرغم من توددهم إلى المصريين ، فإن أولئك ما فتئوا يكرهونهم ويقاومونهم حتى تمكنوا آخر الأمر بقيادة أحس من طردهم . وأسس أحس الأسرة الثامنة عشرة التى كان من أشهر ملوكها بعده ابنه امنحتب الأول ، وتحتمس الأول ، ثم تحتمس الثانى ، ثم الثالث ، وكان من ملوكها امنحتب الرابع الذى كان شاعراً ومصلحاً دينياً حكم مصر حوالى سبعة عشر عاماً ، وكانت زوجته نفر تيتى أميرة نادرة الجمال ، وكان يقضى معها ومع أمه الملكة . تى ساعات طوالاً فى مناقشات فلسفية ، وذلك هو المسمى بعد ذلك أخناتون الذى تم على يديه أكبر انقلاب دينى فى عهد قدماء المصريين .

وذلك أن عبادة آمون كانت عقيدة مصرية بحتة لا يفهمها سكان البلاد المختلفة التى تكونت منها الإمبراطورية المصرية التى كونها تحوتمس الثالث . وقد نزح كثيرون من سكان تلك البلاد إلى مصر ، واختلطوا بأهلها

وصاهروهم، بل أن الأسرة المالكة نفسها لم تسلم من هذا الإلزام مزاج فصاهرت
الأجانب الآسيويين. وكان من الضروري إذن لهذه الشعوب المتباينة من دين
أعم من دين آمون. ولما كان القدماء يعبدون الشمس من زمن بعيد جداً في
أشكال متعددة، وكان لهذه الديانة صبغة عامة تعوز ديانة آمون المصرية
البحثة، فقد اقتبس أمنحوتب الرابع عبادة الشمس في صورة قرصها لتكوين
الإله الواحد، ومن ثم أبطل عبادة آمون وترك مدينة طيبة موطن هذه
العبادة - وكان ذلك في السنة الرابعة من حكمه - وأعلن أنه ليس هناك إلا
إله واحد يسيطر على العالم بأسره وتتمثل قوته في قرص الشمس المضيء
المتوهج «آتون»، ولما لاحظ أن اسم أمنحوتب معناه «آمون راض»
كره سماعه وكره نقشه على الآثار فجعل اسمه أخناتون ومعناه «آتون
راض»، وحرّم عبادة الإله الجديد في شكل تماثيل، قائلاً أنه كائن في كل شيء،
ونظم الأناشيد في مدحه وراح يترنم بمجده، قائلاً له: «حين تستريح تغدو
الأرض في ظلام كأنها ميتة، وتخرج الأسود من كهوفها، والشعابين من
أوكارها، وتصمت الأرض صمت القبور، حتى تقذف بسهامك فيتمزق
الظلام، ويستيقظ الناس، فيغتسلون، ويرفعون أيديهم ليعبدوا إشراقك،
ثم تنهمك الأرض كلها في العمل. وما أكثر الأشياء التي خلقتها: فبأرادتك
خلقت الأرض والإنسان والحيوان، وكل ما يمشى على قدميه أو يطير
بجناحيه. وخلقت كذلك أرض أثيوبيا وسوريا ومصر»

وهجر الملك طيبة وبنى إلى الشمال منها على الشاطئ الشرقي للنيل عاصمة
جديدة سماها «أخيتاتون» أي أفق الشمس، وموقعها الآن بلدة تل العمارنة
بمديرية أسيوط، وأقام فيها المعابد المكشوفة للإله آتون، وأعلن أنه لن
يتركها أبداً وأنه سيكرس نفسه لتعليم الدين الجديد للناس ولعبادة إله واحد
هو آتون. وقد بلغ به حماسه أن سن قوانين يحرم بها عبادة الآلهة القديمة
في كل أنحاء الإمبراطورية المصرية.

ولم يكن أخناتون وحده متحمساً لانقلابه الديني، وإنما ساعدته في

ذلك زوجته الملكة نفر تيتي ، وكانت أكثر منه ميلا للدين الجديد ، وأشد تعلقاً به . وبعد موت أخناتون خلفه زوج ابنته « توت عنخ آمون » الذي ظل يسكن تل العمارنة ثلاث سنوات ، وبقي مخلصاً للمذهب الآتوني ، إلا أنه لسبب ما ترك هذه المدينة ، وقصد إلى طيبة حيث هجر الدين الآتوني وقدم ولاءه لكهنة آمون ، ومنذ ذلك الحين عرف باسم « توت عنخ آمون » وبعودة الملك عاد إيطيبة عزها ورخاؤها ففتحت المعابد وتم إصلاحها ، ثم جاء الملك حار محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة فاستمال إليه كهنة آمون بأن قرر محو كل آثار المذهب الآتوني ، فهدم هياكله وأعاد اسم آمون إلى كل مكان . وقام رمسيس الأول بعد ذلك بتأسيس الأسرة التاسعة عشرة التي كان من أشهر ملوكها بعده سيتي الأول ورمسيس الثاني المعروف برمسيس الأكبر ، وقد أعاد الإمبراطورية المصرية واسترد كل ممتلكاتها ، وتلاه ابنه منبتاح الذي يقال أن في عهده خرج بنو إسرائيل من مصر .

ثم توالى على مصر بعد ذلك الأسرات من العشرين إلى السادسة والعشرين ، وفي أواخر عهد هذه الأسرة استولى الفرس على مصر بقيادة قمبيز في سنة ٥٢٥ قبل الميلاد . ثم ما لبث أن استولى عليها الإسكندر الأكبر ملك الإغريق ، فأسس فيها مدينة الإسكندرية وقدم القرابين للإله آمون ، ومن ثم أعلن الكهنة أنه ابن الإله ، ووضعوه في مصاف الفراعنة . ثم استولى الرومان على مصر في عهد كليوباترا وحكمها أكتافيزوس منذ سنة ٣٠ قبل الميلاد ، وفي عهده فر إلى مصر يوسف النجار ومعه السيدة العذراء مريم والطفل يسوع المسيح ، وظلوا فيها فترة من الزمان .

وفي عهد الإمبراطور الروماني نيرون دخلت المسيحية في مصر على يد القديس مرقس ، وكان ذلك في منتصف القرن الأول الميلادي .



هذا تاريخ موجز للمعتقدات المصرية قبل دخول المسيحية : ومنه نرى

تعدد آلهة المصريين ، إذ كان لكل بلد من بلادهم إلهها الخاص الذي يحميها من الشر . وكان يحدث بين حين وآخر أن تنتشر عبادة إله من هذه الآلهة المحلية عندما يعظم شأن البلد الذي يعبد فيه ، كما حدث في الدولة القديمة حين انتشرت عبادة رع ، إله عين شمس ، وكما حدث في الدولة الحديثة حين سادت عبادة آمون ، إله طيبة .

قصة أوزوريس :

وقد كان للمصريين إله آخر كذلك يجمعون على حبه وهو أوزوريس إله الموتى ، الذي يحاسب الناس على أعمالهم يوم ينتقلون من هذه الدنيا إلى الآخرة ، وقد نسجوا حوله أسطورة كان لها شأن عظيم لديهم . إذ قالوا أن أوزوريس نزل من السماء على هيئة إنسان ، كي يعلم الناس السلام ويرشدهم



« أوزوريس »

إلى الحياة معاً في مودة وصفاء ، فأحبوه حباً جماً جلب عليه حقد أخيه « ست » فدبر له مكيدة يتخلص بها منه ، إذ صنع تابوتاً يسعه تماماً وزخرفه بالجواهر والأحجار الكريمة ، ودعاه إلى وليمة كبيرة حضرها

كثيرون ، وأعلن أنه سيتمنح هذا التابوت لمن يكون على مقاسه تماماً ،
فقام كل من المدعويين يجرب حظه ولكن بغير جدوى ، حتى قام أوزوريس
وتمدد في الصندوق ، فما كاد جسمه يدخل فيه حتى أسرع أخوه وأغلقه
وألقى به في النيل ، فحمله التيار إلى البحر المتوسط وما فئت الأمواج تتقاذفه
حتى ألقت به عند مدينة بيلوس بفينيقيا . فلما علمت زوجته إيزيس بما حدث له
حزنت عليه حزناً شديداً وبكت عليه بكاءً مرأً ، وجدت في البحث عنه حتى
وجدت التابوت الذي يرقد فيه ، وعادت به إلى الدلتا ، ولكنها قبل أن
تتمكن من فتحه فاجأها « ست » وقطع جسم أخيه إثنين وسبعين قطعة ، ثم
ألقى بكل منها في مقاطعات مصر التي كان يبلغ عددها إذ ذاك مثل



« إيزيس ترضع حوريس »

هذا العدد . ومع ذلك لم تياس إيزيس وإنما ركبت قارباً وراحت تجمع تلك
الأشلاء ، وقد عاونها في ذلك « تحوت » إله الحكمة ، و « أنوبيس » إله
التحنيط ، وأختها نفتيس ، زوجة ست ، فلما جمعت الأشلاء كلها قرأت

عليها بعض التعاويذ السحرية ، فدبت فيها الحياة من جديد . إلا أن أوزوريس
رفض أن يعود إلى حكم هذا العالم ، وفضل أن يبقى في العالم الآخر . وكان
لأوزوريس من زوجته إيزيس ابن اسمه حوريس ، قام ليثأر لأبيه ،
فحارب عمه ست ، وانتصر عليه ، فكان بذلك منقذ الإنسانية .

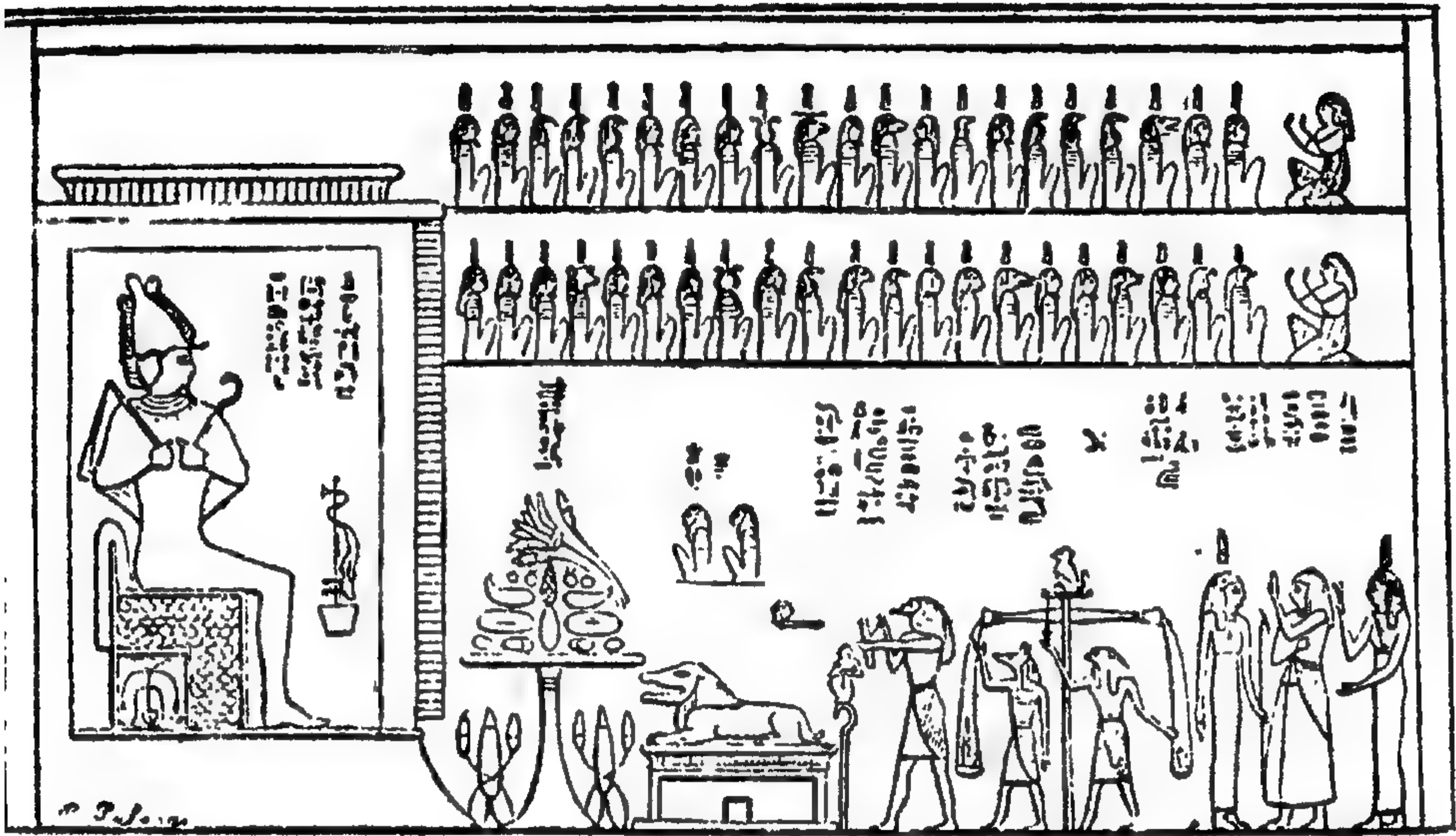
وقد جاء في هذه الأسطورة أن إيزيس وهى تبكى حزناً على
زوجها سقطت من عينها دمعته فوق نهر النيل ، ففاض على الفور ، وظل
يفيض عاماً بعد عام .

وكان المصريون يحتفلون بدفن أوزوريس في فصل الخريف حين تبذر
البذور في جوف الأرض ، ثم يحتفلون بعودته إلى الحياة في فصل الربيع ، حين
تورق الأشجار وتتفتح الزهور .

وكانوا يعتقدون أن مقبرة أوزوريس موجودة في أييدوس المعروفة
بالعرابة المدفونة بالبلينا ، فكان فريضة على كل منهم أن يحج إليه مرة على
الأقل في حياته ، وكان مما يتطلعون إليه أن يبنوا قبورهم بالقرب من قبره ،
ومن يعجز عن ذلك يكتب بأن يقيم له شاهداً هناك ينقش عليه اسمه . كما حرص
المصريون على تحنيط جثث موتاهم في صورة جثة أوزوريس ، وقد وضع
يديه على صدره ممسكاً بأحداها عصي الراعى ، وبالأخرى السوط الملكي .
وقد ألهمت هذه القصة المصريين بأن كل من يحسن في دنياه ويلاقى
المتاعب ويتحمل الآلام كما فعل أوزوريس يعود إلى الحياة مرة أخرى
ويتمتع بالنعيم ، وهذا هو أصل العقيدة في خلود الروح ، وفي وجود حياة
أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته .

ونظراً للظلم الذى حاق بأوزوريس وبالآلام التى لحقت به ، إختارته الآلهة

- فى اعتقاد المصريين القدماء - لىكون قاضى الموتى ، ومن ثم أصبحت مهمته محاسبة أهل الدنيا ووزن أعمالهم وإصدار الحكم لهم أو عليهم بالنعيم أو الجحيم . وكان ذلك يجرى فى محكمة مكونة من اثنين وأربعين قاضياً يرأسهم أوزوريس ، ويسأل كل منهم الميت عن الآثام التى ارتكبها فى دنياه ،



« محكمة أوزوريس »

كالسرقة والقتل والكذب ، فيتبرأ من كل منها على التوالى . وللتأكد من صدق الميت ، يوضع قلبه فى كفة ميزان ، ويوضع فى الكفة المقابلة ريشة تمثل الصدق ، فإن رجحت كفة الريشة كان ذلك دليلاً على أن الرجل من البررة الأطهار ، فيسير إلى النعيم الأبدى الذى سماه المصريون « جنة السلام » . وإن ثقلت كفة القلب ، كان ذلك برهاناً على أن الرجل من الأشرار ، فينقض عليه وحش يكون متربصاً بينذاك أمام الميزان فيقتله ويلقى به فى هوة سحيقة . وعلى الرغم من أن المصريين كانوا يؤمنون بعدالة هذا الحساب ، فإنهم كانوا يعتقدون مع ذلك أن تلاوة التعاويذ وتدوينها

على تابوت الميت أو على جدران قبره ، أو على لفائف من البردى تدفن معه ،
تشفع له أمام محكمة أوزوريس ، فتخفف من عذابه ، وهذا هو الغرض
من كتاب الموتى .

الخلاصة :

هذه هي المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها المصريون حتى دخلت
المسيحية في مصر ، ومن دراسة هذه المعتقدات يمكن أن نستخلص
الأمور الآتية :

١ — كان المصريون يؤمنون بوجود إله . وقد توصلوا في بعض
مراحل تاريخهم إلى أن هذا الإله واحد ، وأنه أزلي أبدي ، وأنه أصل
الكائنات ، وهو الذي أوجدها ، وهو ذاته موجود فيها ، كما ورد في ديانة
أخناتون الذي أنكر الآلهة جميعاً ولم يعترف إلا بآله واحد كان يرمز له
بقرص الشمس ويخاطبه قائلاً « أنت الإله الواحد لا شريك لك في الملك » .
وقد ذكر هيرودوتس « أن أهل طيبة كانوا يعرفون الإله الواحد الذي
لا بداية له الحى الأبدى » . وذكر العلامة جامبليكس ، أحد فلاسفة القرن
الثالث « أن المصريين كانوا يعبدون إلهاً واحداً هو سيد العالم وخالقه ،
فوق كل العناصر ، غير مادي ولا متجسد ، غير مخلوق ولا مرئى ، هو الكل
في الكل ، ومحيط بالكل ، ومتصل بالكل » . وذكر العلامة الألماني بروكش
في أبحاثه الأثرية أن المصريين كانوا يعتقدون أن « الله هو الواحد الأحد .
لا إله إلا هو . الذي صنع كل شيء . الله روح . وهو روح خفي . روح
الأرواح . روح المصريين الأكبر . الروح القدس . الله هو الموجود من
الأزل . وهو موجود قبل كل الوجود . فهو أبو الأصول . الله أزلي وهو

الحى الدائم الذى لا نهاية له . الأبدى الباقي على الدوام . ولا يعرف أحد شكله . الله هو الحق ويعيش بالحق ويتغذى بالحق . يرتكز على الحق . وهو خالق الحق . الله الخالق ولم يخلق . معطى الوجود ولم يوجد أحد . الموجود بذاته . الكائن بنفسه . المبدع لشكله .

٢ — وكان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم . فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة تختص بعبادته والولاء له ، ومن أمثلة ذلك ثالوث طيبة ويتألف من آمون « الأب » وموت « الأم » وخنسو « الإبن » . وثالوث أيدوس أو العرابة المدفونة ، ويتألف من أوزوريس « الأب » وإيزيس « الأم » وحوريس « الإبن » وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة ، إلا أنهم يعملون معاً .

٣ — كما كان فى معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك ، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء ، وأن آبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها .

٤ — وكانوا يعتقدون أن الله قد خلق الإنسان ووضع فيه الروح ، وأن هذه الروح خالدة ، وأن الإنسان سيبعث بعد الموت ، وسيحاسب فى الآخرة عن أعماله فى كافاً عن حسناته ويجازى عن سيئاته .

٥ — وكانوا يصورون فى يدايهم علامة ترمز إلى الحياة ، وكانوا يسمونها « عنخ » ، وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها المسيحيون شعاراً ورمزاً لهم بعد ذلك .

٦ — كما كانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس ، وهو طقس يشبه العباد عند المسيحيين .

٧ — وأخيراً نجد في قصة الإله أوزوريس ، واستشهاده ثم انتصاره في النهاية على الشر ، وجلوسه بعد ذلك في محكمة السماء ليحاسب الناس كلا حسب أعماله ، ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة الى عقول المصريين وقلوبهم .

ومن ذلك يتبين لنا أن المسيحية حين دخلت في مصر وجدت السبيل مهيأً لأن يقبل المصريون معتقداتها ، ويؤمنوا بها ، بل ويستشهدوا في سبيلها .

الفصل الثانى

للمسيحيين فى مصر

نتكلم فى هذا الفصل عن عقيدة الأقباط — بعد أن ألمنا بطرف من عقائد قدماء المصريين — ويقتضينا ذلك أن نورد أولاً كلمة موجزة عن ظهور المسيحية ، نلمح فيها الى قصة السيد المسيح ، وسيرة حياته وموته وقيامته . والى رسله الذين بشروا به وحملوا رسالته الى العالم . ثم الى الكتاب المقدس الذى ضم سيرته وطرفاً من سيرة رسله وأصبح إلى هذه الساعة دستوراً ومناراً للمسيحيين فى كل الأرض .

ثم نتكلم بعد ذلك عن دخول المسيحية فى مصر على يد مرقس الرسول وما لقيته فيها من ترحيب من جانب الشعب ، ومن محاربة وعنت من جانب الحكام ، ومن اضطهاد للمؤمنين بها . ثم نرى كيف تبلورت العقيدة القبطية بعد أن مرت بمراحل طويلة من الاختلافات والمناقشات فى المجمع الداخلى والدولية ، وبعد أن احتكت بالفلسفات اليونانية وغيرها فى جامعة الإسكندرية . ثم لا يسعنا — استكمالاً للبحث — الا أن نورد بعد ذلك كلمة عن ظاهرة كان لها أكبر الأثر فى المجتمع القبطى والعقيدة القبطية على مر العصور ، وهى الرهبنة . ثم نختم هذا الفصل بكلمة عن « خلاصة العقيدة القبطية » .

الفرع الأول ظهور المسيحية

البحث الأول

قصة السيد المسيح

١ - ميلاد السيد المسيح :

جوهر العقيدة المسيحية كما وردت في الكتاب المقدس ، أن الله أرسل ملاكه إلى عذراء اسمها مريم ، مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمه يوسف ، من مدينة الناصرة ، إحدى مدن الجليل في فلسطين ، وبشرها بأنها وجدت نعمة عند الله فاختارها ليولد منها المسيح مخلص العالم بحلول الروح القدس عليها ، فقبلت البشرى فرحة ، وتم لها ما قاله الملاك فقبلت من الروح القدس .

فلما اقتربت أيام وضعها كان الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر قد أصدر أمره بأحصاء السكان في اليهودية التي كان ملكها هيرودس ،

على أن يسجل كل واحد في مدينته التي ولد فيها ، فصعد يوسف لذلك من الناصرة إلى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم مع مريم خطيبته ، وإذ وجدوا المدينة مزدحمة بالمسافرين ، اضطرا لأن يقيما بمكان الدواب في أحد منازلها ، وهناك جاء المخاض مريم فولدت ابنها وأضجعت في مذود البقر ، وكان ذلك الإبن هو يسوع المسيح .



« بشارة الملاك للعذراء »

وفي ليلة الميلاد هذه ظهر ملاك لجماعة من الرعاة وبشرهم بميلاد المسيح المخلص ، وظهر معه فريق من الملائكة يسبحون الله قائلين « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » فترك الرعاة قطعانهم وذهبوا إلى المكان الذي دهم عليه الملائكة فرأوا الطفل وسجدوا له .

ولما تمت ثمانية أيام ليختن الطفل حسب شريعة موسى دعي اسمه يسوع
أى المخلص ، كما دعاه الملاك قبل أن تحبل به أمه .

وفى تلك الأيام جاء مجوس من المشرق إلى اورشليم قائلين « أين هو
المولود ملك اليهود ، فأتنا رأينا نجمة فى المشرق وأتيننا لنسجد له » ، فلما
سمع هيرودس ذلك اضطرب وجمع رؤساء الكهنة وسألهم « أين يولد



« سجود المجوس للطفل يسوع »

المسيح » فقالوا له « فى بيت لحم اليهودية » فدعى المجوس وأرسلهم إلى
بيت لحم قائلين لهم بمكر « اذهبوا ومتى وجدتم الصبي أخبروني لكي آتى أنا
أيضاً وأسجد له » فذهبوا والنجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى بلغوا
مكان الصبي فسجدوا له وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراراً . إلا أنهم
أوحى اليهم فى حلم ألا يعودوا إلى هيرودس فانصرفوا من طريق آخر
إلى بلادهم .

وبعد أن تمت أيام التطهير الشرعية ، صعدوا بالصبي إلى أورشليم
ليقدموه للرب . وكان في الهيكل عندئذ رجل بار اسمه سمعان كان قد أوحى
إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب ، فما رأى



« السيدة العذراء مريم ويسوع الطفل »

يسوع مع أمه حتى أخذه بين ذراعيه وبارك الله قائلاً : « الآن تطلق عبدك
باسيد حسب قولك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتنا خلاصك » .

أما هيرودس حين سأل عن المجوس ، وعلم أنهم خدعوه غضب جداً
وأمر بقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين

فما دون ، عسى أن يقتل يسوع من بينهم . وحينئذ ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم قائلاً : « قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر » .

٢ - الهرب إلى مصر :

ويقول المؤرخون أن يوسف وخطيبته والصبي جاءوا إلى مصر عن طريق صحراء سيناء ودخلوها من جهة الفرما الواقعة بين بورسعيد والعريش، ومنها إلى مدينة بسطة، التي كانت تقع بالقرب من مدينة الزقازيق الحالية . واتجهوا غرباً ، فعبروا فرع النيل الشرقي عند سمبود . ثم



« الهرب إلى مصر »

عبروا فرعه الغربي حتى إذا بلغوا وادي النطرون ، اتجهوا إلى الوجه القبلي فنزلوا بمدينة الأشمونين . ثم مضوا إلى القوصية ثم إلى قرية ميرة ، المسماة الآن « مير » ، وهبطوا بجهة قسقام - حيث يوجد الآن دير العذراء الشهير بالحرق - وظلوا مقيمين هناك حتى ظهر ملاك الرب ليوسف وقال له : « قم

خذ الصبي وأمه وعد الى اليهودية ، لأن هيرودس الذى كان يطلب نفس الصبي قد مات ، فقاموا وانحدروا شمالا حتى جاءوا باييلون - المسماة الآن مصر القديمة - وكان بها حى لليهود لا يزال لهم فيه آثار الى اليوم . ونزلوا فى الموضع الذى فيه كنيسة القديس سرجيوس - المعروفة بكنيسة أبى سرجة - ثم اتجهوا إلى عين شمس ، وكان بها عدد كبير من اليهود أيضاً ، ولهم فيها هيكل كان يعرف بهيكل أونياس . فأقاموا هناك يستظلون بشجرة يقال أن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة مريم بالمطرية - ومن هناك انطلقوا الى اسرائيل عن طريق مديرية الشرقية ، فالصحراء كما جاءوا .

وقد اختلف المؤرخون حول المدة التى قضتها الأسرة المقدسة منذ خروجها من أرض اسرائيل حتى رجوعها من مصر اليها : فقدرها بعضهم بستة أشهر ، وبعضهم بسنة ، وبعضهم بسنتين ، وآخرون بأربع سنوات . ويرجح البعض أنها لا تقل عن سنة ولا تزيد عن سنتين ، وذلك لأنه قد تحقق أن هيرودس الذى كان يطلب قتل الصبي توفى فى السنة التى ولد فيها المسيح .

٣- يسوع فى صباه :

فلما عاد يوسف والصبي وأمه الى أرض اسرائيل، وجدوا أن أرخيلاس يملك على اليهودية مكان هيرودس أبيه، فخافوا أن يذهبوا إلى هناك وانصرفوا إلى نواحي الجليل وسكنوا فى مدينة يقال لها ناصرة . وهناك قضى يسوع أيام صباه .

وكان أبواه يذهبان كل سنة الى اورشليم فى عيد الفصح

فلما كان في الثامنة من عمره صعدا إلى أورشليم كعادتهما ، حتى إذا انقضت أيام العيد رجعا وهما يظنان أن الصبي في الركب معهما . ولكنهما حين وصلا لم يجداه فراحا يبحثان عنه عند الأقرباء والمعارف . وأخيراً عادا إلى أورشليم فوجداه في الهيكل جالسا وسط المعلمين يسمعون ويجادلهم ،



« يسوع في صباه »

وقد بهت الحاضرون جميعاً من فهمه وأجوبته ، فقالت له أمه « يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين » فقال لهما . « لماذا تطلباني ؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي ؟ » فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة .

٤ - العمار :

وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ، إذ كان بيلاطس البنطلي والياً على اليهودية وهيروودس حاكماً للجليل ، كان يوحنا يعمد



« يسوع في شبابه »

في الأردن ويكرز قائلاً : « يأتي بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلاً لأن أنحنى وأحل سيور حذائه . أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس »

وفي تلك الأيام جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ، وكان فى نحو

الثلاثين من عمره ، ليعتمد من يوحنا ، فما أبصره هذا مقبلاً حتى صرخ قائلاً
« هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » . فلما اعتمد يسوع صعد
للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل



حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلاً : « هذا هو إبنى
الحبيب الذى به سررت » .

٥ — التجربة :

ثم أوصد يسوع إلى البرية من الروح القدس ليجرب من إبليس ، فبعد
أن صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً ، فتقدم إليه المجرب وقال له
إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال
« مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من
فم الله »

ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك » . فقال له يسوع « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك ، ثم أخذه أيضاً إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك



« التجربة »

العالم ومجدها وقال له « أعطيك هذه جميعها إن خرت وسجدت لي » . حينئذ قال له يسوع « اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

٦ — تعاليم يسوع ومعجزاته :

وفي تلك الأيام أمسك هيرودس يوحنا وطرحه في السجن ، فلما سمع يسوع ذلك غادر الناصرة وأتى إلى الجليل فسكن في كفر ناحوم . ومن ذلك الوقت بدأ يطوف ويعلم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف ، ويفعل العجائب فذاع خبره في كل سوريا ، وأحضروا إليه



« يسوع في أيام صومه ووحده »

جميع السقام المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين
والمفلوجين فشفاهم . فتبعته جموع كثيرة . وكان يعلمهم قائلا :

« طوبى المساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحرزاني
لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش
إلى البر لأنهم يشبعون . طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . طوبى لأنقياء القلب



« السيد المسيح يخطب على الجبل »

لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى
للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيروكم
وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين . إفرحوا وتهللوا
لأن أجركم عظيم في السموات » .

وقال لهم : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم

لاتقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً .
ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك
ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين . من سالك فاعطه . ومن أراد أن يقترض
منك فلا ترده . سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا
فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم .
وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .



« السيد المسيح يشفي المرضى »

وقال لهم : « إذا صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات . ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك . لتكون مشيئتك . كما في السماء كذلك على الأرض . خبزنا
كفافنا . أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا . كما تغفر أيضاً للمذنبين إلينا .
ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد
إلى الأبد آمين . »

ودخل إلى المجمع في كفر ناحوم وصار يعلم . فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان . وكان في مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ قائلاً : « آه مالنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله » . فانتهره يسوع قائلاً : « إخرس واخرج منه » . فصرعه الروح النجس بصوت عظيم وخرج منه .

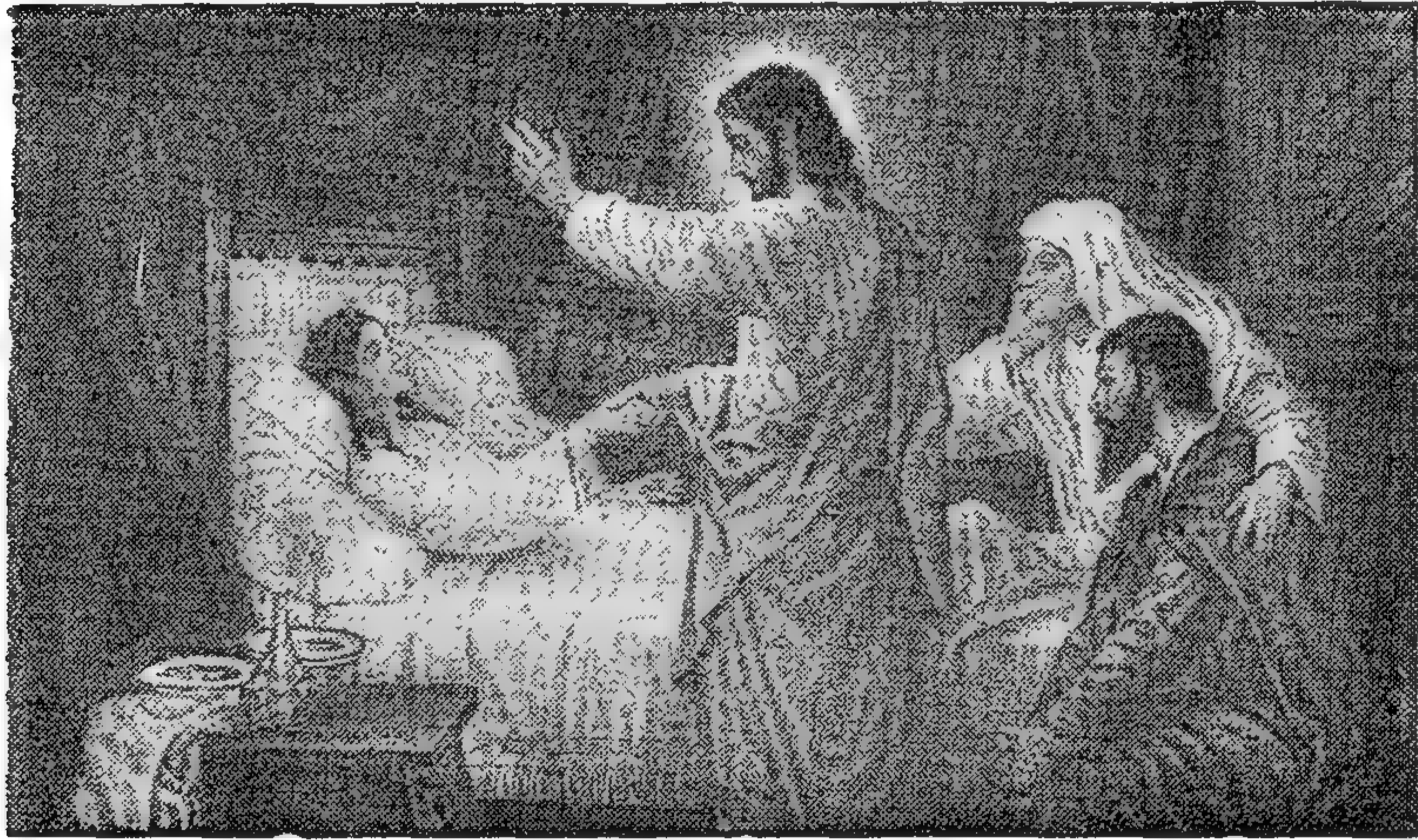
ومر يسوع برجل أبرص فد يده ولمسه فذهب عنه البرص . ومر برجل أعمى منذ ولادته فتفل على الأرض وصنع طيناً وطلّى به عيني الأعمى وقال له « اذهب اغتسل في بركة سلوام » فمضى واغتسل وأتى بصيراً .



« السيد المسيح يقيم ابن أرملة نايين »

وفي أحد الأيام كان يعلم فجاء رجال يحملون على فراش رجلاً مفلوجاً . ولما لم يجدوا منفذاً من شدة الزحام ، صعدوا إلى السطح ودلوه أمام يسوع .

فلما رأى إيمانهم قال له « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » . فقال الكتبة والفريسيون في نفوسهم « من هذا الذي يتكلم بتجديف ؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ » فعرف يسوع أفكارهم وقال لهم « ماذا تفكرون في قلوبكم ؟ أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا أقول لك أيها المفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك » ففي الحال قام أمامهم وحمل فراشه ومضى .



« السيد المسيح يقيم ابنة ياروس »

وذهب إلى مدينة تدعى نازين ، فأذا ميت محمول هو الابن الوحيد لأمه الأرملة . فلما رآها يسوع تحن عليها وقال لها « لا تبكي » ثم تقدم وقال « أيها الشاب لك أقول قم » . فجلس الميت وابتدأ يتكلم .

وجاء إليه رجل اسمه ياروس وجثا عند قدميه ، راجياً إياه أن يدخل بيته لأن ابنته الوحيدة تموت . ولكن مالبث أن أقبل واحداً من داره وقال

له « مانت ابنتك فلا تتعب المعلم » . فالتفت إليه يسوع قائلاً لا تخف آمن فقط فهي تشفى » . فلما جاء إلى البيت كانوا يبكون عليها ويلطمون وقد تحققوا من موتها ، فأخرج الجميع وأمسك بيدها ونادى قائلاً « يا صبية قوى » ، فرجعت روحها وقامت في الحال .

ومرض لعازر الذى كان يسوع يحبه مع أختيه مريم ومرتثا ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين « ياسيد . هوذا الذى تحبه مريض » فلما أتى يسوع وجد أنه مات منذ أربعة أيام ، وقالت له مرتثا « ياسيد . لو كنت ها هنا لم



« السيد المسيح يقيم لعازر من الموت »

يمت أخى » ، فقال لها يسوع : « سيقوم أخوك » . وجاء إلى القبر . وقد وضع عليه حجر فقال يسوع « إرفعوا الحجر » فقالت له مرتثا « ياسيد قد انتن لأن له أربعة أيام » . قال لها يسوع « إن آمنت ترين مجد الله » ، فرفعوا الحجر ورفع يسوع عينيه إلى فوق ، وصلى ثم صرخ بصوت عظيم

« لعازر هلم خارجاً » ، فخرج الميت وجسده مربوط بأقطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع « حلوه ودعوه يذهب » .

وكان الفريسيون لا يفتأون يسألون يسوع ليجربوه ويمسكوا عليه سقطه ، فقالوا له « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ » فقال لهم « بماذا أوصاكم موسى ؟ » فقالوا « إنه أذن بأن يكتب كتاب طلاق فتطلق » فأجاب يسوع وقال لهم « من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنين جسداً واحداً . إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان » .

وقالوا له ليصطادوه بكلمة « يامعلم قل لنا ، أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ » فعلم يسوع خبثهم وقال « لماذا تجربونني يامراؤون ؟ أروني معاملة الجزية » فقدموا ديناراً فقال لهم « لمن هذه الصورة والكتابة ؟ » قالوا له « لقيصر » فقال لهم « أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

وكان بالهيكل فقدموا له امرأة أمسكت في زنا قائلين « يامعلم ، هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل . وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترحم . فماذا تقول أنت ؟ » فانحنى يسوع وراح يكتب بأصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم « من كان منكم بلاخطية فليرمها أولاً بحجر » . ثم انحنى ثانية وراح يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا وكانت ضماثرهم تبكتهم خرجوا واحداً واحداً وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط . فلما نظر يسوع ولم يجد أحداً

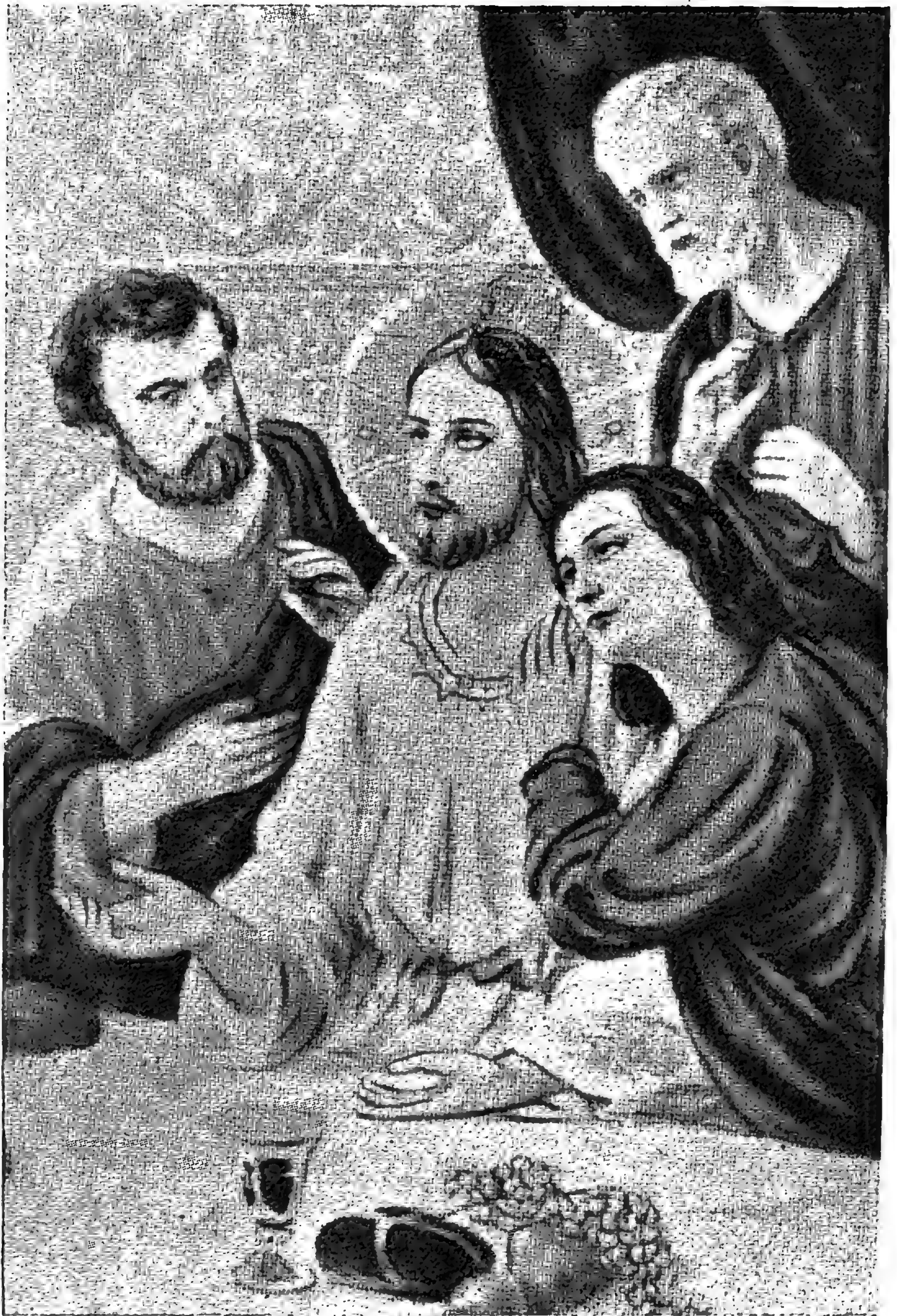
سوى المرأة قال لها « يا امرأة أين المشتكون عليك؟ أما أدانك أحد؟ »
فقلت « لا أحد ياسيد » فقال لها يسوع « ولا أنا أدينك . إذهبي
ولا تخطئي مرة أخرى » .

وكان يسوع في تلك الأيام قد اختار ممن تبعوه اثني عشر تلميذاً هم :
سمعان الذي سماه أيضاً بطرس . وأندراوس أخوه . ويعقوب . ويوحنا .
وفيلبس . وبرثلماوس . ومتى . وتوما . ويعقوب بن حلفي . وسمعان
القانوني . ويهوذا أخو يعقوب . ويهوذا الأسخريوطي . وقد أعطاهم
قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء الأمراض وأرسلهم ليكرزوا
بملكوت الله .

ثم بعد ذلك عين سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين إلى كل
مدينة وموضع .

٧- أنا أمر على يسوع :

فلما كثرت آيات يسوع والتفت الجموع حوله تستمع إلى تعاليمه وتمجد
معجزاته ، وقد قضى أكثر من ثلاث سنوات يعلم ويصنع العجايب ، اجتمع
رؤساء الكهنة والفريسيون وراحوا يتآمرون ويتشاورون قائلين : « ماذا
نصنع ؟ » . فقال قيافا رئيس الكهنة : « إنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك
أمة كلها » ومن ذلك اليوم قرروا أن يقتلوه ، وترقبوا فرصة لذلك . حتى
تقدم إليهم يهوذا الأسخريوطي أحد التلاميذ وسأوهمهم على تسليمه . فجعلوا
له ثلاثين من الفضة نظير ذلك .



« يسوع مع بعض تلاميذه »

٨ — دخول أورشليم :

أما يسوع فأذا كان عالماً أن ساعته قد جاءت ، قال لتلاميذه « ها نحن صاعدون إلى أورشليم . وأبن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم ، فيمزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم » .



« دخول أورشليم »

ثم تقدم صاعداً إلى أورشليم ، وإذ قرب من بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما « إذهبا إلى القرية التى أمامكما ، وحين تدخلانها ، تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد ، فحللاه وأتيا به ، وإن سألكما أحد لماذا تحملانه فقولاً له الرب محتاج إليه » فمضيا وأتيا بالجحش ، وطرحا عليه ثيابهما ، وأركبا يسوع . وفيما هو سائر فرش كثيرون ثيابهم في الطريق وآخرون قطعوا

أغصاناً من الشجر وفرشوها كذلك . وكانوا يصرخون قائلين « أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب ملك اسرائيل . أوصنا في الأعلى » ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها .

٩ — حفلة الوداع :

وفي أول أيام الفصح ، أرسل يسوع اثنين من تلاميذه وقال لهما « إذهبا إلى فلان ، وقولا له المعلم يقول إن وقتي قريب ، عندك أصنع الفصح مع تلاميذي » ففعلوا كما أمرهما . فلما اتكأ مع تلاميذه ، قال لهم « شهوة



« حفلة الوداع »

اشتيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتالم » . ثم أخذ الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال « خذوا كلوا هذا هو جسدي » وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً « إشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »

وفياهم يأكلون قال « الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى »
فحزنوا جداً ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له « هل أنا هو يارب » فأجاب
وقال « الذى يغمس يده معى فى الصحيفة هو يسلمنى » ثم التفت إلى يهوذا
قائلاً له « ما أنت فاعل قم وافعله سريعاً » فقام وخرج وحينئذ قال يسوع
« الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه ، يا أولادى أنا معكم زماناً قليلاً
بعد . ستطلبوننى وحيث أذهب أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا » .

ثم رفع يسوع عينيه نحو السماء وقال « أيها الآب قد أتت الساعة . العمل
الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاك بالمجد
الذى كان لى عندك قبل كون العالم » .

١٠ - الآلام والصلب :

وبعد ذلك خرج يسوع مع تلاميذه إلى جبل الزيتون وهناك بدأ
يكتئب وقال لتلاميذه « نفسى حزينة جداً حتى الموت » ثم قال لهم « أمكثوا
هنا حتى أصلى ، ثم تقدم وجثا على ركبتيه وصلى بحرارة ، وعرقه يسيل
كقطرات الدم قائلاً « يا أبتاه إن شئت فاعبر عني هذه الكأس . ولكن
لا تكن لا إرادتى بل إرادتك » . وبعد أن قضى فى الصلاة وقتاً طويلاً
يكرر الرجاء والابتهال ، عاد إلى تلاميذه وقال لهم « قد أتت الساعة ،
هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة » .

وحينئذ أقبل يهوذا ومعه جنود رؤساء الكهنة والفريسيين وجمع كثير

بسيوف وعصى . وكان يهوذا قد قال لهم « الذي أقبله امسكوه » . فتقدم إليه قائلاً « ياسيدى » وقبله . فقال له يسوع « يا يهوذا أبقبله تسلمنى ؟ » .

وألقوا أيديهم عليه ، فاستل سمعان بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، فقال له يسوع « رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف يهلكون » .

ومضوا بيسوع إلى قيافا رئيس الكهنة . وكان الحاضرون جميعاً يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه ، فلما لم يجدوا قام رئيس الكهنة وقال له « هل أنت المسيح ابن الله ؟ » فأجاب قائلاً « أنت قلت » فمزق رئيس الكهنة ثيابه والتفت إلى الجميع قائلاً « ها قد سمعتم تجديفه ، فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ » فصاحوا قائلين « إنه مستوجب الموت » ، ثم يصبقوا في وجهه وراحوا يهزأون به ويلطمونه قائلين « تنبأ من الذى لطمك ؟ »

وجاءوا بعد ذلك إلى بيلاطس قائلين « إننا وجدنا هذا يفسد الأمة مدعياً أنه ملك » . فاستجوبه بيلاطس ، ثم اتجه إلى رؤساء الكهنة والمجمعين قائلاً « إنى لا أجد علة في هذا الإنسان » .

وكانت العادة أن يطلق الوالى للجموع أسيراً واحداً تختاره ، فقال لهم بيلاطس « من تريدون أن أطلق لكم يسوع أم باراباس ؟ » - وكان هذا لصاً وقاتلاً - فقالوا : « أطلق لنا باراباس » فقال « فماذا أفعل بملك اليهود ؟ » فصرخوا قائلين « اصلبه . اصلبه » . فعاد وقال لهم « أى شر فعل ؟ إنى

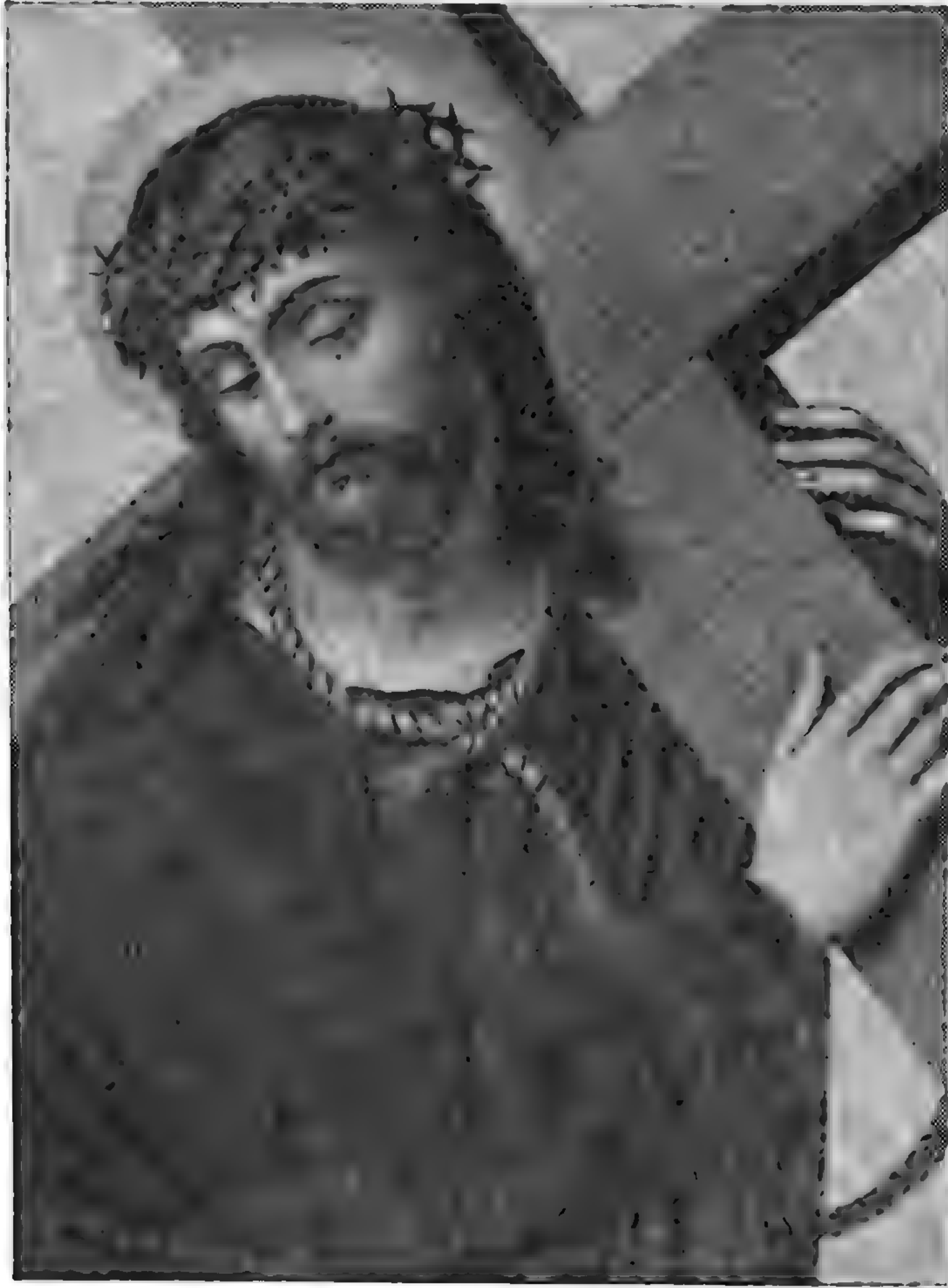
لا أجد فيه علة للموت » . فصاحوا أيضاً وقد ازداد هياجهم قائلين « اصلبه اصلبه » . فأخذ بيلاطس ماءً وغسل يديه أمام الجميع وقال « إني بريء من دم هذا البار » .

فأجاب الشعب قائلاً « دمه علينا وعلى أولادنا » . وحينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصليب .

فمضى به الجنود إلى داخل دار الولاية ، حيث ألبسوه أرجواناً، وضمفروا إكليلاً من الشوك ووضعوه عليه ، وبدأوا يستهزئون به قائلين « السلام ياملك اليهود » ويضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم . وأخيراً نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلبوه .

وحمل صليبه إلى الموضع الذي يسمونه « جلجثة » وهناك صلبوه . وحينئذ صرخ يسوع قائلاً « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » وصلبوا معه لصين واحد عن يمينه والآخر عن يساره . وكتبوا فوقه « هذا هو ملك اليهود » ، واقتسموا ثيابه واقترعوا عليها . وراحوا يهزأون به قائلين « ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك » . وقال له أحد اللصين المصلوبين معه « إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وخلصنا » فانتهره اللص الآخر قائلاً « أولاً تخاف الله ، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فنبعدل جوزينا لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يرتكب شراً » ثم التفت إلى يسوع قائلاً « أذكرني يارب متى جئت في ملكوتك » فقال له يسوع « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس » .

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها . وفي الساعة
التاسعة صرخ يسوع قائلاً « إلهي إلهي لماذا تركتني » . ثم قال « أنا عطشان »



« السيد المسيح يحمل صليبه »

فلما وا إسفنجة من الخل ووضعوها على قصبه ورفعوها إليه . وأخيراً نادى
بصوت عظيم قائلاً « يا أبتاه في يديك أستودع روحي » ، ثم أسلم الروح .
وحينئذ انشق حجاب الهيكل والأرض تزلزلت والصخور تشقق
والقبور تفتحت والأموات قامت وملاً الخوف قلوب الجنود الذين



« السيد المسيح على الصليب »

كانوا يحرسون يسوع ، فصرخوا قائلين « حقاً كان هذا ابن الله » .
وراح المجتمعون كلهم من الفرع والندم يقرعون صدورهم .

ثم لكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت ، طلب اليهود من
بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين ويرفعوا . فكسر الجنود سيقان اللصين
وأما يسوع فحين جاءوا إليه وجدوه قد مات ، فتقدم أحد الجنود وطعن
جنبه بخربة فخرج منه دم وماء .

وفي المساء تقدم رجل من الرامة اسمه يوسف إلى بيلاطس وطلب جسد
يسوع ، فلما أذن له أنزل الجثمان ولفه بكتان ووضع في قبر جديد لم يوضع
فيه أحد من قبل ، ثم دحرج حجراً كبيراً على بابه .

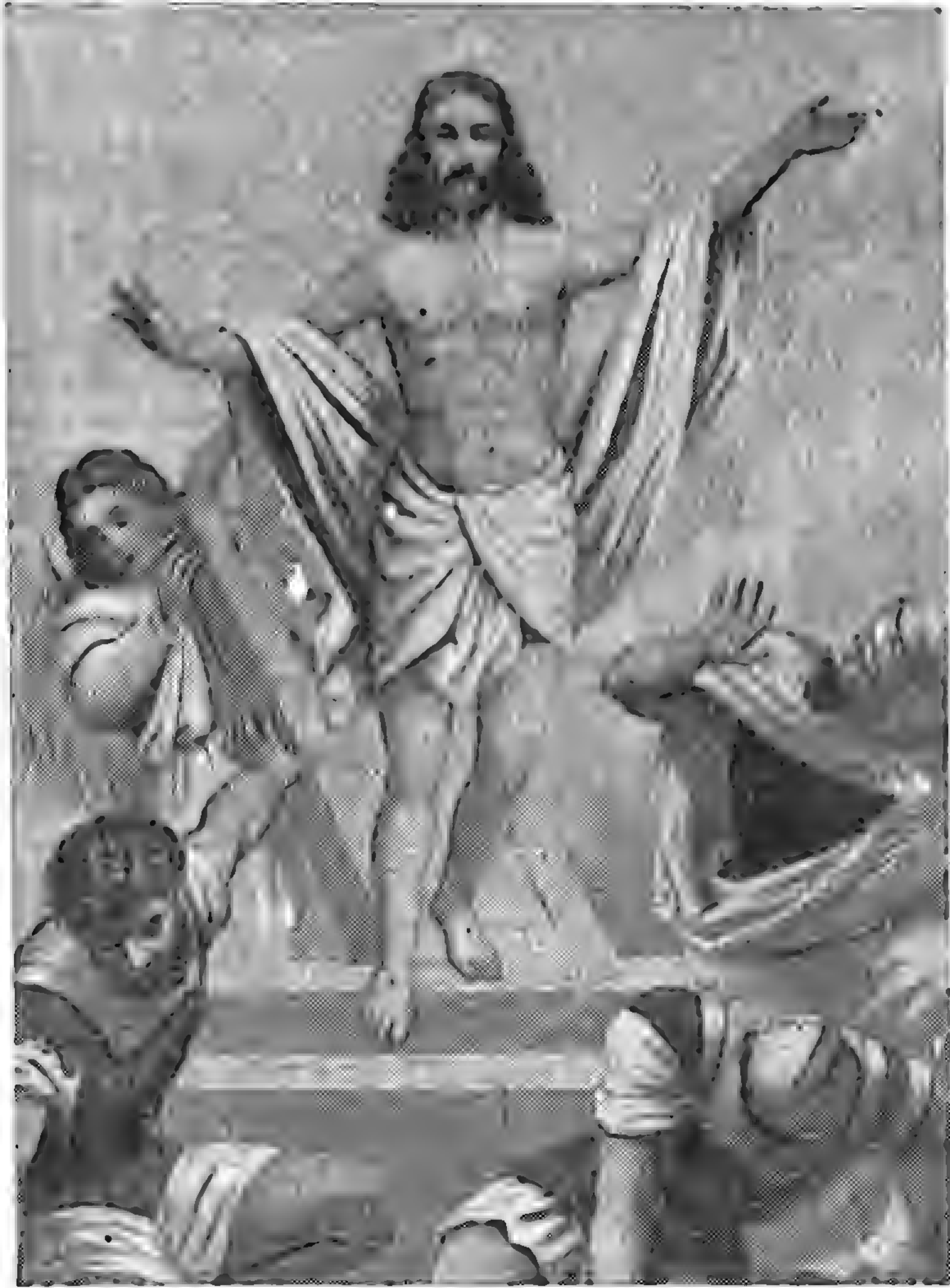
وفي الغد جاء رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس وقالوا « قد
تذكرنا أن ذلك المضل قال إنى بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر لئلا
يأتى تلاميذه ويسرقوه ، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة
الأخيرة أشد من الأولى » .

١١ — القيامة :

وفي فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب إلى القبر
لتدهنا جسد يسوع بالطيب والحنوط فوجدتا الحجر مرفوعاً عن القبر ولم
تجداه جسد يسوع في مكانه ورأتا رجلاً جالساً بثياب بيض ، فدهشتا وخافتا
فقال لهما « لا تخافا فإن يسوع الذى تطلبانه قد قام . فاذهبا وقولا لتلاميذه »
فانطلقتا فرحتين .

وفياهما تركضان رأتا يسوع فخافتا وسجدتا له فقال لهما يسوع « لا تخافا
واذهبا إلى إخواني وقولا لهم أن يسبقوني إلى الجليل وهناك يرونى » فذهبتا

وقالنا للتلاميذ قلم بصدقوها . حتى إذا كانت عشية ذلك اليوم ، كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مغلقة فجاء يسوع ووقف في وسطهم قائلاً لهم



« قيامة السيد المسيح »

« سلام لكم » ، ثم أراهم يديه ورجليه وجنبه ، ففرحوا جداً إذ رأوا الرب . فقال لهم يسوع أيضاً « سلام لكم . كما أرسلني الآب أرسلكم أنا »

ثم نفخ وقال « إقبلوا الروح القدس » ثم قال لهم « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل يوم إلى انقضاء الدهر » .



« صعود السيد المسيح »

١٢ - الصعود :

وظهر يسوع بعد ذلك مراراً لتلاميذه . وبعد أربعين يوماً من قيامته اجتمع بهم على جبل الزيتون وراح يعلمهم ثم ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم .

تحقق النبوءات

وبميلاد المسيح وموته وقيامته وصعوده تحققت نبوءات العهد القديم التي فاه بها الأنبياء قبل ذلك بأجيال طويلة :

فقد جاء في نبوءات أشعياء النبي أنه « يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (أش ١١ : ١)

وجاء في نبوءات أشعياء كذلك « ويخرج قضيب من جذع يسي ويفت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب . ولدته تكون في مخافة الرب ، فلا يقضى حسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفثيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه » (أش ١١ : ١) .

وعن ولادته من عذراء تقول نبوءات أشعياء : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) .

وعن نشأته في بيت لحم تقول نبوءات النبي ميخا : « أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢) .
وعن آلامه جاء في مزامير داود النبي : « لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدي ورجلي . أحصوا كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقتربون » . (مز ٢٢ : ١٦) .

وجاء في المزامير كذلك : « ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلا » (مز ٦٩ : ٢١) .

وجاء في نبوءات أشعيا : « بذلت ظهري للضاربين وخذى للناتقين . وجهي لم أستر عن العار والبصق » (أش ٥٠ : ٦) .

وعن آلامه وموته جاء كذلك في نبوءات أشعيا : « محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن وكستر عنه وجوهنا . محتقر فلم نعتد به . ولكن أحزاننا حملها . وأوجاعنا تحملها . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه . وبحبره شفيننا . كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتدلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامئة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء . أنه ضرب من أجل ذنب شعبي وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه الحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلنا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الاعزاء ومع العطاء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أئمه وهو خمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » . (أش ٥٣ : ٩)

وعن قيامته جاء في مزامير داود النبي : « أنا اضجعت ونمت . إستيقظت لأن الرب يعضدني » . (مز ٣ : ٥)

وعن صعوده جاء في المزامير « صعدت إلى العلاء » (مز ٦٨ : ١٨) .

وثائق رسمية

والمسيحيون يستمدون نسيرة السيد المسيح من الكتاب المقدس ومن أفواه رسله الذين رأوه وآمنوا به وبشروا العالم برسالته ، وكذلك من الوثائق التاريخية التي وجدت في أوراق الولاة والملوك الذين عاصروه ، ومن أشهرها وثيقتان رسميتان :

١ — الوثيقة الأولى : أوردها المؤرخ يوسابيوس في كتابه ، ذاكراً أن الملك إيجارا ملك « إيديسا » الذي كان يحكم الشعوب القاطنة وراء نهر الفرات أصيب بمرض عضال عجز عن شفاؤه الأطباء ، وقد انتهت إلى سمعه أنباء يسوع ومعجزاته ، فبعث إليه برسالة مع رسول خاص يدعوهُ للقدوم إليه . وقد نقل المؤرخ القديم نص هذه الرسالة كما نقل رد السيد المسيح عليها ، وما تلاها من أحداث ، من مستندات مملكة « إيديسا » وكانت محفوظة في عصره في السجلات العامة الرسمية المتضمنة أعمال ملوكها . وقد ورد في هذه السجلات ما يلي :

الرسالة التي كتبها إيجارا الحاكم إلى يسوع ، وأرسلها إليه في أورشليم على يد حنانيا ، الساعى النشيط :

« السلام من إيجارا حاكم إيديسا إلى يسوع المخلص السامي الذي ظهر في مملكة أورشليم — لقد سمعت أنباءك وآيات الشفاء التي صنعتها بدون أدوية أو عقاقير ، لأنه يقال أنك تجعل العمى يبصرون والعرج يمشون ، وأنت تطهر البرص وتخرج الأرواح النجسة والشياطين ، وتشفى المصابين بأمراض مستعصية وتقيم الموتى — وإذ سمعت كل هذه الأمور عنك ، إستفتجت أحد أمرين كلاهما صحيح فأما أنك أنت الله هبطت من السماء ، وإما أنك ابن

الله إذ تصنع هذه الأمور - لذلك كتبت إليك راجياً أن تكلف نفسك مشقة المجيء إلى ، لتشفي من المرض الذي أعانيه، لأنني سمعت أن اليهود يتآمرون عليك لإبذائك ، ولدى مدينة جميلة ، تتسع لكلينا على صغرها »

ثم وردت بعد ذلك إجابة السيد المسيح على الحاكم إيجارا بيد الرسول حانانيا :

« طوبى لك يا من آمنت بي دون أن تراني . لأنه مكتوب عني أن الذين رآوني لا يؤمنون بي ، أما الذين لم يروني فيؤمنون ويخلصون . أما عن مجيئي إليك ، فأني مضطر أن أتم هذا الرسالة التي جئت من أجلها . وبعد ذلك أعود إلى الذي أرسلني . على أنه بعد صعودي سأبعث إليك بأحد تلاميذي ليشفي مرضك ، ويعطي حياة لك ولآلئك » .

وقد ورد بعد ذلك في السجلات بيان مؤداه أن يسوع بعد صعوده أرسل يهوذا الذي يدعى تداوس أحد السبعين رسولاً إلى إيجارا ، فشفاه من مرضه ، كما شفى كثيرين غيره وبشرهم بالمسيح .

٢ - والوثيقة الثانية : هي تقرير رفعه يوليوس والى الجليل إلى قيصر روما تيباريوس ، وقد أورده يوستينوس وترتيليا نوس من علماء القرن الثاني ، وقد جاء بهذا التقرير :

« إنه يوجد أيها القيصر في عصرنا هذا رجل اسمه يسوع يسير على مقتضى الفضيلة العظمى ، ويتخذ الشعب نبياً ، ويقول تلاميذه أنه ابن الله خالق السموات والأرض . والحق أننا نسمع يامولاي عن يسوع هذا أموراً عجيبة ، فإنه يقيم الموتى ويشفي المرضى بكلمة واحدة - وهو إنسان معتدل القامة ، جميل الصورة ، ذو هيئة كاملة البهاء ، حتى ليضطرب من ينظر

إليه أن يحبه ويخافه ، وقد استرسل شعره ، مغطياً أذنيه ثم منسدلاً على كتفيه ، فى لون رمادى ولكنه يشع منه الضياء ، وجبينه متسع أغر ، شأن كل الناصريين ، ووجهه مستو لا غضون فيه ، وأنفه معتدل ، وفه بلا عيب ، وعيناه تشعان كالشمس ، فلا يمكن لإنسان أن يحدق فيها .. وإذا عنف أربب . وإذا وعظ أبكى . وهو يبدو فرحاً وإن كانوا يقولون أنهم ما رأوه ضاحكاً قط . وبكلامه يأسر الكثيرين . وبه شبه كبير من أمه التى هى أجمل نساء هذه النواحي — فأن كنت تحب يامولاي أن تراه ، فانبثني وأنا أرسله إليك فى الحال — فضلاً عن أنه أذهل أورشليم كلها بمعرفته ، لأنه يستوعب كل العلوم ، رغم أنه لم يدرس منها شيئاً البتة . والحق أن الناس ما سمعوا قط مثل ما سمعوا من يسوع هذا ولذلك فأن كثيرين من علماء اليهود يعتبرونه إلهاً ، فى حين أن كثيرين يبغضونه قائلين أنه ينقض شرائع جلالكم ، ولذلك أشعر بالقلق من كلام أولئك العبرانيين . فى حين أننى أسمع أنه ما أساء إلى أحد قط ، وإنما على العكس يقول أولئك الذين عرفوه واختبروه أنهم حصلوا منه على نعمة عظيمة وصحة كاملة — وإننى لأعبر عن طاعتي لجلالكم واستعدادى لتنفيذ أوامر عظمتكم »

البحث الثاني

رسل السيد المسيح

أعمال الرسل

بعد أن صعد يسوع إلى السماء ، عاد تلاميذه إلى أورشليم وظلوا بها ،
امثالاً لأمره إذ قال لهم «أقيموا في أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعلى»
وهناك صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون بها وراحوا جميعاً يواظبون
على الصلاة والابتهاال مع النساء ومريم أم يسوع وإخوته، وفي هذه الأثناء
انتخب التلاميذ متياس ليحل محل يهوذا الأسخريوطي .

وفي يوم الخميس كانوا يصلون جميعاً بحرارة ، فانطلق فجأة صوت من
السماء كهبوب الريح العاصفة وملاً البيت كله ، وظهرت لهم السنة منقسمة
كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم فامتلاً الجميع من الروح
القدس وابتدأوا يتكلمون بلغات مختلفة ، وكان هنالك يهود من
كل أمة فبهتوا مमारأوا وسمعوا وآمن كثيرون وقد عمد التلاميذ في ذلك
اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس .

ثم بدأ تلاميذه - وقد امتلاًوا من الروح القدس - يصنعون من الآيات
والعجائب ما كان يسوع يصنعه : فقام بطرس يدخل الهيكل رأى رجلاً
مقعداً يستجدي فقال له : « ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فأياه
أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش » فقام ومشى . ومر في

موضع آخر برجل مفلوج ومطروح على فراشه منذ ثمانى سنوات اسمه إينياس فقال له : « يا إينياس يشفيك يسوع المسيح » فشفي وقام فى الحال . وكان فى يافا صبية اسمها طابيثا ، مرضت وماتت ، فأرسلوا يطلبون بطرس فجاء وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت إلى الصبية المسجاة وقال « يا طابيثا قومي » ففتحت عينيها وقامت ، فأمن كثيرون ، وكانوا يحملون المرضى فى الشوارع ويضعونهم فى طريق بطرس حتى إذا جاء يخيم ولو ظله عليهم . فغتاظ رؤساء الكهنة وأمسكوا بطرس وألقوه فى السجن .

وكان اسطفانوس يصنع آيات وعجائب عظيمة فبهجوا الشعب عليه وأخذوه إلى خارج المدينة وراحوا يرمونه وهو يدعو قائلاً : « أيها الرب يسوع إقبل روحي » حتى رقد أخيراً ومات . وفى ذلك اليوم حدث اضطهاد عظيم لكل الذين آمنوا بيسوع ، فراح اليهود وعلى رأسهم رجل اسمه شاول يدخلون البيوت ويخطفون الرجال والنساء ويلقون بهم فى السجون .

وكان شاول ممتلئاً حقداً على المسيحيين ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ليقبض عليهم ويسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفيما هو فى الطريق وقد اقترب من دمشق أ برق حوله بغيته نور من السماء فسقط على الأرض وقد عميت عيناه وسمع صوتاً يقول له : « شاول ، شاول لماذا تضطهدنى » فقال « من أنت ياسيد ؟ » فقال « أنا يسوع ، الذى أنت تضطهده » فقال وهو يرتعد « يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ » فقال له « قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل » . وفى دمشق أرسل إليه الرب تلميذاً اسمه حنانيا قائلاً له فى رؤيا « اذهب إليه لأنه إنا مختار ليحمى اسمى أمام أمم وملوك بني اسرائيل » . فمضى ووضع عليه يديه فلما وقع من عينيه شيء كالقشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد وللوقت جعل يكرز فى المجمع

بالمسيح . فتشاور اليهود ليقتلوه فأخذوه التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السور
فرحل إلى أورشليم وراح هناك يجاهر باسم يسوع . فحاولوا أن يقتلوه
فأخذوه الأخوة وأرسلوه إلى طرسوس .

وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن
بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم ، ولكن هؤلاء احتملوا كل صنوف
العذاب والإهانة بل والموت في سبيل نشر دعوة الخلاص وتبشير كل الأمم
بقيامه السيد المسيح ، فأسسوا كثيراً من الكنائس المسيحية في السامرة
والجليل وفينيقية والشام وأنطاكية . ولم يمض القرن الأول حتى كانوا قد
أبشروا معظم أقطار المسكونة وأسسوا كنائس في كل مكان ، وكتبوا
الإنجيل ، والرسائل التي بعثوا بها إلى الأمم فكانت هي الشعلات التي أضاءت
سبيل الإيمان بالمسيح وأصبحت نصوصها هي شريعة المسيحيين في
كل العصور .

فمن الرسل أربعة كتبوا الإنجيل التي تسمى كذلك بالبشائر . وخمسة
كتبوا الرسائل . والباقون اقتصروا على التبشير ونشر الدعوة في كل أنحاء
العالم . وهذه كلمة موجزة عن البارزين منهم :

١ - متى البشير :

ويدعى لاوى بن حلفي . وكان من العشارين أي جباة العشور - وهي
الضرائب - في كفرناحوم . وقد كان من أوائل من اختارهم المسيح ، إذ صر به
وقال له اتبعني فترك كل شيء وقام وتبعه . ثم اختاره يسوع بعد ذلك ضمن
الإثني عشر تلميذاً وبعد صعود السيد المسيح طلب إليه المؤمنون أن يكتب
لهم الإنجيل باللغة الآرامية فأجابهم إلى طلبهم . وقد بشر في فلسطين . وفي

صور وصيدا ، ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب كثيرة فأمن على يديه كثيرون ، ومن ثم أطلق الملك عليه جنوده فأمسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيداً .

٢ - مرقس البشير :

واسمه يوحنا وأما مرقس فلقبه . وأصله من اليهود القاطنين بالخمس مدن الغربية في شمال أفريقيا ، وقد هاجر أبواه إلى فلسطين موطن أجدادهما وأقام في أورشليم . وكان مرقس من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختره ضمن السبعين رسولا ، وكان يتردد على بيته ، ويقال أنه أكل الفصح عنده مع تلاميذه ، وأن في بيته حل الروح القدس على التلاميذ . وقد بشر في أنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية ، ثم قصد إلى مصر فأسس كنيسة و كان أول بطريرك لها ، ثم غادرها إلى روما حيث وقع في الأسر مع بولس . وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية ، كما وضع القديس الذي اقتبس منه بعد ذلك القديسون باسيليوس وغريغوريوس وكيرلس . ثم عاد إلى الإسكندرية فأسس فيها أول مدرسة لاهوتية ، وبني كنيسة في بوكاليا بالقرب من شاطئ البحر ، وراح يدعو للإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً .

٣ - لوقا البشير :

وقد ولد في أنطاكية ودرس الطب ومارسه . وكان مرافقاً لبولس الرسول في أسفاره وخاصة في روما . وقد كتب إنجيله باليونانية ، كما كتب أعمال الرسل ، ومات شهيداً في مدينة تراس .

٤ - يوحنا البشير :

وقد ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل وهو ابن زبدي وسالومي

وأخو يعقوب ، وكانت أمه أخت العذراء مريم ، وكان يعمل هو وأخوه مع أبيهما زبدي في صيد السمك ، فأمرهما السيد المسيح أن يتبعاه فتركا أباهما وتبعاه ، وقد دعاها السيد « بوانرجس » أى إبنى الرعد لشدة غيرتها وعظيم إيمانها ، وكان يوحنا ويعقوب وبطرس مع السيد المسيح عند إقامة إبنة يايروس وفي حادثة التجلي وفي بستان جثيانى وعند التنبؤ بخراب الهيكل ، وقد انفرد يوحنا فى الإنجيل بالنص على أن يسوع كان يحبه ، كما انفرد بالاتكاء على صدره ليسأل عن يسلمه . وهو الذى أمره السيد مع بطرس بأعداد الفصح وهو وحده الذى كان يسير دون خوف أثناء محاكمة يسوع . وقد رافقه عند الصلب فسلمه السيد والدته إذ قال لها : « يا امرأة هوذا إبنك » ، ثم قال ليوحنا « هوذا أمك » ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته . وبعد القيامة وحلول الروح القدس اشترك يوحنا مع بطرس فى إقامة المقعد عند باب الهيكل ، وفى الذهاب إلى السامرة لوضع الأيدي على المؤمنين بها فحل عليهم الروح القدس . وقد مضى يوحنا إلى بلاد آسيا الصغرى وبدأ عمله فى مدينة أفسس ، وقد أخذ السيدة العذراء معه ، وهناك أقام طفلاً ميثاً فأمن أهل المدينة على يديه وقد رسم لهم كهنة وأساقفة يتولون رعايتهم وكان يخرج من أفسس إلى نواح أخرى فى آسيا لنشر الدعوة وأسس كنائس كثيرة فى تلك البقاع . ثم حكم عليه بالنفى فى عهد الإمبراطور دومتيانوس إلى جزيرة بطمس وهناك كتب سفر الرؤيا . وبعد قتل دومتيانوس سنة ٩٦ ميلادية رجع يوحنا إلى أفسس ، وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية . وكانت تسود كل كتاباته روح المحبة ، حتى أنه حين تقدمت به السن جداً وأقعده الشيخوخة عن السير كانوا يحملونه إلى الكنيسة ويرفعون يديه ليقول كلمة واحدة هى « يا أبنائى أحبوا بعضكم بعضاً » . ومات وقد تجاوز المائة من عمره ودفن بالقرب من مدينة أفسس .

٥ - بواس الرسول :

وقد ولد في طرسوس بآسيا الصغرى من أبوين يهوديين ، وكان مكتسباً الرعوية الرومانية ، حتى إذا أكمل تعليمه بطرسوس أرسل لاورشليم ، حيث تفضلع في انناموس على يد غملائيل أشهر علماء اليهود في عصره . وكان في بداية الامر معادياً للمسيحيين - وهو الذى كان يسمى شاول - حتى ظهر له يسوع وهو في طريقه إلى القبض عليهم وصنع معجزة معه فأمن ، وأصبح من أشد المبشرين غيرة وإخلاصاً ، وقد خصص لتبشير الأمم ، ومع أنه لم يكن من الإثني عشر أو من السبعين رسولاً ، فقد قام بأعظم عمل تبشيري في تاريخ المسيحية ، وقد طاف بلاد آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا متنقلاً بين قبرص وأنطاكية وأفسس وبسيدية وأيقونية ولسترة ودرنة وكيليكية وليكاؤونية وغلاطية وتراوس وفيلبي وتسالونيكى وبيرية وأثينا وكورنثوس وروما . ويقال أنه بلغ أسبانيا وبلاد غالة أى فرنسا وإنجلترا وأقصى تخوم الغرب وأسس عدة كنائس في آسيا وأوروبا وكان يوالىها بالزيارة . وقد تحمل في سبيل ذلك اضطهادات كثيرة حتى استشهد أخيراً في روما على عهد نيرون سنة ٦٨ ميلادية . وقد كتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية .

٦ - يعقوب الرسول :

وهو يعقوب بن حلفى أخو متى البشير ويدعى بالصغير تمييزاً له عن يعقوب بن زبدي أخى يوحنا الإنجيلي . وكان لاشتهاره بالطهارة يعرف بـ يعقوب البار . وكانت أمه تدعى مريم ، وهى أخت العذراء وزوجة كلوبا وقد كانت واقفة من بعيد مع الأخريات عند الصليب بين اللواتى تبعن

يسوع من الجليل وكن يخدمه ، وقد تكون هي « مريم الأخرى » التي كانت جالسة مع المجدلية عند القبر حين دحرج الحجر عن بابه . وكان يعقوب مع التلاميذ في العلية بعد صعود السيد المسيح ، وهو أحد التلاميذ الإثني عشر ، وأول أسقف على مدينة أورشليم ورئيس أول المجامع المسيحية . وهو الذي كتب الرسالة التي تحمل اسمه . وقد استاء رئيس كهنة أورشليم من انتشار المسيحية على يد يعقوب فأجبره على الصعود فوق جناح الهيكل كي يشهد أمام اليهود ضد المسيح فوقف وقال لهم : « إن يسوع جالس الآن في الأعلى عن يمين الرب » . فألقوه من فوق جناح الهيكل ثم رجموه حتى مات شهيداً في نحو سنة ٦٢ ميلادية ودفن حيث مات بقرب الهيكل .

٧ - بطرس الرسول :

وهو سمعان بطرس من مدينة صيدا الواقعة على بحيرة طبرية . وكان أخوه أندراوس تلميذاً ليوحنا المعمدان ، فسمع شهادة يوحنا عن يسوع ، فذهب إليه وخاطبه قائلاً « أنت هو المسيح ابن الله الحي » فقال له يسوع « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة » وقد اختاره ضمن الإثني عشر تلميذاً ، وهو الذي طلب إليه يسوع أن يعد مع يوحنا عشاء الفصح قبيل تسليمه لليهود . وحين جاء جنود رؤساء الكهنة والفريسيين للقبض على يسوع استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، وكان ضمن الذين ذهبوا باكراً إلى القبر بعد قيامة السيد المسيح وقد ظهر له السيد عند بحيرة طبرية . وعندما حل الروح القدس على التلاميذ خطب في الجموع فاجتذب إلى المسيحية ثلاثة آلاف نفس ، ثم جرت على يديه المعجزات فشفي المقعدون وأقام الموتى ، فلما رأى الناس العجائب التي يصنعها كانوا يأتون بالمرضى

ليخيم ولو ظله عليهم فيسفيهم . ثم زج به هرودس ملك اليهود في السجن .
ثم بعد إطلاق سراحه ذهب لبشر في أنطاكية ورسم أسقفاً عليها ، كما بشر
في ينطس وغلاطية و كبادوكية وبنثنية في آسيا الصغرى ، وبابلون - أي



« القديسان بطرس ويولس »

مصر - حيث التقى بالرسول مرفس و كتب هنالك رسالته الأولى . ثم ذهب
إلى قيصريّة و كورنثوس ، ثم ذهب أخيراً إلى روما حيث التقى بالرسول
يولس و كان قد سيفه إليها ، فلما انتشرت المسيحية في روما بواسطتهما
قرع الإمبراطور نيرون وأمر بالقبض عليهما ، وقد حكم على بطرس بالصلب

فأبى أن يصلب بالطريقة التي صلب بها سيده ، وطلب أن يصلبوه منكساً ،
وكان ذلك في سنة ٦٥ ميلادية . وله رسالتان .

٨ - يهوذا الرسول :

ويدعى كذلك لساوس ولقبه تداوس وهو ابن حلفى وأخو يعقوب
ويوسى وسمعان ، وهو أحد الإثني عشر تلميذاً . وقد بشر في اليهودية
والسامرة والجليل والآدوم الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة ، وبلاد
العرب وسوريا والعراق . ويقول تاريخ الأرمن القديم أن تداوس هو أول
من بشر بالمسيحية في بلادهم . وأخيراً استقر في بلاد الفرس حيث مات
شهيداً . وهو الذى كتب رسالة يهوذا التى تتضمنها أعمال الرسل .

٩ - متىاس الرسول :

وقد ولد في بيت لحم ، واختاره يسوع ضمن السبعين رسولا ، ثم اختير مع
التلاميذ الأحد عشر بعد صعود المسيح بدلا من يهوذا الأسخريوطى . وقد
بشر في فلسطين وكبادوكية ، من أعمال آسيا الصغرى ، ثم عاد إلى اورشليم
فقام عليه اليهود ورجموه بالحجارة حتى مات . وكان ذلك في نحو سنة
٦٨ ميلادية .

١٠ - فيلبس الرسول :

وقد ولد في بيت صيدا بالجليل . وقد اختاره المسيح قائلاً له « اتبعنى »
فتبعه ، ثم جعله ضمن الإثني عشر تلميذاً . وبعد صعود السيد المسيح انطلق
يبشر في أفريقية حيث آمن على يديه كثيرون ، ثم ذهب إلى هيرابوليس
بآسيا الصغرى ، وصنع هناك عجائب كثيرة ، إلا أن الوثنيين حنقوا عليه

وعذبوه عذاباً أليماً ثم صلبوه منكساً ودفن في هيرابوليس بالقرب من لادوكية .

١١ - برثلماوس الرسول :

وهو ذاته ثنائيل ، وهو من قانا الجليل ، وقد ذهب مع فيلبس ليرى المسيح ، فلما رآه يسوع مقبلاً إليه قال عنه : « هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه » وقد اختاره بعد ذلك ضمن الإثني عشر تلميذاً . وكان هو أحد السبعة الذين ظهر لهم المسيح بعد قيامته عند بحيرة طبرية . وبعد حلول الروح القدس عليه مع التلاميذ انطلق ليُبشر في آسيا الصغرى ، فدخلها بحيلة إذ باع نفسه كعبد ، واشتغل في زراعة الكروم مع سيده الذي اشتراه ، وهناك بدأ يصنع العجائب ويشفي المرضى ويقيم الأموات . ثم ذهب بعد ذلك إلى بلاد الهند واليمن ، وأخيراً عاد إلى بلاد الأرمن وبشر فيها ، فثار عليه كهنة الأوثان في لوكانيا بالقرب من بحر قزوين ، فصلبوه ثم سلخوا جلده وقطعوا رأسه ثم وضعوه في غرارة وألقوه في البحر .

١٢ - سمعان الرسول :

وهو الملقب سمعان القانوني نسبة إلى قانا الجليل ، ويدعى كذلك بالغيور ، وقد اختاره المسيح ضمن الإثني عشر تلميذاً . وقد بشر في أفريقية وبريطانيا وفارس . وحين كان في هذه الأخيرة مع يهوذا الرسول تأمر الكهنة عليهم وحرصوا الشعب على قتلها فنشروا سمعان من وسطه بمنشار وقطعوا رأس يهوذا .

١٣ - أنطراوس الرسول :

هو أخو بطرس الرسول ، وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان ، ولما سمع

عن يسوع ذهب إليه وبقي معه يوماً كاملاً ، ثم حدث أخاه بطرس عنه قائلاً له « قد وجدنا مسياً » الذى تفسيره المسيح . وقد اختاره المسيح ضمن الإثني عشر تلميذاً . ثم بعد صعود المسيح وحلول الروح القدس بشر اندراوس فى فارس وبيزنطية أى الاستانة وخائية ومكدونية أى اليونان . وحين كان فى مدينة بتراس اليونانية ، قبض عليه الوالى وأوسعه ضرباً ثم طاف به عرياناً فى المدينة ثم صلبه على صليب خاص سعى بعد ذلك صليب مار اندراوس ، وقد ظل معلقاً عليه يومين حتى فاضت روحه . ويقال إن زوجة الوالى مكسيميانة آمنت وهو على الصليب وأخذت جسده وكفنته ودفنته فى قبر عظيم .

١٤ - توما الرسول .

ويسمى كذلك ديديموس وقد ولد فى الجليل ، وقد اختاره المسيح ضمن الإثني عشر تلميذاً . وقد أظهر حبه للمسيح فى مواقف كثيرة ، منها أنه حين أعلن السيد رغبته فى الذهاب إلى اليهودية لإقامة اعازر من الموت خشى عليه تلاميذه من اليهود فقال توما « لنذهب نحن أيضاً لنموت معه » ولكنه حين قام المسيح من بين الأموات لم يكن مع التلاميذ حين جاء يسوع فقال له التلاميذ الآخرون « قدرأينا الرب » فقال لهم « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدي فى جنبه لا أؤمن » وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلوا وتوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة . ووقف فى الوسط وقال « سلام لكم » . ثم قال لتوما « هات إصبعك إلى هنا وابصر يدي . وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » فأجاب توما وقال له « ربى وإلهى » ، كما ظهر له يسوع مرة أخرى مع التلاميذ عند بحيرة طبرية . وبعد حلول الروح القدس عليه بشر فى اليهودية

وفارس والحبشة والصين والهند وفي هذه الأخيرة قام عليه عبدة الأوثان وقتلوه طعنًا بالحرايب ودفن في مليابور . وقد أقام البرتغاليون بالقرب من قبره مدينة سموها « سان توما » أي القديس توما .

١٥ - يعقوب الرسول

هو يعقوب بن زبدي أخو يوحنا الإنجيلي ، ويلقب بـ يعقوب الكبير تمييزاً له عن يعقوب بن حلفي ، وهو من بيت صيدا بالجليل ، وأمه سالومة أخت السيدة العذراء مريم ، وكان من أخصاء يسوع مع بطرس ويوحنا ، وكان يسوع يسميه مع أخيه يوانرجس أي ابني الرعد ، وبعد صعود السيد بشر في اليهودية والسامرة في فلسطين إلى حين استشهاد اسطفانوس ، ثم انطلق فبشر في أسبانيا ، وبني بها كنيسة على اسم السيدة العذراء ، ثم عاد إلى أورشليم فقبض عليه هيرودس وقطع رأسه بالسيف . ويقول إكليمنضوس الإسكندري الذي عاش في الجيل الثاني « إن الرجل الذي وشى بـ يعقوب واقتاده إلى ساحة الإعدام تأثر حين رأى قوة إيمانه ورباطة جأشه فتاب واستغفر واعترف بأنه مسيحي فقبله يعقوب وباركه وقطع الجلاد رأس الإثنين معاً » وكان ذلك سنة ٤٤ ميلادية فكان يعقوب بذلك أول من استشهد من الرسل ويقال أن جسده نقل إلى أسبانيا حيث يعتبرونه شفيع كنيستها .

* * *

وهكذا نرى أن جميع الرسل تقريباً استشهدوا وماتوا أشنع ميتة في سبيل النبشير بيسوع الذي تبغوه وآمنوا بدعوته وقيامته بعد موته ، ونشروا رسالته في كل أنحاء العالم ، وبذلك تحققت نبوءة مزموور داوود النبي القائل « في كل الأرض خرج منطقهم » .

خلفاء الرسل

حين كان الرسل يبشرون بالمسيح في البلاد ويكثر المؤمنون على أيديهم ، كانوا يقيمون لهم أساقفة ويكلفونهم بأن يرعوهم كما قال بولس الرسول لأساقفة أفسس : « إحتزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠: ٢٨)

وقد وردت الشروط الواجب توافرها في الأساقفة في رسالة بولس الرسول إلى تيطس ، إذ قال له : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع في الرِّيح القبيح ، بل مضيفاً للغرباء محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً لنفسه ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين » (تيط ١ : ٧) .

وقد منح الرسل أولئك الأساقفة سلطة إقامة القسوس كما قال بولس الرسول في رسالته السالفة الذكر إلى تلميذه تيطس : « تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك » (تيط ١ : ٥) .

كما منحوهم سلطة إقامة شمامسة . وقد وردت الشروط الواجب توافرها في الشمامسة في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس إذ قال له : « يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لسانين ، غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالريح القبيح ولهم سر الإيمان بضمير طاهر » (تيمو ٣ : ٨ - ١٢) .

وأشهر الأسقفيات التي أقيمت في العالم المسيحي وما زالت قائمة حتى اليوم

أسقفيات اورشليم والإسكندرية وأنطاكية وروما . وسنتحدث عن كل منها فيما يلي ، ثم نتبعها ببعض الأسقفيات التي لم تعد قائمة بعد :

١ — أسقفية اورشليم :

كانت اورشليم هي مركز الإشعاع في بشارة السيد المسيح . وقد اختصها في كلامه الأخير قبل صعوده إلى السماء بقوله : « تكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض » ، ولذلك فقد اعتبرت كنيسة أم الكنائس .

وكان أول من أقيم أسقفاً لأورشليم هو يعقوب البار ، تلميذ السيد المسيح ، وقد اعتبر علماء الكنيسة الأوائل ذلك تكريماً له ، إذ قال يوسابيوس نقلا عن إكليمنضوس الإسكندري « إن بطرس ويعقوب ويوحنا ، وقد كانوا مميزين من الرب لم يتخاصموا على المجد معاً بعد صعود المخلص ، بل انتخبوا يعقوب الصديق أسقفاً على اورشليم » . حتى إذا قتل اليهود يعقوب خلفه أخوه سمعان ، أحد السبعين رسولاً ، وقد قبض عليه الإمبراطور تراجان وجلده بالسياط ثم أمر بصلبه فمات شهيداً سنة ١٠٧ ميلادية . وما زال كرسي اورشليم قائماً حتى اليوم .

٢ — أسقفية الإسكندرية :

إمتازت أرض مصر بمجيء السيد المسيح في طفولته إليها ، ثم مجيء رسله بطرس ومرقس وسمعان القانوني ، وقد كان مرقس الرسول هو الذي أسس كنيسة الإسكندرية سنة ٦٢ ميلادية ورسم أول أسقف لها وهو إنيانوس ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة ، وبذلك تم قول أشعيا النبي « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر .. ويعرف



البابا كيرلس السادس

خليفة مرقس الرسول وبطريرك الإسكندرية ورأس المكنيسة القبطية

المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة «
(أش ١٠ : ١٩ - ٢١) .

وما زال كرسى الأسكندرية من أبرز الكراسى الرسولية في العالم
المسيحي ، وقد اشتهر بمحافظته على كل تقاليد الكنيسة الأولى . ويجلس
على كرسى الإسكندرية اليوم البابا كيرلس السادس بطريرك الكرازة
المرقسية ورأس الكنيسة القبطية .

٣ — أسقفية أنطاكية :

بدأت المسيحية تدخل أنطاكية بعد استشهاد اسطفانوس ، ثم دخلها
برنابا ، كما ذهب إليها بولس وبطرس ، ورسم لها أغناطيوس الملقب
بالثيوفورس أسقفاً للمسيحيين الذين من أصل يهودى ، وأفوريوس
المسيحيين من الأمم أى الذين ليسوا من أصل يهودى .

وقد قبض الإمبراطور تراجان على أغناطيوس وأرسله مقيداً بالسلاسل
إلى روما لكي يلقي هنالك للوحوش . فلما وصل إلى أزمير كتب إلى المسيحيين
في روما رسالة يخبرهم فيها أنه قادم ليموت في مدينتهم ويطلب إليهم ألا يحزنوا
من أجله قائلاً لهم : « إننى أشتى الاستشهاد لكى أظهر ذاتى مسيحياً لا بالقول
فقط بل بالفعل » . فلما وصل إلى روما قابله باكين وجائين على ركبهم فصلى
معهم ثم حمله الجند للوحوش فانقضوا عليه ولم يتركوا منه إلا عظاماً ، وقد
جمعها المؤمنون وأرسلوها إلى أنطاكية . وكان ذلك سنة ١١٥ ميلادية .

٤ — أسقفية روما :

دخل الدين المسيحى إلى روما عن طريق بعض أهلها الذين من أصل
يهودى ، وكانوا يزورون اورشليم فعادوا منها بأيمانهم الجديد . وقد كتب

بولس الرسول إلى أولئك رسالته إلى رومية نحو سنة ٥٨ ميلادية ثم ذهب إلى روما بنفسه ، وأقام عليها الأسقف لينوس ، وقد خلفه أنيكليتوس ، ثم إكليميس وهو إكليمنضوس الروماني ، وكان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني فنفاه الإمبراطور تراجان إلى شبه جزيرة القرم ، وهناك وضعوا في عنقه مرساة وطرحوه في البحر فمات شهيداً نحو سنة ١٠٠ ميلادية .

٥ — أسقفية أفسس :

وقد بدأ البشارة في أفسس بولس الرسول ، ومن الأساقفة الذين أقامهم عليها تيموثاوس الذي كتب له بولس رسالتين من رسائله ، وقد قام عليه اليونان واليهود وظلوا يضربونه حتى مات سنة ٩٧ ميلادية ، ونقل جسده إلى القسطنطينية في عهد قسطنطين الكبير . كما ذهب الرسول يوحنا إلى أفسس وذكرها في رؤياه .

٦ — أسقفية أزمير :

وقد بدأ البشارة في أزمير يوحنا الرسول وأقام عليها بوليكريس أسقفاً وخاطبه في رؤياه قائلاً « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » ، وفعلاً ظل أميناً إلى أن مات شهيداً .

٧ — أسقفية أثينا :

وقد كانت أثينا من أوائل البلاد التي قصدتها الرسل للتبشير فيها وأقاموا بها أساقفة . ومن أشهر أولئك الأساقفة ديوناسيوس الأثيني ، وهو عالم يوناني قصد إلى الإسكندرية في شبابه ليتبحر في العلوم الفلكية ، وفي أثناء رصده النجوم والكواكب في يوم من الأيام انكسفت الشمس في رابعة النهار ، وكان القمر في ذلك الوقت بديراً ، مما يخالف قوانين الطبيعة لأن

الشمس لا تنكسف إلا والقمر في المحاق ، فصرخ قائلاً « إما أن إله الطبيعة يتألم أو أن العالم قد قارب نهايته » . ثم دون هذا الحادث في مذكراته ، حتى إذا عاد إلى أثينا سمع خطاب بولس الرسول في أريوس باغوص عن الإله الآب ، وعن إبنه الذى خلص العالم بموته ، والذى اظلمت الشمس وقت آلامه ، فتذكر ما رآه وآمن بيسوع واعتمد من بولس الرسول ، وأقامه بولس أسقفًا على أثينا ، فعمل بها حيناً ثم انطلق يعمل في روما مع أسقفها إكليمنضوس ، ثم غادرها ليبشر في بلاد الغال - أى فرنسا - حتى إذا بلغ باريس قبض عليه الوثنيون هو واثنيان من تلاميذه وعذبوهم عذاباً أليماً ، حتى إذا تمزق لحم ديوناسيوس وكان قد بلغ المائة من عمره ، علقوه على صليب فراح يعط الناس وهو معلق عليه حتى فاضت روحه .

٨ - أسقفية ليون .

من أشهر أساقفة ليون إيريناوس تلميذ بوليكريس أسقف أزمير . وقد اعتنق المسيحية على يديه كثيرون . فلما سمع الإمبراطور سافيروس بذلك أمر بقتل كل من اعتنق المسيحية ، ومن ثم وقعت مذبحة عظيمة راح ضحيتها نحو تسعة عشر ألف نفس ، وكان إيريناوس من أوائل من استشهدوا في هذه المذبحة سنة ٢٠٣ ميلادية .

٩ - أسقفية قرطاجنة :

كان لأسقفية قرطاجنة في عصر الأباطرة الوثنيين شأن كبير وخاصة على يدى القديسين ترتليانس وكبريانس . وقد اشتهر ترتليانس برسائله التبشيرية ومؤلفاته الجدلية الرائعة ، وأما كبريانس فقد استشهد في عهد الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٧ ميلادية .

البحث الثالث

الكتاب المقدس

أسفار الكتاب المقدس

وردت سيرة السيد المسيح وأعمال رسله في الكتاب المقدس ، وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين : العهد القديم . والعهد الجديد .

١ - العهد القديم :

أما العهد القديم فيشمل أخبار العالم منذ بدء الخليقة ، ويتضمن تاريخ اليهود ، وملوكهم ، وشرائعهم ، وأنبيائهم ، وما تنبأوا به . وهو يضم ٤٦ سفرًا تدرج تحت خمسة أقسام كبرى ، وهي :

١ - أسفار موسى التي تتضمن شريعته ، وعددها خمسة ، وهي : التكوين . والخروج . واللاويين . والعدد . والثنية .

٢ - أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهي : يشوع . والقضاة . وراعوث . وصموئيل الأول . وصموئيل الثاني . والملوك الأول . والملوك الثاني . وأخبار الأيام الأول . وأخبار الأيام الثاني . وعزرا . ونحميا . وطوبيا .

- وأستير . ويهوديت . والمكابيين الأول والثاني . وسوسنة . والشيخين .
٣ - أسفار شعرية وعددها ستة وهي : أيوب . والمزامير . والأمثال .
والجامعة . ونشيد الانشاد . ومراثي أرميا .
٤ - أسفار نبوية وعددها ١٧ ، وهي : أشعيا . وأرميا . وباروخ .
وحزقيال . ودانيال . وهوشع . ويوئيل . وعاموس . وعوبديا . ويونان .
وميتخا . وناحوم . وحبقوق . وصفنيا . وحجي . وزكريا . وملاخي .
٥ - أسفار تعليمية وعددها إثنان ، وهي : سفر الحكمة . ويشوع
بن سيراخ .

٢ - العهد الجديد :

وأما العهد الجديد فيتضمن سيرة السيد المسيح وأعمال رسله ورسائلهم
ونبوءاتهم ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - أسفار تاريخية وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وسفر
أعمال الرسل .

٢ - أسفار تعليمية وعددها ٢١ وهي : رسائل بولس وهي رومية .
وكورنثوس الأولى . وكورنثوس الثانية . وغلاطية . وأفسس : وفيلبي .
وكولوس . وتسالونيكي الأولى . وتسالونيكي الثانية . وتيموثاوس الأولى .
وتيموثاوس الثانية . وتيطس . وفليمون . والعبرانيين . وبعد ذلك رسائل
يعقوب . وبطرس الأولى . وبطرس الثانية . ويوحنا الأولى . ويوحنا
الثانية . ويوحنا الثالثة . ويهوذا .

٣ - سفر نبوي وهو رؤيا يوحنا اللاهوتي .

ترجمة الكتاب المقدس

وقد كتب الشطر الأكبر من أسفار العهد القديم في الأصل باللغة العبرية . وكتب العهد الجديد في الأصل باللغة اليونانية .

وقد ترجم العهد القديم إلى لغات كثيرة : وكانت أول ترجمة له هي الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية . وقد نهض بها ٧٢ عالماً من علماء اليهود بالإسكندرية حوالي عام ٢٨٢ قبل الميلاد بأمر بطليموس فيلادلفوس لفائدة اليهود الساكنين في مصر . وقد بدأ الفيلسوف بنتينوس ترجمة العهد القديم بعد ذلك من الترجمة السبعينية إلى اللغة القبطية بين القرنين الثالث والخامس بعد الميلاد .

أما عن الترجمة إلى اللغة العربية ، فيذهب البعض إلى أن أول ترجمة للعهدين معاً كانت عام ٧٥٠ ميلادية بمعرفة يوحنا أسقف أشبيلية بأسبانيا نقلاً عن اللاتينية . إلا أن ذلك غير مقطوع به ، وإن كان يحتمل أن الأناجيل الأربعة قد ترجمت في القرنين الثامن والتاسع من اليونانية أو السريانية أو القبطية . وقد اشتغل أولاد العسال وهم من علماء القبط في القرن الثالث عشر بمراجعة الأناجيل الأربعة والرسائل في اللغات القبطية واليونانية والسريانية والعربية ، وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها بخطهم في نسخة موجودة الآن بالمتحف القبطي .

ثم في القرن السابع عشر ، قام الأب سر كيس الرزى مطران دمشق مع نفر من العلماء بجمع عدة نسخ عربية وقابلوها بنسخ يونانية وانتهوا إلى نسخة منقحة طبعت في روما سنة ١٦٧١ ميلادية .

ثم في القرن التاسع عشر قام المعلم فارس الشدياق بترجمة الكتاب كله وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ ثم طبع العهدان في لندن سنة ١٨٥٧ .

وفي سنة ١٨٥٦ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب المقدس بعناية القس غالى سميت المرسل الأمريكى وبمساعدة المعلم بطرس البستاني والدكتور كرنيليوس فنديك في مدينة بيروت وهى الأكثر شيوعاً اليوم فى الأقطار العربية.

وقد تمت الترجمة اليسوعية بعناية الرهبان اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦ ميلادية .

الفرع الثاني

دخول المسيحية في مصر

البحث الأول

بشارة مرقس الرسول

دخلت المسيحية في مصر على يد مرقس الرسول في منتصف القرن الأول .

ومرقس الرسول هو يوحنا الملقب بمرقس ، أحد الإنجيليين الأربعة ، وأصله من اليهود القاطنين بالخميس مدن الغربية - أي ينطا يوليس الواقعة في الجزء الشرقي من طرابلس الغرب على تخوم مصر الشمالية الغربية - وقد هاجر أبواه أرسطويولوس ومريم إلى فلسطين موطن أجدادهما . ويقال أنه ابن عم زوجة بطرس الرسول وأن أمه مريم هي أخت برنابا الرسول . وكان مرقس في أورشليم وقت ظهور السيد المسيح فكان من أوائل من آمنوا به وقبلوا دعوته ، فاصطفاه من جملة السبعين رسولا . وكان يتردد كثيراً على بيته، وفي

ذلك البيت أكل الفصح مع تلاميذه ، وفيه كانوا يجتمعون بعد قيامة المسيح ، حيث دخل عليهم وأظهر لهم نفسه ، وفي هذا البيت حل الروح القدس عليهم .

وقد بدأ مرقس بالتبشير في بلاد فلسطين وما حولها ، ثم رافق خاله برنابا وبولس الرسول في رحلتهما الأولى إلى أنطاكية حوالي سنة ٤٥ ميلادية ، ثم إلى قبرص وبعض جهات آسيا الصغرى ، حتى إذا بلغوا نرجة بمقيلية تركهما هناك وعاد إلى أورشليم وبقي فيها إلى حين انعقاد المجمع الرسولي الأول حوالي سنة ٥٠ ميلادية . ثم صاحب خاله برنابا في رحلة تبشيرية أخرى إلى قبرص . وفي حوالي سنة ٥٢ ميلادية قصد وحده إلى منسقط رأسه في شمال أفريقيا حيث بشر الخمس مدن الغربية ، ثم اتجه إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ماراً ببعض بلاد الوجه القبلي ثم تقدم شمالاً إلى بابليون فأقام فيها بعض الوقت ، ويقال أنه في هذه الفترة كتب إنجيله . ثم غادر بابليون إلى الإسكندرية سنة ٦١ ميلادية وكانت هذه المدينة هي عاصمة البلاد في ذلك الحين . وفيها بدأ يبشر بالمسيح .

ولم تكن أخبار ظهور المسيحية مجهولة لدى أهل الإسكندرية قبل أن يذهب إليها مرقس ، لأن الثابت أن كثيرين من سكانها اليهود كانوا قد زاروا أورشليم في عيد الفصح وسمعوا بمحاكمة المسيح وصلبه وقيامته ، ومنهم من بقي بها إلى حين صعوده وحلول الروح القدس على تلاميذه ، فلما عادوا إلى الإسكندرية أخبروا أهلها بما سمعوا وما رأوا فضلاً عن أن لوقا البشير كان قد كتب إنجيله إلى واحد من أهل الإسكندرية وهو العزيز ثاوفيلس . ومن ثم لم تكن بشارة مرقس أمراً



القديس مرقس الـسول

جديداً أو غريباً عليهم . بل إنها وجدت تربة مواتية لغراسها بينهم لأن الديانات المصرية القديمة كانت تعاني في ذلك الحين أشد حالات الفساد والضعف ، وكانت تلاقى خاصة من اليهود واليونانيين المقيمين بالإسكندرية كثيراً من التعريض والتهكم والتنديد بما فيها من خيالات وخرافات ، فكان الشعب لذلك في حاجة ماسة إلى دين صالح جديد ، ومن ثم وجد طلبته في الدين الوافد إليه من فلسطين يبشره بالله الواحد ويسوع المخلص ، ولا سيما أن هذا الدين الجديد ينطوى على أمور لم يكن من الصعب على المصريين فهمها وإساعتها لأنهم كان لديهم في دياناتهم ما يقربها إلى أذهانهم ، بالتفصيل الذي أسلفناه عند الكلام عن معتقدات قدماء المصريين .

وكان أول من بشره مرقس إسكافاً اسمه إنيانوس ، إذ كان حذاؤه حين وصل إلى الإسكندرية قد تهرأ من طول المسير ، فقال إلى هذا الإسكاف ليصلحه . وحدث بينما كان هذا يستعمل الخرز أن أصاب يده فأدماها فصاح قائلاً « أيها الإله الواحد » ، فأخذ مرقس يده وشفأها ثم راح يبشره بذلك الإله الواحد الذي هتف باسمه وهو لا يعرفه . فآمن الإسكاف بكلامه ودعاه إلى بيته ، وجمع له أقاربه وأصحابه فبشرهم بالمسيح وعمدهم فكانوا هم باكورة المؤمنين في مصر كلها .

فلما رأى الوثنيون يوادرن نجاح الرسول في بشارته حنقوا عليه وراحوا يتربصون له ليفتكوا به . ولكنه واصل أداء رسالته غير عابئ بما يدبرون فأقام إنيانوس أسقفاً ، ورسم معه قسوساً وشمامسة ، وشيد أول كنيسة بالإسكندرية ، ووضع قداساً للصلوات هو أصل القداسات المعمول بها عند الأقباط حتى اليوم ، وأسس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأقام العلامة

يسطس رئيساً لها . ثم سافر إلى أفسس حيث تقابل مع تيموثاوس ، ثم اتجه إلى روما تلبية لدعوة بولس الرسول ، وبقي بها حتى استشهد بولس سنة ٦٧ فعاد إلى مصر واستأنف عمل الكرازة جاثلاً بكل أنحاء البلاد يبشر بالمسيح . فلما كثر عدد المؤمنين وتوطدت دعائم الكنيسة التي أسسها ، تغفل الحقد في قلوب الوثنيين عليه وأضرموا الغدر به . حتى إذا كان عيد القيامة في ٢٦ أبريل سنة ٦٨ ميلادية ، وهو يحتفل بالعيد في الكنيسة مع شعبه هجموا عليه ووضعوا حبلاً في عنقه وراحوا يجرونه في طرقات المدينة وساحاتها حتى تمزق لحمه ونزف دمه . وما فتئوا يفعلون به هكذا حتى كان المساء فألقوا به في السجن . ثم في اليوم التالي عادوا به وراحوا يجرونه كذلك حتى أسلم الروح . وحينئذ تقدم المسيحيون وأخذوا جسده وكفنوه ووضعوه في تابوت ونحتوا له قبراً في الكنيسة ذاتها ودفنوه فيه .

وقد بقي جسد مرقس مدفوناً بالإسكندرية حتى سرقه بعض البحارة البندقيين في القرن التاسع وأخذوه إلى بلدهم ، ماعدا الرأس فقد بقي في مصر واختصت به الكنيسة القبطية وحفظته بالكنيسة المرقسية الكبرى بالإسكندرية ولم يزل بها حتى اليوم .

البحث الثاني

الاضطهادات

قاست الكنيسة القبطية من الإضطهادات ما لم تقاسه كنيسة أخرى في العالم : فما بدأت المسيحية تنتشر في البلاد المصرية ، وتتغلب شيئاً فشيئاً على الوثنية حتى فزع قياصرة الرومان وولاتهم في مصر ، لأن المملكة الرومانية كانت تعتبر الدين المسيحي عدواً لها ، وخطراً يهدد كيانها ويعمل على تقويض أركانها ، فقاومته أشد مقاومة ، واضطهدت المؤمنين به شر اضطهاد ، وأوقعت بهم أقصى صنوف التنكيل والتعذيب والقتل في أبشع صوره وأشنع أساليبه ، عاقدة العزم على إبادتهم والقضاء عليهم القضاء الأخير . إلا أن المسيحيين استمسكوا بأيمانهم واستماتوا في الثبات عليه ، واستشهدوا في سبيله أفواجاً ، رافضين إنكاره أو النكوص عنه ، وظلت يد الطغيان تحصدهم حصداً . ولكنهم ما فتئوا صامدين على مر القرون والأجيال فما استشهد منهم قوم إلا بهر استشهادهم قوماً آخرين فأمنوا بهذا الدين الذي يستعذب أصحابه العذاب والفداء ، ودخلوا بدورهم في زمرة الشهداء .

أشهر الاضطهادات

ولعل أشهر الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين عامة والأقباط خاصة ، في العهد الأول للمسيحية هي الآتية : —

١ — اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

أقدم الطاغية نيرون على إشعال النار في روما . ثم اتهم المسيحيين بأحراقها ، وصب عليهم جام نقمته وجنونه ، وشن عليهم حملة شعواء



« تعذيب المسيحيين الأوائل »

في كل أنحاء المملكة الرومانية ، متفننا في تعذيبهم ، مبتدعاً أبشع الوسائل في الفتك بهم . وقد قال تاسيتوس المؤرخ الروماني الوثني « إن نيرون كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ، ويطلى بعضهم الآخر بالقار ، ويعلقهم على مشاقق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يستضيء بها وهو يمر

بالليل ، وكان يتمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم
أشلاءهم . »

٢ — اضطهاد دومتيانوس سنة ٩٠ مبردية :

بلغ الإمبراطور دومتيانوس سنة ٩٠ ميلادية أن المسيح مزع أن
يملك في كل العالم ، نخاف أن يتم ذلك في عهده ، ومن ثم أمعن في
اضطهاد المسيحيين وقتل كثيرين منهم . وكان ممن نكل بهم يوحنا
الإنجيلي إذ عذبه عذاباً أليماً ثم نقاه إلى جزيرة بطمس . إلا أنه حين
أكد له علماء المسيحيين أن المسيح لن يكون ملكاً أرضياً بل
روحياً يملك على القلوب خفف عنهم وطأة الإضطهاد .

٣ — اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ مبردية :

أصدر تراجان سنة ١٠٦ ميلادية أمره إلى ولايته في كل أنحاء
المملكة بأن يقضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها
في الخفاء ليقيموا صلواتهم ويحتفلوا بأعيادهم ، فسامهم الولاة أبشع
أنواع العذاب والتنكيل ، وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة . وقد استخدم
هذا الإمبراطور ساحة الملعب الروماني المسمى بالكلو سيوم في إعدام
المسيحيين بألقائهم هنالك إلى الوحوش تمزقهم شر ممزق ، وهو يتلهى
بمنظرهم وهم يتحولون بين الأنياب المفترسة إلى أشلاء . وكان ممن
ذهبوا ضحية هذه الوحشية البشعة البابا كرزونوس البطريرك القبطي
الرابع والقديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وكثيرون غيرها .

٤ — اضطهاد أدريانوس سنة ١٢٤ مبردية :

وقد اشتد الإضطهاد كذلك في عهد الإمبراطور أدريانوس ، حتى
ارتفعت الأصوات المتألمة من كل جانب . وقد كتب كودراتس

أسقف أثينا رسالة إلى الإمبراطور سنة ١٢٦ ميلادية يشرح له فيها عقيدة المسيحيين وأسباب تمسكهم بأيمانهم قائلاً : « إن أعمال مخلصنا كانت ظاهرة للآعين لأنها كانت حقيقية : فإن الذين شفاهم أو أقامهم من الموت لم يشاهدهم الناس فقط عند شفائهم أو قيامتهم ، وإنما ظلوا أحياء بين الناس ، لا في عهد المخلص فحسب ، وإنما بعد صعوده إلى السماء كذلك ، بل أن بعضاً منهم ما زالوا يعيشون حتى اليوم » كما وردت إلى الإمبراطور رسائل أخرى باللغة اليونانية من يوستينوس الفيلسوف وأثيناغوراس استاذ المدرسة اللاهوتية ، وباللغة اللاتينية من ترتليانس القس بكنيسة قرطاجنة . وقد كان من أثر هذه الرسائل أن أصدر الإمبراطور أمره للولاة بتخفيف وطأة الإضطهاد عن المسيحيين .

٥ — إضطهاد ماركوس أوريليوس سنة ١٦٢ ميلادية :

أصدر الإمبراطور ماركوس أوريليوس في عام ١٦٢ ميلادية أمره بأبادة المسيحيين ، وقد بدأ بقتل رؤسائهم . وتبدو بشاعة أعمال الإضطهاد في هذا العهد في رسالة كتبها بوليكرس أسقف أزمير سنة ١٦٥ م يقول فيها : « إن الذين اعترفوا بمسيحياتهم ضربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى ظهرت عروقهم ، ولكنهم في معمران هذا العذاب كانوا ثابتين لا يبدون ألماً ، في حين أن الحاضرين كانت تنفطر قلوبهم إشفاقاً عليهم .. والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب في السجن وهم ينتظرون اليوم المعين لاستشهادهم ، إذ كان السجنانون يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة فتنبثق الدماء من أجسادهم ، ولكن الله كان يؤازرهم بنعمته » . وكان من أولئك الشهداء شاب يدعى جرمانيكس ، كان دائماً على تشجيع الآخرين ، فحاول الحاكم أن يغريه بالوعود كي ينكر إيمانه ، ولكنه ألقى

بنفسه بين أنياب الأسود مفضلا إياها على إنكار عقيدته . وكان من أولئك الشهداء كذلك يوستينوس الفيلسوف الذى طالما دافع عن المسيحيين ولا سيما أمام الوثنيين واليهود ، لأنه كان ملما بفلسفاتهم ، كما أنه كان يداوم الاحتجاج على الظلم الواقع على المسيحيين من الولاة ، ومن ذلك رسالته إلى الإمبراطور أدريانوس .

٦ — اضطهاد سافيروس سنة ٢٠٣ مصرية :

وقد اشتد الإضطهاد فى عهد الإمبراطور سافيروس سنة ٢٠٣ ميلادية ، وازداد عدد الشهداء فى أيامه زيادة مروعة . وكان ممن قتل فى تلك الأيام أريناوس أسقف ليون وليونيداس والد أوريجانوس العلامة القبطى ، كما كان ممن قتل فى تلك الأيام عدد كبير من النساء ، ومنهن بوتامينا وبرباتو . وقد كتب ترتليانوس فى ذلك الوقت رسائل احتجاج إلى حاكم أفريقيا ، وقال إكليمنضوس الإسكندرى « إن كثيرين من الشهداء كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون أمام أعيننا » .

٧ — اضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ مصرية :

وقد تولى كارا كلا العرش سنة ٢١١ فضاغف الجزية على المسيحيين فى مصر وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح للوحوش .

ومن الجنايات البشعة التى ارتكبها ضد المصريين أنه أقام احتفالا خارج الإسكندرية ، فلما خرج أهالى المدينة لمشاهدته أشار إلى جتوده فجردوا أسلحتهم وقضوا على جميع الحاضرين فى وحشية لا مثيل لها ، فلم ينج منهم إلا القليل .

٨ — اضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٥ ميلادية :

حين جلس مكسيميانوس على العرش سنة ٢٣٥ اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً وخاصة في مصر ، فاستشهد كثيرون في عهده ، واضطر كثيرون إلى الفرار من وجهه ومنهم البابا ياروكلاس بطريرك الإسكندرية

٩ — اضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩ ميلادية :

كان الإمبراطور ديسيوس الذي جلس على العرش سنة ٢٤٩ ميلادية يكره المسيحيين كراهية شديدة ، وقد نكل بهم تنكيلا لم يسبق له مثيل وتفنن في تعذيبهم بوسائل تقشعر من هولها الأبدان . وقد قتل عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال . ويقول القديس أوسابيوس القيصرى أنه في فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة ، ثم يقول « إننى رأيت عدداً كبيراً يقتل فى أحد الأيام ، حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت فى ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع ، بينما أنك التعب الجلادين ، فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض ويستريح الآخرون » . ويقول القديس ديونسيوس بابا الإسكندرية الرابع عشر عن ذلك الاضطهاد : « إنه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلا بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكا وثباتا » ويصف بعض حوادث التنكيل فيقول : « أمسك الوثنيون رجلاً هراماً يدعى « مترا » وطلبوا إليه أن ينكر المسيح فرفض الرجل طلبهم فانقضوا عليه كالوحوش وراحوا يضربونه ضرباً مبرحاً ويدفعون مناخس فى وجهه وعينه وهو ثابت القلب ، فلما يتسوا منه سحبوه إلى خارج المدينة وراحوا يرمونه بالحجارة حتى مات ، ثم اندفعوا إلى منازل المسيحيين فنهبوا وأشعلوا فيها النار . وأخذوا عذراء فاضلة اسمها أبولونيا وحطموا عظامها وهددوها بالحرق إن لم تنطق بكلمات

الكفر بإيمانها فتجلدت وثبتت فطرحوها في النار حتى صارت رماداً .
وأمسكوا رجلاً آخر اسمه سراييون وأذاقوه عذاباً يقصر القلم عن وصفه
حتى سحقوا عظامه سحقاً ، وأخيراً طرحوه من ارتفاع شاهق فتحطم
ومات . . وإذا سار الإنسان ليلاً أو نهاراً في الشوارع والأزقة لا يسمع
إلا ضجيج قوم يهددون ويتوعدون ويعذبون كل من يرفض أن يمجّد
إيمانه وينكر مسيحه ، ولا يرى المرء الا أبراراً يجرهم الأشرار على
وجوههم ثم يطرحونهم في النار المتقدة فيحترقون كالهشيم .

ويقول القديس ديونيسيوس كذلك : « إن الخوف عم الجميع ، وقد
فصل المسيحيون جميعاً من خدمة الحكومة ، مهما كانت كفائهم أو
مقدرتهم في عملهم ، وكان الوثنيون يشون بالمسيحيين ويرشدون عنهم
فيؤثّم بهم في الحال ويطلب إليهم تقديم الذبائح للأوثان . ومن أولئك
الأتقياء رجل اسمه يوليانوس كان مقعداً فحمله رجلان إلى دار الحكم
وطلبوا إليه أن ينكر إيمانه فرفض ، وعندئذ حملوه على جمل وطاقوا به
شوارع الإسكندرية وهم يجلدونه بالسياط ، ثم أخيراً طرحوه في لهيب
النار فظل يحترق حتى مات » .

كما يقول أوريجانوس عن هذا الإضطهاد إنه « كان المقصود به القضاء
على المسيحية قضاءً تاماً واستئصال المسيحيين في كل مكان » ويقول
« إن القضاة كانوا يتميزون غيظاً إذا تحمل المسيحي ألوان العذاب المريع
بشجاعة واستبسال ، في حين أنهم كانوا يبدون من السرور ما لا حد له
إذا ظفروا بمسيحي واحد يضعف أمام الإرهاب وينخر ساجداً للأوثان »
وفي عهد هذا الاضطهاد استشهد القديس مرقوريوس الشهير بأبي سيفين .

١٠ - اضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨ مصرية :

وقد أصدر الإمبراطور فاليريان أمره سنة ٢٥٨ بقتل المسيحيين فاستشهد في عهده كثيرون ومنهم سكستس أسقف روما وكبريانس أسقف قرطاجنة وقد لقي البابا ديونسيوس في ذلك الاضطهاد عذاباً شديداً ثم أبعده منفياً عن مقر كرسيه . وكان الوثنيون يشقون بطون أطفال المسيحيين ويخرجون أحشائهم أمام آبائهم إمعاناً في تعذيبهم .

وقد كتب البابا ديونسيوس يقول : « لقد أصبح الوقت الحاضر كغيره من الأوقات الغابرة ، وقد أصبحت سيان عندنا أوقات الحزن والغم وأوقات الفرح والسرور التي لا يكاد يراها أحد ولو في المنام لكثرة توالي المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الإنسان لا يقع نظره إلا على عيون دامعة وقلوب مفجوعة على أناس أتقياء كثيرين ماتوا . فلو أنك مررت اليوم في المدينة إذن لسمعت التهنيدات والزفرات يكاد القلب يتفطر منها ألماً ووجيعاً على قوم مشرفين على الهلاك يرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تكاد أن تبتلعهم قبل أن تفارق الروح أجسامهم حتى أصبحنا في زمن أشبه بالزمن الذي مات فيه كل بكر في أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من للبكاء والعويل ، لأنه يوجد ميت على الأقل في كل بيت . وكنت أتمنى لو يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع ما حدث من أهوال تشيب لها النواصي ، بل زادوا في أنهم طردونا طرداً وراحوا بضيقون الخناق علينا حتى هلك أكثر من بقي منا ، ومع ذلك فأننا لم نترك حقلاً ولا مغارة ولا سفينة ولا سجنناً إلا اجتمعنا فيه منادين بكلمة الرب » .

كما كتب يقول : « وما لبث أن داهمنا فوق هذه المصائب وباء فتاك

أصاب المسيحيين والوثنيين معاً. فكنا نواسى الوثنيين ونعطف عليهم ،
معتبرين إياهم أخوتنا في الإنسانية ، وقد انقطع المسيحيون إلى تمرّض
المصابين وسد حاجات المعوزين ، وكانوا أحياناً يصابون بالعدوى منهم
ويعمّون بدلا عنهم ، وهكذا مات كثيرون من المسيحيين فداءً عن
المرضى من الوثنيين .

وقد كانت نهاية فاليريان بشعة كأعماله ، فقد أسره الفرس في الحرب
وأهانهم ملكهم إهانات بالغة وأذله إذلالاً عظيماً ثم أمر بسلخ جلده وصبغه
بلون أحمر وعلقه في هيكل الأوثان .

١١ - اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية :

وقد كان أقصى الجميع على المسيحيين هو الإمبراطور دقلديانوس
الذى جلس على العرش سنة ٢٨٤ ميلادية ، فقد صمم هذا الإمبراطور على
ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركة فرسه ، وفعلاً نفذ
عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء الشهداء . وقد هدم كنائس
المسيحيين وأحرق كتبهم وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب
وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ. وقد قال أوسابيوس
المؤرخ : « إنه ليعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء
في مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التي تشيب من ذكرها النواصي
فقد كانوا يأتون بأولئك الشهداء ويشقون بالخناجر أجسادهم ويروحون
يتزعون عنها الجلد عضوا عضوا حتى تزهق الروح . أما النساء فقد
كانت تربط الواحدة منهن من إحدى قدميها وترفع في الهواء بآلة
مخصصة لذلك وتظل معلقة كذلك بصورة تنفر منها الإنسانية حتى
تزهق روحها وكانوا يقربون غصنين قوين من شجرتين متقاربتين

بآلة جعلت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ثم يتركونهما ليعودا إلى وضعهما الأول والشهيد بينهما فتتمزق أضلاعه وتسحق عظامه سحقاً وتتطاير أشلاء جسمه في الفضاء . وقد كانت تستمر هذه الفظائع أعواماً طويلة . وكثيراً ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص في لحظة واحدة ، وأحياناً بقتل عشرين مرة واحدة ، وأحياناً ثلاثين وأحياناً ستين . وقد حكموا مرة على مائة رجل بالموت فماتوا في يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار بعد أن ذاقوا من العذاب ما تقشعر منه الأبدان .

وقال أوسايبوس أيضاً : « وقد شاهدت بعيني بينما كنت واقفاً بقرب النطع جمّاً غفيراً من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة ، فكان بعضهم يحرقون في أتون النار ، وبعضهم تجز رؤوسهم بالسيف ، وكانوا من الكثرة بحيث أن السيف قد ثلم حده من كثرة ما قطع من الرقاب ، وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يستردون أنفاسهم . أما المؤمنون فقد كانوا يقبلون الموت بصدور منشرحة وثغور باسمه بعد أن يجاهرُوا بكل جرأة وشجاعة باعترافهم بالمسيح ، حتى إذا حكم عليهم بالموت كانوا يرغمون ويرتلون إلى آخر نسمة من حياتهم . كما أن الذين سبق لهم أن اشتهروا بالغنى والثراء أو بالتبحر في العلم والفلسفة كانوا يتقدمون إلى الشهادة في فرح عجيب »

وقد قيل أن الذين استشهدوا في هذا الإضطهاد الذي استمر عشرين عاماً يبلغ عددهم المليون . مما دفع الأقباط أمام هذا الهول الأكبر لأن يخلصوا تاريخ من ذهبوا ضحيته من شهداءهم ، فبدأوا

تقويمهم بسنة ٢٨٤ للميلاد وهى السنة التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش المملكة ، واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء ويبدأ من يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية .

١٢ — اضطهاد غاليريوس سنة ٣٠٤ مبررية :

كان غاليريوس صهر دقلديانوس الذى جلس على العرش سنة ٣٠٤ يرمى من وراء الإضطهادات القاسية التى شنّها على المسيحيين أن يقضى عليهم ويفنيهم ، ولكنه كان كلما شدد النكير عليهم ازدادت المسيحية انتشاراً ، فأصدر أمراً جديداً فى سنة ٣٠٨ يقضى بمواصلة اضطهادهم فى غير هوادة ولا رحمة . وكان حاكم مصر فى عهده مكسيميان دازا فكان أقسى الحكم فى تطبيق أوامر الإمبراطور . وقد فتك بالمسيحيين فى مصر فقتل منهم من قتل ومن بقى منهم حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليسخرهم فى العمل فى المحاجر والمناجم .

١٣ — اضطهاد مكسيميان سنة ٣٠٥ مبررية :

تنازل غاليريوس عن العرش لمكسيميان دازا سنة ٣٠٥ ميلادية ففاق جميع من سبقوه فى القسوة على المسيحيين ، وراح ضحيته آلاف الشهداء الأبرياء ، وقد قال أحد المؤرخين « إن جثث القتلى كانت تحمل على عربات وتلقى فى البحر » وقد استشهد فى هذا العهد البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب بآخر الشهداء .

أشهر الشهداء

ومن بين الألوف المؤلفة من أولئك الشهداء الأبطال الأبرار لم يصل إلينا إلا سيرة عدد قليل منهم ، مدونة في السنكسار وفي مؤلفات يوليوس الأقفصى ، ومن أشهر من بلغتنا أعمالهم منهم :

١ — القديسة دميانة :

وهي الابنة الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران ووادي السيسبان بأقليم الغربية ، وكانت رائعة الجمال . فلما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها نذرت نفسها للبتولية ، فأقام لها أبوها ديراً اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء من بنات كبراء الولاية . وقد حدث أن اضطر والدها بأمر دقلد يانوس لأن يقدم البخور للاوثان ، فأرسلت إليه وعاتبته ، قائلة له : « خير لك يا أبى أن تموت شهيداً فتحيا مع المسيح من أن تحيا وثنياً فتموت مع الشيطان » ، فاعترف بخطئه وجاهر أمام القيصر بأيمانه بالمسيح فأمسكه وقتله . وأما هي فأرسل إليها القيصر قائداً ومعه مائة من جنوده كي يحملها على إنكار إيمانها أو يقتلها . فلما قال لها القائد ذلك انتهرته وصارحته بأنها لن تطيع أمر القيصر ، فشرع يعذبها ولكنها احتملت العذاب صابرة ، وفي النهاية قطع رأسها هي والعذارى الأربعين المقيات معها ، وكان ذلك في أوائل القرن الرابع للمسيح . ثم جاء القديس يوليوس الأقفصى فأخذ الأجساد ودفنها ، ودون سيرة القديسة ورفيقاتها . وبعد ذلك أصدر قسطنطين الكبير أمره ببناء كنيسة فوق قبرها ، وقد دشنها البابا ألكسندروس ورسم لها أسقفاً وقسوساً وشمامسة . ولا

يزال لها دير على مسافة إثني عشر كيلو متراً شمالاً بلفاس ، يؤمه الأقباط للزيارة كل عام . وقد بنيت باسمها كنائس عديدة في كل أنحاء البلاد .



« القديسة دميانة »

٢ — القديسة أنثينة :

ولدت بالإسكندرية في ختام القرن الثالث من أبوين وثنيين ، ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها آمنت بالمسيح وتعمدت ثم في سنة ٣٠٧ ميلادية قدم إلى الإسكندرية الإمبراطور مكسيموس الثاني وأصدر أمراً بأعدام كل مسيحي لا يرضى للاوثان ، ومن ثم اشتعلت نار

الإضطهاد وراحت القديسة تبذل كل جهدها في تثبيت المؤمنين . بل لقد بلغت بها الجسارة أن دخلت هيكل الأوثان وكان مكسيموس يقدم التقدّمات لها فوبخته على تقديمه الذبائح لآلهة كاذبة ، فدهش من جرأتها ومن فرط جماها واستدعاها إلى بلاطه ، وهناك أختت الفلاسفة المحيطين به فأمنوا بالمسيح ، فقتل الإمبراطور الفلاسفة وطرح كاترينا في السجن عساها تلين لإغرائه وقد سبته بجماها فلم يجد منها إلا كل صرامة وتوبيخ ، فأمر الجند بأن يعذبوها أمامه ، فظلوا يخذشونها بمخالب حديدية حتى تنضب جسدتها كله بالدم ، وبعد أن عذبها عذاباً أليماً جعل زوجته الإمبراطورة نفسها تؤمن بالمسيح ، قطع رأسها ورأس زوجته . وكانت القديسة في ذلك الوقت في التاسعة عشرة من عمرها .

٣ — القديسة تيودورة :

ولدت في نهاية القرن الثالث من أبوين مسيحيين من الأشراف ، حتى إذا كان اضطهاد دقلديانوس كانت في السابعة عشرة من عمرها ووشى بها الوثنيون فقبض عليها وجيء بها أمام بركولوس الوالى ، فقال لها إنها إن لم تنكر إيمانها سيطرحها في دور البغايا ، فلم يرهبها تهديده قائلة إن المسيح سيخلصها ، فنفذ وعيده ، فعزم شاب مسيحي يدعى ديديموس على أن يخلصها ولبس أثواب جندي وطلب الدخول إليها ، ثم ألبسها ملابسه فخرجت متنكرة . وبعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فحكم الوالى بقطع رأسه وطرح جسده في النار ، وفيما هم يسوقونه إلى ساحة الموت جاءت تيودورة تجرى وأبت إلا أن تسبقه إلى الإستشهاد وأصر هو على أن يموت عنها واشتد النقاش بينها حتى تأثر الحاضرون وسالت دموعهم من هذا الإيمان العجيب ، وقطعت رأسها معاً سنة ٣٠٤ ميلادية .

٤ — القريسة بوتامينا :

هي عذراء من الإسكندرية كانت تحت رعاية العلامة أوريجانوس ، وقد حكم عليها بالموت بوضعها في قدر مملوء بالزيت المغلي فظلت تموت موتاً بطيئاً ثلاث ساعات . ثم أمسكوا أمها مارسيلا وقتلوها حرقاً . وقد أثر موقف الفتاة وأمها في جندي كان يحرسها اسمه باسيليوس فجاهر بمسيحيته ، فقطعوا رأسه . وقد روى ترتليانوس وأوريجانوس أن عدداً عظيماً من الوثنيين غير هذا الجندي آمنوا بالمسيح بسبب ما رأوه من بوتامينا وأمها ومنهم أرنوبيوس أحد علماء البلاغة المشهورين .

٥ — القريسة صوفيا :

هي فتاة من منف استشهدت أثناء الإضطهاد الذي حدث في أيام البابا أومانيوس البطرك السابع ، وقد نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها إلى القسطنطينية وبنى لها الكنيسة الشهيرة باسم «أجيا صوفيا» أي القديسة صوفيا .

٦ — القريسة بارثيموس :

وهو الشهير بمار جرجس ، وقد ولد في النصف الثاني من القرن الثالث ، وكان من أشرف كبادوكية بآسيا الصغرى ، وقد انخرط في سلك الجندية وبلغ فيها رتبة قائد بجيش دقلديانوس . فلما شن هذا القيصر حملة الإضطهاد الرهيب على المسيحيين ، كان القديس يسير في مدينة نيقيوميدية فوجد منشوراً ملصقاً يتضمن الأمر بالقضاء على كل المؤمنين بالمسيح ، فانتزع المنشور من مكانه ومزقه وألقى به على

الأرض ثم توجه بنفسه إلى مجلس الملك وأخذ يدافع أمامه عن المسيحيين
ويصف سمو ديانتهم إزاء ضلالات الوثنية ، فأمر القيصر بعذبيه ،



« القديس جاورجيوس »

فأوقعوا به أذى أساليب التعذيب حتى أن كثيرين ممن رأوا شجاعته
وثباته وصبره آمنوا بالمسيح ، ومن بينهم الملكة نفسها ، فأمر القيصر

بقطع رأسه ورأس الملكة ، ودفن بفلسطين موطن والدته وكان ذلك سنة ٥٠٣ ميلادية . ويقال أن جسده نقل إلى مصر على عهد الأنبا غبريال البابا الثامن والستين . وتحترم كل الشعوب المسيحية على اختلاف مذاهبها هذا القديس احتراماً عظيماً ، ولا سيما الشعب الروسى والشعب الإنجليزى . فالروس يرسمون صورته على حصونهم ، والإنجليز يرسمون صورته على نقودهم ، ويعتبرونه شفيعهم وحامى مملكتهم .

٧ — القريسي تادرس :

وهو الشهير بالأمير تادرس . وقد ولد ببـلدة الشطب فى مديرية أسيوط ، ولذلك يلقب بالشطبي ، وقد انتظم فى سلك الجندية ، وظل يرتقى فيها حتى بلغ أرقى مناصبها وهو منصب أمير اللواء أو وزير الحرب . ثم وقع الإضطهاد على المسيحيين فى عهد ليسىوس خليفة دقلديانوس فلم يسعه إلا أن يعترف أمام القيصر بأنه مسيحى ، فأمر بأعدامه حرقاً . وقد استشهد سنة ٣٢٠ ميلادية وما زالت بقاياه مدفونه بكنيسة بحارة الروم بالقاهرة .

٨ — القريسي يوليوس :

وهو الشهير بالأقفصى . وقد ولد فى أقفص بمركز الفشن بمديرية المنيا . وقد دون تاريخ من سبقوه من الشهداء . كما أنه كان يعتنى بتضميد جراح المصابين وبتكفين أجساد الشهداء وإرسالها إلى بلادهم . وقيل أنه ذهب إلى سمند فطلب إليه الوثنيون تقديم القرابين للأصنام فرفض ذلك ونجاهر بمسيحيته وصلى فسقطت الأصنام ومات كهنتها . فما رأى والى المدينة هذه المعجزة حتى آمن بالمسيح . ثم ذهب القديس

إلى أتريب - وما تزال خرائبها قائمة بالقرب من بنها - فأمسكه واليها وعذبه ، ثم لما رأى معجزاته آمن على يديه . ثم رحل بعد ذلك إلى طوه بمركز بيا فأمر الوالى ألكسندروس بأعدامه فقطعت رأسه وقتل والداه وكثيرون من المسيحيين معه .

٩ - القريس مرقوريوس :

وهو الشهير بأبى سيفين . وهو من أشهر الشهداء غير المصريين الذين تعترف بهم الكنيسة القبطية . وقد ولد فى روما من أبوين مسيحيين . ولما بلغ سن الجندية انتظم فى سلكها ، وارتقى إلى رتبة رئيس الجند . ويقال أنه بينما كان يخوض الحرب فى صفوف جيش القيصر ، ظهر له ملاك وقلده سيفاً غير السيف الذى معه ، فدعى لذلك بأبى سيفين . فلما انتصر القيصر فى هذه الحرب أمر بتقديم الذبائح للأصنام شكراً لها . فرفض مرقوريوس أن يفعل ذلك فأرسله القيصر مكبلاً بالحديد إلى قيصرية فلسطين ، وهناك قطعت رأسه سنة ٢٥٠ ميلادية . ثم فى أوائل القرن الخامس عشر - أى فى عهد البابا يونس البطريرك الرابع والسبعين - نقلت رفاتة إلى مصر ودفنت فى الكنيسة المعروفة الآن باسمه فى مصر القديمة .

البحث الثالث

جامعة الاسكندرية

لكنى تتكامل الفكرة عن العقيدة القبطية والصورة التى تسلمها الأقباط عن آباءهم منها ، يلزمنا أن نتكلم عن جامعة الإسكندرية باعتبارها البوتقة التى تبلورت فيها هذه العقيدة فى صورتها النهائية . ويعرف بهذا الاسم ثلاث جامعات ، وهى : الجامعة الوثنية ، والجامعة الفلسفية ، والجامعة المسيحية ، وتقرّد لكل منها كلمة موجزة :

١ - الجامعة الوثنية

وقد أنشئت بالإسكندرية فى عهد بطليموس الأول سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، ولم تكن فى الواقع جامعة بمفهومها المعروف ، وإنما حلقات متتابعة من العلماء والفلاسفة الذين خدموا الفكر أكثر من تسعة قرون متوالية منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن السابع للميلاد ، وكانت هذه الجامعة مدرسة للمذاهب الفلسفية على الخصوص أسوة بالمدرسة اليونانية فى ذلك العصر ، كما أنها اشتغلت بالعلوم الأخرى كالطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والتاريخ واللغة والموسيقى وغيرها .

وكان مقر هذه الجامعة الذى يقوم فيه علماءها وفلاسفتها بأبحاثهم ، ويلقون محاضراتهم ، ويضعون مؤلفاتهم ، ويكتبون رسائلهم ، أماكن متفرقة بالإسكندرية أهمها :

١ — المكتبة الكبرى ، التى أسسها بطليموس الأول وجمع لها فيها يقال أكثر من نصف مليون مجلد . وقد احترقت مع الأسف حين أغار يوليوس قيصر على الإسكندرية .

٢ — المكتبة الصغرى ، أو مكتبة سيرايوم ، وقد بلغ ما بها أكثر من ربع مليون مجلد ، وقد باد معظمها أثناء الصراع الذى دارت رحاه بين الوثنيين والمسيحيين سنة ٣٩٠ ميلادية ، واحترق باقىها سنة ٦٤١ ميلادية .

٣ — الرواق أو المتحف ويتكون من قاعة كبرى من قاعات القصور الملكية ، مؤتة بمناضد للعلماء ومعدة للمحاضرات والمحاورات وملحق بها حدائق للحيوانات والنباتات ، ومعامل وحجرات للفحص والتشريح ومجموعات من التماثيل والنماذج لإجراء الأبحاث عليها ومرصد فلكى وغير ذلك .

ومن أشهر مآثر هذه الجامعة ترجمة التوراة سن العبرية إلى اليونانية فى عصر بطليموس فيلادلفوس سنة ٢٢٧ قبل الميلاد ، وهى المعروفة بالترجمة السبعينية .

٢ - الجامعة الفلسفية

وقد أنشأها أمونيوس السقاى حوالى سنة ١٩٣ ميلادية ، لمناظرة الجامعة اللاهوتية ، وخصصها لتعليم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، وهى

خلاصة مذهبي أفلاطون وأرسطو، وظلت عامرة بطلابها أكثر من ثلاثة قرون. وقد ارتفع شأنها خاصة في عهد مؤسسها وخلفيه بلوتينوس ومورفيروس. ثم انحرفت في القرن الرابع على عهد جامبليك عن التعاليم الفلسفية الراقية إلى أعمال السحر والشعوذة، وكان ذلك في عهد الإمبراطور يوليانيوس سنة ٣٦١ ميلادية، ثم اضمحلت وانتهت سنة ٥٢٩ ميلادية على عهد جوستنيانوس، ولم يرأسها بعد جامليك سوى نيروكلوس وداماسوس

٣- الجامعة المسيحية

وهي المدرسة اللاهوتية التي أسسها مرقس الرسول في أوائل سني كرازته وقد اشتغلت في أول عهدها بدراسة مبادئ المسيحية ثم بتدريسها، ثم اشتغلت بعد ذلك، فضلا عن هذا، بالدراسات الفلسفية والعلمية والأدبية، وقد توثقت العلاقات في هذا الصدد بينها وبين علماء الجامعة الوثنية الأولى حتى لقد قال الإمبراطور أدريانوس « إن عباد سيرابيس بالإسكندرية مسيحيون، كما أن أساقفة النصرانية يبعدون سيرابيس ». وقد أسفرت دراسات هذه الجامعة المسيحية عن وضع أصول علم اللاهوت، الذي جابهت به الفلسفة الوثنية للعصر اليوناني الروماني وهي في أوجها، حين كانت تتألق في سمائها أسماء النابهين من فلاسفتها أمثال سينيكا وأبيكتاتوس ومارك أوريليوس.

وقد أجمع مؤرخو الكنيسة الذين أدركوا العصور الرسولية كأوسابيوس وسقراط وسوزومين على أن الفضل في انتشار المسيحية إنما يرجع إلى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، كما يتضح من تاريخ الكنيسة

أن كبار أساقفتها وعلمائها في الشرق والغرب أمثال باسيليوس الكبير وغريغوريوس أخيه ، وغريغوريوس الناطق باللاهوتيات ، مدينون بعلمهم وفضلهم لهذه المدرسة . وقال القديس أورينيموس في مقدمة ترجمته اللاتينية لكتاب « انبثاق الروح القدس » لديديموس الضير « إن ما جاء في مؤلفات أوغسطينوس وأمبروسيوس وغيرها من الموضوعات الفلسفية » منقول عن الفلسفة المسيحية المصرية .

وقد عظم شأن هذه المدرسة ، حتى لقد كان منصب رئيسها لأهميته يلي المنصب البطريركي في المرتبة ، وقد ظل باياوات وأساقفه الكرسي الإسكندري زمناً طويلاً ينتخبون من رؤسائها ، كما أن عدداً كبيراً منهم كان من تلاميذها ، ومنهم ألكسندروس وأثناسيوس وديونسيوس . وكيرلس وديسقورس .

وقد تعاقب على رئاسة هذه المدرسة في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية جماعة من فطاحل العلماء وهم مرقس . ويسطس . وأمانئوس ومركيانوس . وبنطينوس . وإكليمنضوس . وأوريجانوس . وياروكلاس وديونسيوس . وثاؤغسطس . وبيروس . وأرخلاوس . وبطرس . وسرايون . ومقار السياسي . وديديموس الضير . ورودون .

ومن أشهر علماء هذه الجامعة بانتينوس وإكليمنضوس . وأوريجانوس . وديديموس الضير . وأثناسيوس . وكيرلس الكبير . ونفرد كلمة لكل منهم :

١ — بانتينوس :

ولد بانتينوس بالإسكندرية في أوائل القرن الثاني من أصل

قبطى . ويقال أنه من تلاميذ أثيناغوراس الذى كان من فلاسفة الدين المسيحى فى النصف الأخير من القرن الثانى .

وكان بانتينوس من أوائل من أسندت إليهم رئاسة الجامعة المسيحية . وقد تولى إدارتها نحو سنة ١٨١ ميلادية حتى اختاره البابا ديمتريوس فى سنة ١٨٩ ميلادية ليعلم مبادئ الدين المسيحى فى الهند بناءً على طلب المؤمنين بهذه البلاد ، فسلم رئاسة الجامعة إلى زميله إكليمنضوس ، وسافر إلى الهند ، ثم بعد أن أدى رسالته هناك قفل راجعاً ، ومر فى طريقه ببلاد اليمن ، وأحضر معه من هناك النسخة الأصلية المكتوبة بالآرامية من إنجيل متى ، ويقال أنها بخط متى نفسه ، وقد قام بعد ذلك بترجمة الكتاب المقدس من اليونانية إلى القبطية . وقد استعمل الحروف اليونانية فى كتابة اللغة القبطية بعد أن أضاف إليها السبعة الحروف الأخيرة من اللغة الديموطيقية فكان بذلك أول واضح للأبجدية القبطية المعروفة حتى اليوم . وقد ألف كتباً كثيرة تتضمن تفسير الأسفار الإلهية ولكنها فقدت كلها . وقد توفى يانتينوس فى أواخر القرن الثانى .

٢ - ١ كليمنضوس :

هو تيطس فلافيون ، المعروف بأكليمنضوس الإسكندرى ، تميزاً له عن إكليمنضوس الرومانى ، وقد ولد فى أواسط القرن الثانى فى الإسكندرية - ويقول البعض فى أثينا - وقد انكب منذ حداثة على دراسة الفلسفة الرواقية والأفلاطونية . ثم راح يطوف ببلاد اليونان والرومان وآسيا الصغرى والشرق باحثاً عن العلم والمعرفة ، وأخيراً قصد مدرسة الإسكندرية اللاهوتية على عهد

بانتينوس الذى بشره بالمسيحية فاعتنقها على يديه ، وخلفه فى رئاسة المدرسة بعد أن رسم كاهناً نحو سنة ١٩٠ ميلادية . وقد وضع مؤلفات جليلة يستبين منها غزارة علمه وعمق فلسفته وعظيم إلمامه بقوانين الكنيسة وعقائدها . وقد بدأ بكتابة « نداء إلى الأغريق » يدعو فيه الوثنيين إلى اعتناق المسيحية ، ثم ألف كتاب « الربى » يصور فيه شخصية السيد المسيح ويشرح تعاليمه ، وينصح المؤمنين بالسير فى حياتهم على منهاجه ، وهو فى ثلاثة أجزاء . كما ألف كتاب « المتفرقات » فى التأمل والحكمة ، وهو فى ثمانية أجزاء . وهذه المؤلفات باقية حتى اليوم ، وقد طبعها الأسقف بوتسر باللغتين اليونانية واللاتينية . كما وضع إكليمنضوس رسالة عنوانها « من هو الغنى الذى يخلص ؟ » ورسالة عنوانها « الحث على الصبر » ، وغير ذلك من الكتب والرسائل التى لم يصلنا منها إلا النزر اليسير .

ومن أبرز ما تتميز به مؤلفات إكليمنضوس ، اجتهاده فى البرهنة على أن المسيحية تثبت أمام التمهيص الفكرى ، وأن البحث الفلسفى وسيلة لازمة لذلك ، وهو يقول فى ذلك : « إن الفلسفة التى أعنيها ليست هى الرواقية أو الأفلاطونية أو الأبيقورية أو الأرستطالية ، وإنما هى مجموع ما تحويه هذه المذاهب من سمو فى تعاليمها عن العدل والحق » .

وأخيراً عصفت الإضطهادات بالمدرسة اللاهوتية فهاجر إكليمنضوس إلى كبادوكية ومات سنة ٢١٦ ميلادية .

وقد كان لإكليمنضوس تلميذ قدر له أن يتألق فى تاريخ الكنيسة القبطية ويبهر العالم بعقريته الفذة ، وعلمه الغزير ، وآثاره الخالدة ، وذلك هو أوريجانوس الإسكندرى .

٣ — أوريجانوس :

ولد أوريجانوس بمدينة الإسكندرية في سنة ١٨٥ ميلادية من والدين مسيحيين . وقد بدت نجاته منذ صغره فدرس مبادئ الرياضيات والمنطق والفلك ، حتى إذا بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة اللاهوتية حيث تتلمذ على رئيسها إكليمنضوس . ثم لما كان في السابعة عشرة امتدت يد الإضطهاد الذي شنه الإمبراطور سافيردس إلى والده ليونيداس وسيق إلى ميدان الاستشهاد . فحاول أن يتبعه ليستشهد معه ، لولا أن بذلت أمه جهداً مضنياً لتثنية عن هذا العزم كي لا تفقدها كليهما ، فكتب إلى أبيه رسالة تفيض حماسة وإيماناً ، يشجعه فيها ويقوى عزيمته ، قائلاً له : « لا تراجع ولا تضعف أبداً بسببنا » . وبالفعل استشهد أبوه وصودرت أملاكه فأصبح أوريجانوس وهو في هذه السن رب عائلة المكونة من أمه وأخوته الستة ، وكان عليه أن يقوم بأودهم فنزل إلى ميدان العمل . ومن ثم اكتسب حنكة في الحياة أضيفت إلى ما يتصف به من حماس الإيمان والشغف بالعلم ، فجعل منه كل أولئك معلماً نابغاً ممتازاً رغم يفاعه سنه ، فالتف حوله التلاميذ ، وأكبره البابا ديمتريوس الكرام فعينه رئيساً للمدرسة اللاهوتية ، ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره ، فكان في ذلك اعتراف بفضله وتقدير لعبقريته . وفي هذا المنصب الخطير عرفه العالم بطلا من أبطال المسيحية المدافعين عنها ، ومعلماً من فطاحل معلميها إذ جمع بين التبحر في الدين والحماس له ، وبين الإلمام الواسع بكل ما وصل إليه العلم وبلغته الفلسفة في عصره ، فكان بذلك أول من أقام علم اللاهوت على أسس منظمة

من المنطق العلمى . وقد كان يقول فى ذلك : « إننا ينبغي أن نستخدم العلم فى فهم الكتاب المقدس ، لأنه مادام الفلاسفة قد درجوا على القول بأن دراسة العلوم تؤدي بنا إلى فهم الفلسفة ، فينبغى أن نقول نحن أن دراستها تؤدي بنا إلى فهم المسيحية » حتى إذا رأى مقتضيات استكمال أدواته الجدلية التبحر فى العلوم اليونانية لم يتردد فى الانخراط فى المدرسة الوثنية ، والتلمذ على مديرها أمونيوس السقاص ، قائلا فى ذلك : « إننى لما كنت قد كرست نفسى لخدمة كلمة الخلاص وكنت محوطاً بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية ، قصدت أن أخص أفكار الهراطقة وأمتحن تأليف الفلاسفة الذين ينطقون أحيانا بحقائق لا بد من الإلمام بها » إلا أن هذا المنهج انتهى بأوريجانوس إلى إدخال كثير من أفكار الأفلاطونية الجديدة فى المسيحية ، حتى لقد قال عنه أحد معارضيه إنه « يعيش كسيحى ، ولكنه يفكر كيونانى » كما أن من أثر هذا المنهج الذى سلكه أن أساء بعض المتعصبين من تلاميذه فى الأجيال اللاحقة فهم آرائه . ونسبوا إليه ما لم يصدر عنه ، ولا سيما حين ظهرت الأريوسية ، وادعت أنها من وحي تعاليمه ، فكان من نتيجة ذلك أن اضطر البابا بطرس لأن يشن حملة عنيفة للقضاء على هذا الإتجاه منادياً بأن « كل ما يأتى عن طريق الفلسفة اليونانية إنما هو غريب عن أولئك الذين يريدون أن يعيشوا فى المسيح » . ومع ما أدت إليه تعاليم أوريجانوس من خلاف فى رأى ، فقد كان ولا شك هو الشعلة التى أضاءت لكل من جاء بعده من أعلام المسيحية فى الشرق والغرب على السواء ، وهو الملهم لهم جميعاً : ففي الشرق اعتبره باسيليوس الكبير وغريغوريوس النازينزى ، معلمهما وأستاذهما . وقد جمعا فى مؤلف

لهما أسمياه « فيلوكاليا » نبذات من كتابه « مبادئ الفلسفة المسيحية » .
وقال عنه إيرونيموس أنه « كان بلا جدال المعلم الأول لجميع
الكنائس بعد الرسل » وفي الغرب لم تكن مؤلفات أساطين الكنيسة
اللاتينية وأعظم لاهوتيينها إلا أفكاراً منقولة عن أوريجانوس ، وقد
نقل هيلاريوس أسقف يواتيه بفرنسا تفاسيره لإنجيل متى وسفر
أيوب والمزامير إلى اللاتينية ، كما نقل أمبروسيوس معلم أوغسطينوس
عنه شرحه للتوراة ، وكذلك فعل القديس إيرونيموس . ويعترف
أوسابيوس أسقف فرسيل بإيطاليا بأنه لم ير فلسفة حقيقية في
غير مؤلفات هذا العلامة القبطي .

وقد عاش أوريجانوس حياة مسيحية خالصة ، بل لقد أخذ نفسه في
في هذا السبيل بالعنف والعسف ، متبعاً في حياته نظاماً نسكياً صارماً ، فكان
ينام على الأرض ويمشي حافي القدمين ولا يملك إلا جلباباً واحداً ولا يقرب
اللحم ولا يشرب الخمر ولا يأكل إلا ما يقيم الأود . بل أنه كي ينتصر على
شهوة الجسد ويتجنب الغواية خصى نفسه عملاً بالنص الحرفي للآية
الإنجيلية القائلة : « هناك أناس خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات »
وبذلك أعطى أسطع برهان على حياة الطهر التي وهب نفسه لها .

وكان حركة دائبة لا تكل ولا تهدأ في أداء رسالته التي أخذها على عاتقه
فكان لا يفتأ يتعلم ويعلم . بيد أن ذلك لم يكن ليصرفه عن الإهتمام بأولئك
الأبرياء الذين وقعوا فريسة الإضطهاد ، وكانوا يساقون كل يوم إلى ساحة
الاستشهاد ، فكان ما يفتأ يتبعهم ليشد من أزهرهم في ساعات الضيق ، ويقتحم
الأسوار المضروبة حولهم في جرأة وشجاعة ليعزيهم ويقوى عزائمهم
ويقبلهم قبلة الوداع ، وقد قبض على خمسة من تلاميذه الأحياء فظل معهم
إلى آخر لحظة ، وقد رأى مصرع أربعة منهم وهم ساويرس الذي أحرقوه

بالنار وهيراقليدس وهارون وبلوتارخ الذين قطعوا رؤوسهم . أما الخامس فقد نجا وهو ياروكلاس الذى أصبح بعد ذلك رئيساً للمدرسة اللاهوتية ثم بطريركاً .

وقد كان من أثر بلاغة أوريجانوس وجراته أن هدى كثيرين من الوثنيين إلى المسيحية فسخط الوثنيون عليه وأرادوا أن يفتكوا به ، وفى ذلك يقول أوسابيوس المؤرخ « إن عوامل الإضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم ، وقد أصبح حنق القوم عليه عظيماً حتى أن أهالى الإسكندرية عن بكرة أبيهم لم يستطيعوا احتماله أو الصبر على انتقاله من منزل لآخر وجولاته فى كل ناحية مرشداً ومشجعاً الجم الغفير الذين هداهم إلى الإيمان الصحيح »

وروى أيفانوس أن رعاى الوثنيين أمسكوه يوماً وهو فى الطريق وحملوه بضجيج عظيم إلى هيكل سيرايوم وألبسوه لباس كهنتهم ورفعوه إلى المنصة وأعطوه سعف النخل كي يوزعه على عبدة الأوثان ، فلوح بالأغصان ونثرها على المتجمهرين قائلاً بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الأغصان ، ولكن لا برسم الأوثان وإنما باسم يسوع المسيح خالق الإنسان » .

وفى سنة ٢١١ سافر أوريجانوس إلى روما فى عهد أسقفها سافرينوس فقبل هناك بكل إجلال واحترام .

ثم فى سنة ٢١٢ بعث حاكم بلاد العرب إلى البابا ديمتريوس بطريك الإسكندرية يطلب إليه إرسال أوريجانوس الذى بلغتهم شهرته لبشره لشعبه تعاليم الدين المسيحى ، فأذن البابا لأوريجانوس بتلبية هذه الدعوة ، فترك فى مكانه ياروكلاس وذهب لإتمام هذه

المهمة ، ثم ذهب بعد ذلك مرة أخرى إلى بلاد العرب ليحضر مجعاً
انعقد هناك بسبب سقوط بيرلوس أسقف البصرة وهراطقة ، فتمكن
أورييجانوس من إرجاعه إلى الإيمان الصحيح . كما ذهب إلى بلاد العرب
مرة ثالثة لدحض بدعة انتشرت هناك مؤداها أن اللاهوت مات مع
الناسوت ثم قام معه بعد ذلك .

وفي سنة ٢١٥ اشتد الإضطهاد بالإسكندرية في عهد الإمبراطور
كاراكلا فهرب أورييجانوس إلى قيصرية في فلسطين حيث لقي هناك
كل إجلال وإكرام . ومع أن وظيفة الوعظ كانت حينذاك وقفاً على
رجال الكهنوت ولم يكن أورييجانوس قد نال رتبة كهنوتية ، طلب
إليه ألكسندروس أسقف أورشليم وثيوتيسوس أسقف قيصرية أن
يشرح الأسفار المقدسة للشعب . حتى إذا خفت وطأة الإضطهاد عاد
إلى الإسكندرية وواصل نشاطه الأول في المدرسة اللاهوتية .

وفي سنة ٢١٩ استدعته « جوليا ماميا » والدة الإمبراطور إسكندر
سافيروس إلى أنطاكية لتراه وتستمع إليه وتستأنس بآرائه ، وقد
طبقت شهرته الآفاق ، فلما ذهب إليها سرت به سروراً عظيماً
وطلبت إليه أن يعلم الشعب .

وفي سنة ٢٢٨ أرسل له البابا ديمتريوس إلى أخائية ببلاد القوتان ليقاوم
الهراطقة الذين أقلقوا راحة الكنيسة هناك ، فقام بهذه المهمة ، ثم
زار فلسطين قبل عودته ، وهناك أقنعه ثوسيتوس أسقفها ،
وألكسندروس أسقف أورشليم بأنه لا يجوز « لأستاذ الأساقفة
وأمر شراح الكتب المقدسة » أن يكون مجرداً من كل رتبة
كهنوتية فقبل منهما درجة القسوسية وكان عندئذ في الثالثة والأربعين

من عمره . إلا أن البابا ديمتريوس بطريرك الإسكندرية حين سمع بذلك عقد مجعاً بالإسكندرية سنة ٢٣١ وعزل أورييجانوس من الرتبة الكهنوتية قائلاً إنه « لا يصلح لها لأنه خصى نفسه » كما حكم بنفيه من الإسكندرية . ومن ثم أقام أورييجانوس في قيصرية فلسطين ، حيث استأنف نشاطه هناك ، عاقداً حلقات للدرس أمها كثيرون من طلاب اللاهوت ، وقد دخل كثيرون في المسيحية على يديه ، ومنهم غريغوريوس ثاماثورغوس ، أى صانع العجائب ، وقد رسم أسقفاً بعد ذلك على قيصرية الجديدة من أعمال تيطس ، وأخوه أثينودوروس ، الذى صار أسقفاً أيضاً على تلك البلاد .

وفى أثناء اضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٦ فر أورييجانوس من قيصرية ولجأ إلى فروميتيانوس أسقف قيصرية في كبادوكية ، حتى إذا شمل الاضطهاد هذه النواحي كذلك اختبأ أورييجانوس مدة سنتين فى بيت سيدة فاضلة ثرية تسمى يوليانه ، وقد أذنت له فى هذه الأثناء بالانتفاع بمكتبة كانت قد ابتاعتها من سياخوس أحد علماء الأيونيين ، وهو الذى ترجم العهد القديم إلى اليونانية ، فانتفع أورييجانوس بهذه المكتبة انتفاعاً عظيماً .

وفى سنة ٢٣٨ كانت قد خفت حدة الاضطهاد فعاد إلى قيصرية فى فلسطين واستأنف هناك أعماله . ولكن ما لبث أن ثار الاضطهاد الذى شنه ديسيوس على المسيحيين ، وقد استشهد فى هذا الاضطهاد القديسان الكسندروس أسقف أورشليم وباسيليوس أسقف أنطاكية فقام أورييجانوس يدافع عن المسيحيين ، ومن ثم قبضوا عليه وطرحوه فى السجن وعذبوه عذاباً أليماً . وقد كتب يوسيبوس فى وصف ما عاناه فى السجن ذلك العالم الجليل قائلاً : « يصعب على الكاتب الماهر

وصف ما قاساه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والالام القاسية أثناء هذا الإضطهاد إذ وضعوه في مقطرة من حديد وزجوا به في أعماق السجن حيث ظل مطروحاً على خشبة ومشدوداً بأربعة وثاقات لا يستطيع معها الجراك ، وهم يشعلون النار من حوله تهديداً له وتخويفاً ، ولكنه لم يبد ضعفاً أو ضجراً . وقدموه للحكم عليه بالموت ، فسعى القاضى الموكل بالحكم جهده في تأخير موته ، لا لينجيّه ، وإنما ليطيل عذابه .

إلا أنه أطلق سراحه بعد موت ديسيوس ، ولكنه كان قد أقعدته القيود التي رسف فيها زمناً طويلاً ، وحطمته الآلام ، فلم تطل حياته بعد خروجه من السجن ومات في سنة ٢٥٤ ميلادية بمدينة صور ، وكان وقد بلغ من العمر ٦٩ سنة ودفن بالمكان الذي مات فيه ، وقد بنيت بعد ذلك كنيسة فوقه ، وقد كتب على قبره : « هنا يرقد أوريجانوس العظيم » ، وبموته انطفأ ذلك السراج الذي أضاء العالم المسيحى بأسره نصف قرن من الزمان .

وقد وضع أوريجانوس خلال حياته الحافلة عدداً ضخماً من المؤلفات يبلغ الآلاف ، لم يصلنا منها إلا النزر اليسير من المقتطفات والشذرات :

ومن أضخم مؤلفاته كتابه المسمى « الهكسيلا » وقد حقق فيه النصوص الكتابية في كل ترجمات الكتاب المقدس ، بأن وضعها في ستة أعمدة تشمل : ترجمة إكويلا وهو يهودى ترجم الكتاب المقدس من العبرية إلى اليونانية ، وترجمة سيباخوس ، وهو من شيعة الأيونيين الهراطقة ، وترجمة ثاؤدسيوس وهو وثنى إعتنق الديانة المسيحية وترجم الكتاب المقدس سنة ١٨٠ ميلادية ، والترجمة السبعينية ، والأصل العبرى مكتوباً بحروف

يونانية ، وقد قضى أوريجانوس في تأليف هذا الكتاب ٢٨ سنة ، وهو في خمسين جزءه ضخمة ، وقد كان محفوظاً في مدينة صور ، ثم نقل إلى مدينة قيصرية ليحفظ في مكتبتها ، إلا أن هذه المكتبة قد احترقت بعد ذلك بكل ما فيها .

ويتناول البعض الآخر من المؤلفات أبحاثاً لاهوتية وفلسفية ، ومن ذلك كتاب « المبادئ » الذي شرح فيه فلسفة المسيحية ، ورسالة « الصلاة » ورسالة « الدعوة إلى الإستشهاد » وكتاب « الرئاسات » في أربعة أجزاء وكتاب « المتنوعات » في عشرة أجزاء ، وكتاب « القيامة » ولم تبق منه إلا أجزاء قليلة ، و « شرح الكتاب المقدس » في ثلاثة أجزاء .

وتتناول فئة ثالثة من مؤلفاته الدفاع عن المسيحية والرد على الاعتراضات الموجهة إليها من الوثنيين ، وخاصة الفيلسوف سلسوس ، وقد فند حججه واحدة بعد أخرى في مجلد ضخم من ثمانية أجزاء بعنوان « الرد على سلسوس » .

وذلك غير الرسائل العديدة التي دون منها يوسيبوس مائة رسالة ، ولم يبق منها إلا القليل ، وغير المؤلفات الأخرى التي لانقع تحت حصر ، والتي جعلت من أوريجانوس بحق أستاذ اللاهوت الذي تتلمذ عليه الشرق والغرب ، واعترفت بفضله المسيحية كلها .

وقد جد العلماء في طبع مؤلفات أوريجانوس ، وأشهر ما طبع منها طبعة منتفوخون التي صدرت في مجلدين بباريس سنة ١٧١٣ ميلادية ، وكتاب « المبادئ » وقد صدرت منه طبعة رودينغ في ليبزج سنة ١٨٣٦ وطبعة نيتسر في ستغارت ، وقد طبعت مؤلفات أوريجانوس كلها في باريس بين عامي ١٧٣٣ و ١٧٥٩ في أربعة مجلدات ضخمة .

وقد أساء البعض فهم آراء أوريجانوس التي شرحها في مؤلفاته ، كما
تعمد البعض تحريفها أثناء النقل أو الترجمة، ولذلك قام من يتهم أوريجانوس
بالهرطقة ، وبتسميم المعتقدات المسيحية بالأفكار التي استمدتها من الفلسفة
اليونانية ، مع أن أوريجانوس نفسه قرر في مقدمة كتابه « المبادئ »
ضرورة نبذ أكثر مايقوله فلاسفة اليونان ، وأنه كان يستعين بالفلسفة على
رد هجمات أصحابها على المسيحية وقد أشار إلى ذلك في إحدى رسائله إلى
إغريغوريوس حيث قال : « كما أن العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين
وفضتهم تابوت العهد والكاروبين وأواني المذبح ، كذلك يجب علينا نحن
المسيحيين أن نصنع بفلسفة اليونان. فلننقل إلى هيكل الحكمة الإلهية هذه
الزينات التي يسيء أربابها استعمالها ، ولناخذ عن اللغة اليونانية التي طالما
استعملت لمدح الضلال والرديلة ، عذوبتها وطلاوتها لتزين حقيقتنا الناصعة
التي طالما ألبسوها باطلهم وبهتانهم . فلنجعل إله الشرق قوة للخير ، ولكن
حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات . حذار من أن ننقل شيئاً منها
إلى دين الحق لئلا نضل ونكون مثل يربعام الذي تزوج ابنة ملك مصر
وعاد مع عروسه إلى إسرائيل فأبدل عبادة الإله الحقيقي بعبادة
أصنام المصريين » .

وقد أنصف أساطين العلماء والقديسين أوريجانوس مما اتهم به ، فقال
روفينوس : « لم يكن أوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح إليه
أمراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف ، بل
كان بلا جدال المعلم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل ، ولا مشاحة في أن
آراءه تعبر عن الأرثوذكسية التي لم يشبها ضلال » .

وكان غريغوريوس أسقف ينمص بالكبادوك يلقبه بزعيم
فلاسفة المسيحيين .

وقال عنه بمفيليوس البيروتي : « إن لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن إدراك سمو المعاني التي يرمى إليها من كان معلماً لكنيستته بعد رسل الرب » .

ومات القديس يوحنا ذهبي الفم منفياً في سبيل الدفاع عن مبادئ أوريجانوس .

وكان ممن دافعوا عن أوريجانوس كذلك البابا ديونوسيوس الإسكندري وغريغوريوس العجايب وباسيليوس الكبير وديديموس الضرير والبابا أثناسيوس الرسولي .

هذا هو أوريجانوس كوكب الفكر المسيحي الذي تألق في القرن الثالث ، ، ثم بقي نوره على مر العصور .

٤ - ديديموس :

هو ديديموس المشهور بالضرير ، وقد ولد في أوائل القرن الرابع ، وأصيب في صغره بمرض في عينيه أفقده البصر ، إلا أن رغبته الشديدة في تحصيل العلم ذلت أمامه كل عقبة فتعلم البيان والفلسفة والرياضة والموسيقى ، وقال إيرونيemos « إنه تعلم حتى الهندسة التي تحتاج إلى البصر أكثر من سواها ، فكان ذلك أعجوبة لكل من رآه وقد ذاع اسمه في كل مكان » وكانوا يسمونه النبي البصير . وقد عين مديراً للمدرسة اللاهوتية وهو في نحو الأربعين من عمره ، وكان الساعد الأيمن لأثناسيوس الرسولي ، والصديق الحميم للقديس أنطونيوس . وقد وضع جملة مؤلفات لاهوتية نفيسة ذاع صيتها حتى لقد جذبت إليه من الغرب روفينوس وإيرونيemos

وبلاديوس فجاءوا ليعتلمذوا عليه ، وقد كتب شرحاً وافياً لكتاب « المبادئ » لأورييجانوس أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون في أورييجانوس الضلال ، قائلا : « إن أولئك الذين يتهمون أورييجانوس بالإبتداع قاصرو الفهم عاجزون عن إدراك الأفكار العميقة والحكمة السامية التي امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذي يعد من النوابغ المشهورين » .

ومن مآثر ديديموس أنه ابتكر تعليم العميان القراءة بطريقة الحروف المحفورة على ألواح خشبية قبل أن يبتكر برايل طريقة الكتابة بالحروف البارزة بخمسة عشر قرناً ، كما أنه فيما يقال واضع أوشية الإنجيل في القديس المرقسي . وهو صاحب تعبير « إله واحد في ثلاثة أقانيم » ، وقد أخذ عنه اليونان لفظ « أقنوم » منذ ذلك الحين . وقد توفي سنة ٣٩٦ ميلادية ، وهو في الثالثة والثمانين من عمره .

وقد قال عنه سقراط المؤوخ : « لقد كان ديديموس هو الحصن الحصين والسند القوي للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية ، وقد كان خصماً عنيداً كسر شوكة أتباع آريوس وأذلهم في مناظرته لهم » .

وقد وضع ديديموس عدة مؤلفات ، منها تفسير للمزامير والإنجيل متى ويوحنا ، وكتاب في عقائد الدين ، وكتابان فند فيهما ضلال الأريوسيين ، وكتاب في الروح القدس ، ترجمه إبرونيموس إلى اللاتينية ، وعشر كتب في تفسير نبوة أشعيا ، وثمانية في تفسير نبوة هوشع وخمسة في تفسير نبوة زكريا ، وبعث إلى إبرونيموس

بثلاثة كتب في تفسير آيات من الأسفار المقدسة ، كما فسر سفر أيوب .

٥ - أثناسيوس

ولد أثناسيوس الملقب بالرسولي بالإسكندرية في سنة ٢٩٦ ميلادية من والدين مصريين ، والتحق في شبابه بالمدرسة اللاهوتية . وقد اكتشف البابا ألكسندروس نجابته فشمله برعايته واعتنى بتربيته وتثقيفه ، فنال حظاً وافراً من العلوم اللاهوتية والفلسفية ، وقد كتب وهو في الثانية والعشرين من عمره رسالة ضد الوثنيين ، دلت على غزارة مادته وقوة حجته ، فرسمه البابا ألكسندروس شماساً ، ثم رئيساً لشمامسة الكرسي البطريركي ، واتخذ مساعداً له . وفي سنة ٣٢٥ أخذ معه إلى مجمع نيقية ، فلعب فيه دوراً هاماً وأظهر قدراً عظيماً من الفصاحة وقوة العارضة في دحض آراء أريوس وتفنيد بدعته ، وقد أعجب به الحاضرون جميعاً ، وقال له الإمبراطور قسطنطين « أنت بطل كنيسة الله » .

وفي سنة ٣٢٦ توفي البابا ألكسندروس فاختر الشعب أثناسيوس خلفاً له ، وكان عندئذ في الثامنة والعشرين من عمره ، ولكنه لم يكد يعتلي الكرسي البطريركي حتى ناصبه الأريوسيون العداء لموقفه منهم في مجمع نيقية ، وأوغروا صدر الإمبراطور قسطنطين ضده . فأمر بنفيه إلى جنوب فرنسا ، فذهب إليها سنة ٣٣٥ ، حتى إذا مات الإمبراطور سنة ٣٣٨ عاد إلى الإسكندرية فقبول فيها باحتفال عظيم . إلا أن معركته مع الأريوسيين ظلت مستمرة ، وكان يعاضدهم في خصوماته الإمبراطور الجديد قسطنس ومن بعده يوليانوس وقد اضطهده كل منهما وطارده ، فكان يلجأ إلى الصحراء ، ويعتكف

هناك سنوات طوالاً مع الرهبان ، ثم لا يلبث أن يعود فيواصل الجهاد من جديد. فمازال بالأريوسية حتى قضى عليها القضاء الأخير ، بعد أربعين سنة من الكفاح المتواصل .

ولكن لم يكفد ينتهي من نضاله ضد الأريوسية حتى ظهر أبوليناريوس أسقف اللاذقية بدعته التي مضمونها أن جسد المسيح نزل من السماء ولم يولد ، وأنه جسد خيالي وليس حقيقياً ، فانبرى له أثناسيوس وكتب في دحض بدعته ثلاث رسائل قضى بها عليها .

ولم تكن شخوخته لتحول بينه وبين الكفاح ضد المبتدعين في كل مكان : فكتب إلى داماسوس أسقف روما يحثه على توقيع العقاب الكنسي على أورانس أسقف ميلان الذي ناصر الأريوسيين ، فأجابه داماسوس إلى طلبه ، كما كتب إلى القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك وغريغوريوس النازنزي وغريغوريوس نيصص وغيرهم من الأساقفة الأرثوذكسين يحثهم على قطع دابر البدع ومقاومة مبتدعيها . وظل يناضل هكذا حتى توفي سنة ٣٧٣ وهو في السابعة والسبعين من عمره وقد قضى في كرمى البطركية ست وأربعين سنة ، وقد رثاه غريغوريوس النازنزي قائلاً : « هكذا انطفأ أثناسيوس عين العالم المقدسة ، والصوت العالى للحق ، ورسول المسيح الجديد » .

ولما كان هذا الرجل العظيم قد شابه الرسل في جهادهم وكفاحهم عن الإيمان القويم فقد لقبته الكنيسة « بالرسولى » .

وقد أشاد الغربيون بعقريه أثناسيوس وفصاحته وقوة حجته ، وإرادته الحديدية في الصمود لكل القوى التي قامت ضده وعلى رأسها الإمبراطور نفسه في سبيل الدفاع عن العقيدة المسيحية الحققة . وقد بلغ من

إعجاب الغربيين به أن نقلوا رفاته إلى بلادهم ، فأخذوها أولاً إلى القسطنطينية ثم إلى البندقية ، ثم إلى فرنسا ثم إلى أسبانيا .

وقد ترك لنا أثناسيوس تراثاً عظيماً من المؤلفات التي تدل على علو كعبه في اللاهوت والمنطق والفلسفة جميعاً ، وعلى قدرته العجيبة في الجدل والإقناع بالحجة القوية والبرهان الساطع : فمن كتب جدلية لمحاربة البدع والمهرطقات مثل كتبه ضد آريوس وأبوليناريوس ، إلى كتب عقائدية مثل « تجسد الكلمة » و « الخطيئة غير المغفورة » إلى دراسات في الكتب المقدسة ، مثل « عرض المزامير والتعليق عليها » إلى مؤلفات أدبية كرسالته عن « البتولية » إلى مصنفات تاريخية مثل « حياة القديس أنطونيوس » ، وذلك غير الرسائل العديدة التي بعث بها إلى الإمبراطور قسطنطين ، وإلى الأساقفة ، وإلى المجامع المحلية وإلى أهل أنطاكية وغيرهم .

وهكذا كان أثناسيوس كوكباً من ألمع كواكب المدرسة اللاهوتية ثم أصبح بعد ذلك هو المنار الذي بدد تلك الظلمات التي اكتنفت الكنيسة في عصرها الأول ، وكادت أن تلقى بها في ليل لا آخر له فكان بذلك منقذ المسيحية من الضلال ومرشدها إلى طريق الحق والحياة .

٦ — كيرلس

كان كيرلس الملقب بالكبير ابن أخت البابا الإسكندري ثاوفيلس فاعتنى بتربيته وتثقيفه وتزويده بالعلوم اللاهوتية والفلسفية ، ولذلك ألحقه في صغره بالمدرسة اللاهوتية ، ثم أرسله بعد تخرجه منها إلى وادي النطرون حيث تتلمذ على الحكيم سيرايمون ، وأقام هناك

خمس سنوات قرأ فيها ما وصل إلى يده من الكتب والرسائل الدينية والكنسية ، ويقال أنه سافر بعد ذلك إلى أثينا حيث تتلمذ على ليبانوس أعظم أساتذة ذلك العصر . ثم أكب بعد عودته على دراسة الكتاب المقدس ، حتى برع في تفسيره براعة أثارت الإعجاب والدهشة لدى البابا ثاوفيلس ، فطلب إليه على صغر سنه أن يعظ الناس فذاعت شهرته وقصده المؤمنين من كل ناحية للاستماع إليه .

حتى إذا توفي البابا ثاوفيلس سنة ٤١٢ اختاره الشعب بالإجماع خلفاً له ، فوجه كل اهتمامه منذ بداية عهده إلى مقاومة البدع التي ظهرت حينذاك .

وكان الإمبراطور يوليانوس قد كتب آراءه المليئة بالطعن والتجريح في السيد المسيح ، وعمل على نشرها بالقوة بين رعاياه ، فكتب البابا كيرلس الرسائل والمقالات في تفنيد تلك الآراء وطلب إلى الإمبراطور ثاؤودسيوس جمع مؤلفات يوليانوس وإحراقها ، ففعل الإمبراطور ذلك ، فقضى بذلك على خطر كان يهدد المسيحية في ذلك الحين .

ثم قام بعد ذلك أتباع نوفاسيانوس ، ينادون ببدعة جديدة ينكرون بموجبها غفران الخطايا ، فحاول البابا كيرلس إقناعهم بفساد رأيهم لأن الله غفور رحيم . ولكنهم أصروا على اعتقادهم ، فطردهم من الإسكندرية وجرد أسقفهم من رتبته الكهنوتية .

إلا أن أخطر البدع التي كرس البابا كيرلس نفسه لمقاومتها ، هي تلك التي نادى بها نسطور بطريرك القسطنطينية ، إذ زعم أن في المسيح أقنومين أحدهما إلهي والآخر إنساني ، وأن العذراء لم تلد إلها بل إنساناً ، فقام كيرلس بسفه هذا الرأي ويثبت أن للسيد المسيح

أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . وراح يكتب إلى نسطور رسالة بعد أخرى تفيض بالحجج والبراهين على فساد رأيه ، فلما لم يتلق منه رداً كتب إلى أساقفة كل الكنائس يستنهض همتهم للدفاع عن الإيمان القويم كما كتب إلى بابا رومية ، فأمر هذا بعقد المجمع الروماني سنة ٣٤٠ وحكم بتحريم بدعة نسطور وقطعه من الكنيسة كما عقد كيرلس مجعاً في الإسكندرية وحرم فيه نسطور وبدعته ، ثم أرسل إلى الإمبراطور يطلب إليه عقد مجمع عام لينظر في أمر نسطور فأجابه الإمبراطور إلى طلبه ، وأمر بعقد مجمع عام بمدينة أفسس سنة ٤٣١ ميلادية ، وقد حضره مائتا أسقف من جميع الكنائس وقضى بتحريم بدعة نسطور وأثبت أن في المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة ، بعد الاتحاد بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تحول ، وأن العذراء هي بحق والدة الإله .

وبذلك انتصر البابا كيرلس في هدم بدعة نسطور التي عرضت الكنيسة لزوبعة عانية كادت تصيبها بالتصدع ، وعاد إلى الإسكندرية حيث واصل جهاده في خدمة الكنيسة ، ووضع المؤلفات البليغة عن ألوهية المسيح وسر التجسد وأمومة مريم الإلهية والثالوث الأقدس حتى توفي سنة ٤٤٤ ميلادية وهو في الخامسة والستين من عمره ، بعد أن قضى في كرسى البطريركية ما يزيد على الثلاثين عاماً .

وقد قال عنه البابا أغاثون : « إنه كان المناضل عن الحقيقة والمبشر الخالد بالإيمان الأرثوذكسي القويم . »

وقال عنه شلستيون الأول : « إنه الرجل الرسولي والكاهن العميق الخبرة والمدافع الصالح عن الإيمان » .

وقد نشرت الإكليريكية الفرنسيسكانية بمصر مجموعة دراسات عن كيرلس الكبير سنة ١٩٤٤ بمناسبة مرور ألف وخمسمائة عام على وفاته وهي مصدرة بكلمة للبابا بيوس الثاني عشر .

وقد ترك البابا كيرلس عدة مؤلفات نفيسة في مقدمتها « قداس مرقس الرسول » الذي جمعه ونظمه ، ولذلك يسمى بالقداس الكيرلسي وهو القداس القبطي الأصيل .

وله عدة كتب ضد بدعة نسطور وبدعة يوليانوس ، وعدة رسائل لاهوتية في « الثالث الأقدس » و « التجسد » و « العبادة الروحية » فضلاً عن تفسير الأسفار الخمسة . وسفر أشعياء وأسفار الأنبياء الصغار وإنجيل يوحنا ، وعدة خطب ورسائل . وقد جمعت تفسيرات كيرلس وخطبه ورسائله في عشرة مجلدات من مجموعة « مين » الشهيرة ، وكذلك في مجموعة الآباء الإغريق ، كما وردت بعض رسائله في كتاب سير البطارقة لابن المقفع .

* * *

أولئك بعض عمداء وتلاميذ المدرسة اللاهوتية المشهورة بالجامعة المسيحية ، أو جامعة الإسكندرية ، التي ظلت منارة للعلوم والفلسفات المسيحية ، ودعامة للمبادئ الكنسية حتى وقع الإنشقاق بالمجمع الخلقيدوني في أواسط القرن الخامس ، فكان سبباً في تشتت شملها وأقول نجمها شيئاً فشيئاً حتى اندرست معالمها .

البحث الرابع

البدع والهرطقات

كان ميلاد السيد المسيح بتلك الطريقة الفذة ، وحياته المثالية ، وتعاليمه الإلهية ، وما صنع من معجزات فوق مقدرة البشر ، وموته وقيامته، وصعوده حوادث تجل عن تفكير العقل الإنساني ، ويضل فيها منطق ، وقد تسلمها المؤمنون كما سلمها لهم سيدهم ، مقرين بعجز ملكاتهم الأرضية عن اكتناه ما تتضمنه من حقائق سمائية ، وقد كفاهم داعياً للاقتناع والتسليم مارأوه بأعينهم ، وما سمعوه بأذانهم من أمور خارقة للطبيعة، لا يمكن أن تصدر إلا عن إله قدير ، ولا يمكن أن يرتفع الى مستواها أى تأمل أو تفكير .

ولكن دواعى العجز البشرى تأبى إلا أن تعبت أحياناً بالنفوس ، ضعفاً أو صلفاً وغروراً ، فكان لا يفتأ يظهر من حين لآخر من بين المسيحيين رجل يأبى إلا أن يخضع الإلهيات للمنطق الإنساني ، ومن ثم يضل بطبيعة الحال تفكيره ، ويحيد عن الإيمان القويم فهمه وتقديره .

وقد حاول بعض العلماء الأوائل - في مجال البحث الفكرى - إخضاع المعتقدات المسيحية - مخلصين في ذلك أو غير مخلصين - لمنهج البحث الفلسفى عند اليونان ، كما حاول بعضهم الآخر تفسيرها على هدى الديانات القديمة من مصرية وفارسية ويهودية ومجوسية ، ومن ثم شوهاها كل تشويه ،

وخرجوا بها عن أصلها القويم إلى مجموعة من الأوهام والخزعبلات ، كما فعل الغنوسطيون والمانيون واتباع كرتيوس وباريليدس وكربوكرانس وأمونيوس السقاص وغيرهم .

وراح آخرون من ضعيفي الإيمان أو ذوى المطامع والغايات ، يكتفون بالمعتقدات المسيحية على مقتضى تصورهم أو هواهم ، محتجين تارة بطبائع الأشياء ، ومتشبهين تارة أخرى بالنص الحرفي لآية من آيات الكتاب المقدس ، وقد كانوا يبتنون تعاليمهم المسممة بين البسطاء من الناس حتى يستفحل أمرهم ، ومن ثم يغدو أمراً محتماً على رجال الكنيسة النهوض لمقاومة هذه الأفكار المضللة التي درجوا على تسميتها بالبدع والهرطقات ، وقد بادروا في هذا السبيل إلى عقد المجمع المحلي أو العالمية لتنفيذ تلك الأفكار والتدليل على خطئها ، وحرمان مبتدعيها من رعاية الكنيسة ، وقد أجمع المسيحيون فيما عقده إبان القرن الرابع من مجامع عالمية - أو مسكونية كما اعتادوا أن يسموها - على وضع قانون للإيمان يتضمن المعتقد الصحيح لكل المسيحيين ، ويقطع السبيل على كل من يحاول تغيير أمر أو تفسير أمر على غير مقتضى هذا القانون . وقد درج المسيحيون جميعاً منذ وضع هذا القانون في القرن الرابع الميلادي إلى اليوم على التمسك به وتلاوته أثناء الصلاة في كل كنائس العالم دون استثناء . وهذا هو نص ذلك القانون :

« نعظمك يا أم النور الحقيقي ، ونمجذك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم ، أتى وخلص نفوسنا ، المجد لك يا سيدتنا وملكنا المسيح ، نخر الرسل ، إكلييل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا . نبشر بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد ، نسجد له ونمجده . يارب ارحم . يارب ارحم . يارب بارك . آمين - بالحقيقة نؤمن بأله واخذ . الله الآب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا يرى . نؤمن

رب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق . مساو للآب في الجوهر ، الذى به كان كل شىء . هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس و صلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه . وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء . نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب المسجود له والممجد مع الآب والإبن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى - آمين .

ونورد فيما يلى بياناً موجزاً عن بعض البدع التى ظهرت فى القرون الأولى للمسيحية وكانت مخالفة للمبادئ التى يتضمنها قانون الإيمان الذى أوردنا نصه فيما سلف . وسنذكر هذه البدع بالترتيب الزمنى لظهورها :-

١ - كرنثيوس :

ظهر كرنثيوس بإسكندرية سنة ٧٣ ميلادية ، وهو يهودى المولد ، تعلم الفلسفة وحاول أن ينشئ ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم المسيح ومبادئه ومن تعاليم اليهود والكنوسيسيين - وهم قوم زعموا أنهم قادرون على أن يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة الإله الأعظم - وقد زعم كرنثيوس أن روح المسيح حلت على يسوع الناصرى عند عماده من يوحنا بنهر الأردن ، حتى إذا قبض عليه اليهود ليصلبوه طارت روح المسيح إلى السماء تاركة يسوع يصلب وحده ، وزعم أن المسيح سيعود ثانياً ويتحد بالإنسان يسوع

الذى حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين ألف سنة ، وعندئذ يقوم
الأموات ويدومون في حياة سعيدة في العالم السماوى .

٢ - الغنوسطيون :

ظهر مذهب الغنوسطيين في فلسطين وسوريا في بداية ظهور الدين
المسيحى ، وقد وفق بين الدين الجديد والأديان القديمة ، وأقيمت له مدرسة
بالإسكندرية في أوائل القرن الثانى للميلاد واعتنقه بعض المصريين ، وإن
كان جوهر المذهب في أفريقيا يختلف عنه في آسيا ، وكان يذهب إلى أن
المسيح شخصان هما المسيح ابن الله ويسوع الإنسان . وقد دخل المسيح
الإلهى فى يسوع الإنسان ، حين اعتمد من يوحنا ، ثم تركه حين قبض اليهود
عليه ، وقد نسب بعض أنصار هذا المذهب إلى المسيح جسداً حقيقياً ،
بينما نسب بعضهم الآخر إليه جسداً وهمياً .

وقد ظل علماء المسيحيين يقاومون هذه البدعة زمناً طويلاً ، فلم ينقرض
أنصارها إلا فى أواخر القرن السادس .

٣ - أمونيوس السقاى :

حين ازدهرت المدرسة اللاهوتية ، دبث الغيرة فى قلوب الوثنيين فأنشأ
رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاى مدرسة وخصصها لتعليم الفلسفة
الأفلاطونية الجديدة ، وقد حاول أن يضم جميع الأديان بما فيها الدين
المسيحى فى دين واحد ليعتنقه الجميع ، وحاول أن يجعل مبادئ هذا الدين
الجديد مرضية لكل أصحاب الأديان الأخرى ، وفى سبيل ذلك تفنن فى
إلباس المبادئ الدينية ثوب المجاز والرمز ، ومن ثم خرج بخليط ينطوى
على تقويض للايمان المسيحى من أساسه ، ولكن بدعته لم تعيش طويلاً .

٤ - باريليرسى :

كان باريليدس أشهر الغنوسطين ، وهو من الإسكندرية ، وقد ابتدع مذهباً استمدّه من تعاليم سيمون الساحر ومنندر الهرطوقى ، وقد فسر الدين المسيحى تفسيراً ينطوى على خزعبلات غريبة وادعى أن يسوع المسيح قوة غير هيولية . وأنه كان يتخذ لنفسه ما يشاء من الهيئات . ولذلك فإنه حين أراد اليهود أن يصلبوه اتخذ صورة سمعان القروى وأعطاه صورته فصلب سمعان ، وأما يسوع فقد صعد إلى السماء .

وقد نشر باريليدس مذهبه بين الناس سرّاً فتبعه كثيرون . واستمر هذا المذهب قائماً حتى أواخر القرن الرابع .

٥ - كربوكراتس :

كان كربوكراتس يدّعى نفسه معلماً ومستنيراً . ولذلك سُمى أتباعه نيوستيشيين ، أى معلمين ومستنيرين ، وكان يزعم أن المسيح إنسان كسائر الناس وإنما يمتاز عليهم بقوته ، وكان أتباعه يسجدون لصورة المسيح ، ولكنهم يسجدون معها لصور فيثاغورس وأفلاطون وغيرها من الفلاسفة ، ومع ذلك كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين ، ويميزون أنفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف أذنهم الأدنى بالنار أو الحديد .

٦ - فالنتيوس :

كان فالنتيوس مسيحياً ثم انشق على الكنيسة وأنكر تجسّد المسيح ، قائلاً أنه مركب من جوهر روحى ، وقد أخذ جسداً أثرياً من السماء . ومر به من جسد السيدة العذراء ، ثم اتحد بجسد يسوع عند العباد . فلما أراد اليهود صلب يسوع تركته روح المسيح إلى السماء وعلق على الصليب

جسد يسوع المادى .

وقد بنى فالنتيوس مذهبه على خزعبلات خيالية أخذها من الغنوسطيين
وغيرهم .

٧ — سايلوس :

كان سايلوس أحد أساقفة بطلومايس بالخمس مدن الغربية ، وكان قد
نشأ في روما وتلمذ على نوئيتوس الهرطوقى ، وأخذ عنه تعاليمه التى مؤداها
أن الله أقنوم واحد وقد أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفته الآب .
وصار إنساناً في العهد الجديد بصفته الإبن . وحل على الرسل في عليّة
صهيون بصفته الروح القدس . وقد سُمى تابعو نوئيتوس « مؤلمى الرب »
لأنهم يعتقدون أن الله قد تألم على الصليب . ولكن سايلوس اختلف مذهبه
قليلاً عن مذهب معلمه نوئيتوس ، فزعم أن جزءاً من الطبيعة الإلهية انفصل
عن الله الآب وكون الإبن بالاتحاد مع الإنسان يسوع المسيح ، وأن جزءاً
آخر انفصل عنه فكون الروح القدس .

وقد اعتنق زفيرينوس أسقف روما هذه البدعة كما اعتنقها خليفته
كالستوس ، فانتشرت وعمت البلاد الغربية بواسطة كليهما . كما وفد سايلوس
نفسه إلى مصر سنة ٢٥٧ وراح ينشر فيها بدعته ، فنهض البابا ديونسيوس
وعقد مجعاً سنة ٢٦١ ميلادية ، حرّمه فيه وحرّم بدعته .

٨ — نيبوس :

كان نيبوس أسقفاً لأبروشية أرسينو بالفيوم ، وقد راح ينادى باقتراب
الوقت الذى يملك فيه المسيح ألف سنة على الأرض كأحد ملوك العالم ،
مفسراً ما قيل عن ذلك في سفر الرؤيا تفسيراً حرفياً .

وكان هذا الاعتقاد قد عرف في عهد أوريجانوس فقاومه وقضى عليه مؤكداً أن ملك المسيح لن يكون أرضياً ، وإنما سمائياً ، ولكن نيبوس سعى إلى إحياء هذا الاعتقاد ، وأذاعه من بعده رجل يدعى كراسيون ، فنهض البابا ديونيسيوس ودحض هذه البدعة في نبذة وزعها على المسيحيين بعنوان «المواعيد الإلهية» كما وضع شرحاً لسفر الرؤيا مبيناً أنه يعتمد على الرموز ولا يصح تفسيره تفسيراً حرفياً .

٩ — بيرلس :

كان بيرلس أسقفاً للبصرة . وقد زعم أن السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز . وإنما كان له لاهوت الآب ، أى أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم ، وأن النفس الإنسانية التي أصلها من الله دخلت بالولادة واتحدت بالإنسان ، وهي بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية ، لأنها منبثقة من الطبيعة الإلهية ، ولما انتشرت هذه البدعة قام العلامة أوريجانوس ودحضها في مجمع عقد بالبصرة سنة ٢٤٤ ميلادية وتمكن من إقناع بيرلس بخطئه فأصبح من أعظم أصدقائه .

١٠ — بولس السيمساطى :

كان بولس بطريركاً على الكرسي الأنطاكي وقد اشتهر بالسيمساطى نسبة إلى مسقط رأسه سيمساط ، وهي مدينة واقعة بين النهرين ، وقد زعم أن ابن الله لم يكن من الأزل ، بل ولد إنساناً حلت فيه كلمة الله وحكمته ، عند ما ولد من العذراء ، وأن هذه الحكمة التي مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب قد فارقت حين أمسكه اليهود ليصلبوه ، وبسبب هذا الذي حدث من اتحاد القوة الإلهية بالإنسان يسوع القول أن المسيح هو الله ، ولكن

مجازاً لا حقيقة . وقد أدى هذا القول بالسيمساطى لأن يزعم أنه كان في المسيح أقنومان وابنان لله ، أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبني ، وبذلك شاع سايلوس في إنكار الثالوث الأقدس ، بقوله أنه يوجد إله واحد هو الذى تدعوه الكتب المقدسة بالآب ، وأن كلمته وحكمته ليست أقنوماً ، بل أنها في الكيان الإلهى بمقام الفهم فى العقل الإنسانى .

وحين بلغت البابا ديونيسيوس الإسكندري أنباء هذا الهرطوقى بعث إليه برسائل عديدة يبين له فيها ضلاله ، كما عقد بسببه المجمع فى إنطاكية عدة مرات وقد انتهى الأمر بنخلعه من بطريركية الكرسي الأنطاكي وتحريم بدعته .

١١ — مانى :

ولد مانى سنة ٢٣٩ ميلادية ، وكان مجوسياً ثم اعتنق المسيحية ، فأراد أن يجمع بين معتقدات المجوس ومعتقدات المسيحيين ، وأشاع بين الناس منذ سنة ٢٦٨ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً ، وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو «البارقليط» ، وتشبه بالمسيح ، فأتخذ لنفسه إثني عشر تلميذاً واثنين وسبعين أسقفاً ، وأرسلهم إلى كل بلاد الشرق حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه ، فأنخدع كثيرون بأقواله ، وتبعه من الناس عدد عظيم .

ومذهب مانى مزيج من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة ، ومؤدى هذا المذهب أن الكون يحكمه إلهان ، هما إله النور وإله الظلام ، وقد تمكن إله الظلام من مزج المادة المظلمة بقبس من النور ، فكان هذا هو الإنسان المكون من جسد مأخوذ من مادة الظلام ، ومن روح مأخوذة من فيض النور ، وقد أراد إله النور أن يخلص عنصر النور فى الإنسان من عنصر الظلام ، فخلق من نفسه كائنين عظيمين ، هما المسيح والروح القدس ،

وأرسل المسيح ليخلص أرواح الناس ويعيدها إلى وطنها السماوى . وقد ظهر المسيح بين اليهود لا بساً صورة جسد إنسانى وليس جسداً حقيقياً . وأعلن لهم السبيل الوحيد لخلاص النفوس من أجسادها . وبرهن على لاهوته بعجائبه . ولكن إله الظلمة أغوى اليهود فصلبوه ، ولما لم يكن له جسد ، لم تؤثر فيه الآلام ، وقد عاد المسيح إلى عالم النور بعد أن ترك تلاميذه ليعلموا الناس ديانته ، ووعدهم بأرسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط ، وقد ادعى مانى أنه هو البارقليط .

وقد زعم مانى أنه يستطيع شفاء الأمراض ، وكان ملك الفرس طفل مريض ، فاستقدمه ليشفيه ، ولكن الطفل مات بين يديه ، فقتله الملك وسلخ جلده ، وحشاه تبناً وعلقه على باب المدينة ، إلا أن مذهبه مازال باقياً فى فارس والهند .

١٢ — هيراكسى :

ولد هيراكس فى ليونتوبوليس ، وقد شارك مانى فى بعض آرائه ولكنه خالفه فى أمور كثيرة . ومما قاله أن المسيح سن شريعة جديدة أكل وأدق من شريعة موسى ، وأنه منع تابعيه من الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر وكل ما تتلذذ به الحواس ، وأنه منع دخول الأطفال ملكوت السموات التى لا يستحقها إلا الذين قاوموا الجسد وشهواته . وقد أنكر هيراكس قيامة الأجساد .

١٣ — آريوس :

كان آريوس أخطر أصحاب البدع التى ظهرت فى تاريخ المسيحية كلها ، وقد أثار بتعاليمه زوبعة هوجاء ، أقلق الكنيسة زمناً طويلاً ، ولم تهدأ

ريحها وتخذ ألقاسها إلا بعد كفاح مرير خاض غماره المدافعون عن الإيمان القويم .

وقد ولد آريوس في ليبية القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية ، ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية ثماناً سنة ٣٠٧ ، ثم قساً وواعظاً ، وكان ذكياً فصيحاً ، فما لبث أن طلع على الناس بعقيدة جديدة تخالف عقيدة الكنيسة بل وتهدمها . فالكنيسة تعتقد بأن السيد المسيح هو « ابن الله المولود من الآب قبل كل الدهور » ، وأنه « مولود غير مخلوق » وأنه « مساو للآب في الجوهر » ، فقام آريوس ينادى بأن « الآب أقدم من الابن لأنه خلق الابن من العدم ، فالابن إذن غير مساو للآب في الجوهر ، لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة » .

ويقول آريوس في بيان عقيدته أنه « يؤمن بآله واحد متعال يفوق حد التصور ، منطوق على نفسه ، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتاً بأي شيء له نهاية ، وهو فريد لا شبيه له ، أزلي لا بداية له ، لا يموت ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات - وعند ما شاءت إرادته أن يخلق عالماً له نهاية احتاج إلى وسيط ، ولم يكن في هذا الوسيط قوة خالقة ، وإنما كان عاملاً بسيطاً علمه الآب كيفية القيام بهذه المهمة . وعلى ذلك فإن القوة الخالقة من صفات الآب ، أعطاهم للآب فأوجد هذا بها المخلوقات - وهذا الوسيط لم يأت من عند الآب بأن صدر عنه أو انحدر منه ، بل خلقه الآب خلقاً ، فهو إذن غير أزلي ، وهو مخلوق مثل باقي المخلوقات . ولا يمتاز عنها إلا بكونه خلق قبلها ، وبأنه كان الواسطة التي استخدمها الله في عملية الخلق ثم بعد ذلك في عملية الفداء ، وهو ليس مساوياً للآب في الجوهر ، بل بالعكس تتغير طبيعته مثل أي مخلوق ، وهو كأي مخلوق أيضاً قادر على عمل

الخير والشر ، فإذا كان الله قد اختاره دون سائر البشر وراه جديراً بأن يحمل بينهم اسماً إلهياً ، فأنما مرجع ذلك إلى النبوءات عنه بأنه سيثابر في عمل الخير بمحض إرادته ، وهو أيضاً معرض للخطأ ولا يستطيع أن يحيط بكل شيء . وعند ما جاء ملء الزمان اتخذ ابن الله هذا صورة إنسان وعلم الحقيقة ، وهو بهذا الوصف لا يستحق أن نعبد ، بل أن نحترمه وأن نعترف بحميلة . »

وراح آريوس يجاهر في عظاته بهذا المذهب الذي ابتدعه ، فلما علم البابا بطرس بأمره جرده من وظيفته وأصدر قراراً بحرمه وقطعه من شركة الكنيسة .

ثم حدث أن قبض الإمبراطور ماكسيميليان على البابا بطرس وأودعه في السجن تمهيداً لقتله ، فخاف آريوس أن يموت البطريك قبل أن يحله من الحرمان الذي أوقعه عليه ، فبعث إليه في سجنه قوماً يتوسطون لديه في الصفح عنه ، فقال لهم البطريك : « أتسألوني في آريوس ؟ فليكن محروماً في هذا الزمان وفي الآتي من مجد ابن الله يسوع المسيح » ثم انفرد بتلميذه أرشلاوس وألكسندروس ، قائلًا لهما إنهما سيخلفاه في البطريكية ، أحدهما بعد الآخر ، وأوصاهما بعدم الصفح عن آريوس ، لأنه عدو المسيحية اللدود .

فلما مات بطرس وخلفه أرشلاوس ، توسل إليه آريوس أن يعيده إلى شركة الكنيسة ، ووسط كثيرين من وجهاء الشعب مؤكدين توبته فقبل رجاءهم وأعادته إلى رتبته الأولى . ولكن البطريك ما لبث أن توفي بعد جلوسه بستة أشهر . فرشح آريوس نفسه للبطريكية ، ولكن الشعب رفضه وانتخب ألكسندروس بطريكاً ، فلما أراد آريوس مقابلته قال لمن

حواله : « قولوا له أوصاني أبي ألا أقبلك فلا تدخل عندي ، ولا أجمع بك » ، فخرج آريوس حائقاً وراح ينشر بدعته بين البسطاء ، فعقد البطريرك مجعاً بالإسكندرية سنة ٣١٩ وأراد إقناعه باللين ، فلم يزد ذلك إلا صلفاً وتمادياً في غيه ، فعقد البطريرك مجعاً ثانياً بالإسكندرية سنة ٣٢١ حضره مائة أسقف وقد حكم بأنزال آريوس من درجته الكهنوتية وحرمة وحرم بدعته . وكتب البابا إلى صديقه ألكسندروس أسقف القسطنطينية ، رسالة يقول فيها : « إنهم اعتقدوا أنه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله ، وأنه وجد بعد ذلك من العدم مع كل الأشياء العاقلة وغير العاقلة ، وأنه قابل للتغيير ومعرض للفضيلة والرذيلة على السواء » ثم يشرح البطريرك الإيمان القويم في رسالته إلى صديقه قائلاً : « إننا نؤمن بيسوع المسيح ابن الله الوحيد ، غير المولود من العدم بل من الآب الحي ، بصورة إلهية فوق إدراك العقول المخلوقة ، فلا أحد يعرف من هو الآب إلا الابن ، ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ، والابن لا ينقص عن الآب شيئاً لأنه صورة منه ، فيجب أن نقدم له كما نقدم للآب الكرامة اللائقة به » .

إلا أن آريوس لم يخضع للحكم بتجريده من الكهنوت ، واستمر في أداء الخدمة الدينية والوعظ والتبشير بمذهبه حتى صكون له حزباً ، فاضطر البطريرك لأن يطرده من الإسكندرية ، فذهب إلى فلسطين ، وهناك استمال إليه أوسابيوس أسقف نيكوميديا وأوسابيوس أسقف قيصرية وأوسابيوس أسقف بيسيدية ، ويوليوس أسقف صور وغريغوريوس أسقف بيروت ، فسمحوا له بعقد اجتماعات دينية في أبرشياتهم ، وكان يعتمد لنشر تعاليمه في تلك الاجتماعات على الأناشيد والتراتيل التي ضمنها تعاليمه ، وجمعها في كتاب سماه « تاليا » ، كما وزع على الناس كتباً في شرح مذهبهم ، فاستفحل أمره ، وعقد أشياعه مجعاً في بثينية سنة ٣٢٢ ، ثم مجعاً آخر في فلسطين سنة ٢٢٣

قرروا فيهما إلغاء الحكم الصادر على آريوس من بطريك الإسكندرية ،
فرجع آريوس بناءً على هذا القرار إلى الإسكندرية ، مما زاد الموقف
خطورة ، فطرده البطريك من المدينة مرة أخرى . وكان لأوسابيوس
أسقف نيكوميديا كرامة عند كونستاسيا أخت الإمبراطور قسطنطين الكبير
الذي كان موجوداً حينذاك في نيكوميديا ، فتمكن بواسطتها من استمالة
الإمبراطور إلى آريوس ، وكان الإمبراطور يعرف شيخاً جليلاً من رؤساء
الأساقفة اسمه أوسيوس أسقف قرطبة بأسبانيا ، فاستدعاه وأرسله إلى
الإسكندرية ليتوسط لدى بطريكها في الصلح عن آريوس ، فعقد أوسيوس
بالإسكندرية مجعاً سنة ٣٢٤ م لإزالة أسباب الخلاف ، وكانت النتيجة أنه
اقتنع بوجهة نظر بابا الإسكندرية وأقره على حرمان آريوس ، ثم عاد إلى
نيكوميديا وأشار على الإمبراطور بعقد مجمع عام للنظر في أمر آريوس .
فأمر الإمبراطور بعقد المجمع في نيقية سنة ٣٢٥ م وهو المجمع المسكوني
الأول ، وقد حضره ٣١٨ أسقفاً من كل أنحاء العالم المسيحي ، وفي مقدمتهم
البابا ألكسندروس بطريك الإسكندرية ، وبصحبته أثناسيوس رئيس
شمامسته ، وأسطاسيوس أسقف أنطاكية ، ويوسابيوس أسقف قيصرية
ومكاريوس أسقف أورشليم ، كما حضر المجمع أساقفة يمثلون إيطاليا وأسبانيا
وفرنسا وإنجلترا والبوسنة والهرسك والسرب والبلغار . وحضر مع آريوس
أتباعه أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاوغنس أسقف نيقية ومارس أسقف
خلقيونية ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة . وقد بلغ مجموع الحاضرين
نحو الألفين ، وتصدر الإمبراطور الاجتماع ، ثم طلب إلى آريوس أن يشرح
مذهبه فقال :

« إن الإبن ليس مساوياً للآب في الأزلية وليس من جوهره . وقد
كان الآب في الأصل وحيداً فأخرج الإبن من العدم بأرادته . والآب لا يمكن

أن يراه أو يكيّفه أحد ولا حتى الإبن ، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزل .
والإبن إله لحصوله على لاهوت مكتسب » .

وعندئذ دارت مناقشة حادة بين آريوس وأثناسيوس رئيس شمامسة
الإسكندرية جاء بها :

« آريوس — إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا : « خلقتني
أول طرقة » .

أثناسيوس — معنى خلقتني هنا ولدني كما ينص على ذلك النص العبراني .
كما جاء في نفس الفصل قوله : « منذ الأزل مسحت منذ البدء كنت معه قبل
أن يخلق الجبال وقبل أن يصنع الأرض ، لما ثبت السموات كنت هناك » .
كما ورد في داوود النبي : « أنت ابني وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل
كوكب الصبح ولدتك » .

آريوس — إن الإبن قال : « أبى أعظم منى » فالإبن إذن أصغر من
الآب ولا يساويه في الجوهر .

أثناسيوس — إن الإبن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح من نفس
الآية ، إذ يقول السيد : « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت إنى
ماض إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » أى أنه بناسوته يمضى إلى الآب الذى
هو أعظم من ناسوت الإبن ، وإلا كيف يتكلم بلاهوته أنه يمضى إلى الآب
حال كونه فى حضن الآب؟ ويؤيد ذلك أنه فى نفس الفصل يتكلم باللاهوت
ويبين مساواته لأبيه فى الجوهر بقوله : « من رآنى فقد رأى الآب . وأنا
فى الآب والآب فى . . وكل ما للآب فهو لى وكل ما لى فهو له لأننا نحن
واحد » .

آريوس — إن المسيح قال : « أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى

الأرض » ، فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له .

أثناسيوس — يعني أن الإبن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان ، أو أنه قال ذلك بحسب كونه متأنساً ، لأنه في أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه : « عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » .

آريوس — إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الآب وحده » ، فإذا كان الإبن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهاً ؟ .

أثناسيوس — إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه ، كما يقول صاحب السر إنى لا أعلم هذه المسألة ، أى لا أعلمها علماً يباح به لأن بطرس قال له : « يارب أنت تعرف كل شئ » .

آريوس — إن المسيح قال « أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتي ، بل مشيئة من أرسلنى » . وإذن فهو عبد للآب ودونه .

أثناسيوس — إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلهاً صار إنساناً كقوله « إن شئت فلتعبر عنى هذه الكأس » وقوله « إلهى إلهى لماذا تركتنى » وقوله « إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » . ومثل ذلك صلاته الى أبيه مراراً كثيرة . وبصفة كونه إلهاً قال : « من رآنى فقد رأى الآب » وقال « أنا فى الآب والآب فى » . و « أنا والآب واحد » . وفى نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى : « كما أن الآب يقيم

الموتى ويحييهم كذلك الإبن أيضاً يحيى من يشاء ليكرم الجميع الإبن كما يكرمون الآب » ، وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواته للاهوت أبيه فى الأزلية والعظمة والقدرة .

آريوس — إن يوحنا قال فى بشارته عن الإبن « كل به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان » فهذا القول يدل على أن الإبن آلة استخدمها الآب لصنع الخلاق ، فالإبن ليس إلهاً خالقاً .

أثناسيوس — إن الآب خلق بالإبن ، أى بواسطة الإبن الخالق ، كما يقال بنى الملك المدينة بابنه ، فالملك وإبنه يعدان باني المدينة ، ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الإبن وأزليته ومساواته لأبيه فى الجوهر والقدرة والإبداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال : « الذى كان منذ البدء سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته أيدينا » . وأيضاً « الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد » . وفى الرؤيا « أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية ، الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ » وقوله « للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين » . وفى أول الفصل الواردة فيه آية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الإبن بقوله : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » . فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الإبن ليس بآله خالق ، لكنه آلة لصنع الخلاق ، وقد اعترف داوود النبى بأن الإبن خالق كما قال « أنت يارب أسست الأرض والسموات صنع يديك » ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبى ابن الله كما فهم ذلك الرسول ، فقد اتضح أن ابن الله خالق نظير أبيه وإله مساو له فى الجوهر والعظمة والمجد » .

وقد حكم المجمع على آريوس بحرمه وتقييه وحرق كتيبه ، ووضع الجزء من قانون الإيمان الذي أسلفنا ذكره ، ابتداءً من عبارة « نؤمن بأله واحد . . » حتى عبارة « وليس للملكه انقضاء » .

وقد توفي بعد ذلك بقليل البابا ألكسندروس ، خلفه أثناسيوس في كرسى البطريركية ، وعندئذ سعى الساعون لدى الإمبراطور للعفو عن آريوس ، فأرسل الإمبراطور طلباً بذلك إلى أثناسيوس ، ولكنه رفض الطلب ، فثارت ثائرة الإمبراطور ، وعفى عن آريوس ، فقرح أنصاره بذلك فرحاً شديداً ، وفيما هم يطوفون به في المدينة في احتفال عظيم ، اعترته رعشة مفاجئة وسقط ميتاً .

أما تعاليم آريوس فقد انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت في حياته وأصبحت خطراً حقيقياً يهدد الكنيسة بالانهيار ، وقد اشتد ساعد الأريوسيين بمعاودة الإمبراطور ، فصمد لهم البابا أثناسيوس وبذل حياته كلها في الجهاد لهدم تلك البدعة متذرعاً في نضال الأريوسيين بذات سلاحهم ، وهو الجدل المنطقي ، وإن كان عماده الأول هو التلويح برأية الإيمان ، قائلاً « إن الطريق القويم هو الإيمان بيسوع المسيح دون تحفظ ، والإيمان إيماناً مطلقاً بما قال ، فإذا قال يسوع أنه إله ، فهو إذن إله ، لأن معرفة الله لا تركز على براهين بشرية ، وإنما تركز على الإيمان الصادق العميق ، وتغذيها التأملات الروحية الحارة . فلم يبشر بولس الرسول بدين الصليب بمحاضرات استخدم فيها المنطق البشري ، وإنما بشر بأقوال روحية وبسلطان » .

غير أنه لم يحجم عن استخدام المنطق في تفنيد الأريوسية فكتب يقول : « إذا كانت الأريوسية تقرر أن الخليقة ليست نتيجة عمل الآب المباشر ، فكيف يكون الابن وحده — وهو كما تقول الأريوسية كائن له نهاية

ومخلوق بسيط — نتيجة عمل الآب ؟ واحدة من اثنتين : فأما أن الخليفة نتيجة مباشرة لعمل الآب مثل الإبن . وإما أن الخليفة ليست نتيجة مباشرة لعمل الآب ، وفي هذه الحالة يتساوى معها الإبن أيضاً ، وإن الإصرار على أن الإله السرمدى يتعالى عن الأشياء التى لها نهاية إلى درجة لا تسمح له بأن يخلق إنما هو اعتراف بأنه غير منتج إلى الأبد . يوجد إذن فى ادعاء الهراطقة هذا تناقض وسخافة . وإذا كان وجود الوسيط ضرورياً لعملية الخلق ، كان من الضروري أيضاً — مادام الإبن مخلوقاً — أن يوجد وسيط بينه وبين الآب . وهكذا يكون كل وسيط فى حاجة بدوره إلى وسيط آخر » ويقول : « إن الله واحد . فإذا لم يكن الإبن الذى يحتفظ له الأريوسيون بلقب إله ، من نفس جوهر الآب ، وإذا لم يكن سوى وسيط مخلوق ، إنتفت الوحدة ، وأصبح فى الوجود إلهان . لقد ألقى يسوع المسيح بالأصنام أرضاً ، وها هو آريوس يرفعهم عند ما يضع المسيح نفسه — الذى يقول عنه أنه مخلوق — فى مرتبة الإله ، فأما أن نعرف بالمساواة فى الجوهر وإما أن نترك لقب مسيحي » .

وقد كان من نتيجة الجهود التى بذلها البابا أثناسيوس وكفاحه المضنى ما يزيد على الأربعين عاماً أن دحرت الأريوسية فى كل الأقطار المسيحية — وإن كانت قد بقيت لها ذبول فى أسبانيا والولايات الجرمانية حتى القرن السادس — وقد صدر سنة ٤٢٨ ميلادية فى عهد ثيودوسيوس الثانى قانون يقضى باستئصال الأريوسية فى كل أنحاء الإمبراطوية الرومانية ، ومنذ ذلك الحين قضى على الأريوسية القضاء الأخير .

١٤ — مكروتيروس :

عين مكروتيروس الأريوسى بطريركا للقسطنطينية سنة ٣٤٣ ميلادية

بواسطة الإمبراطور قسطنس . ثم غضب عليه الإمبراطور فطرده من كرسية سنة ٣٦٠ ميلادية ، فابتدع بدعة جديدة ، إذ أنكر لاهوت الروح القدس ، مدعياً أن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون وليس أقنوماً متميزاً عن الآب والإبن ، واعتبره مخلوقاً يشبه الملائكة وإن كانت رتبته أسنى منهم .

وقد أقنع مكدونئوس بضلاله كثيرين ، واستمرت بدعته بعد موته . وكان أخص القائلين بنشرها تلميذه مارانتيو أسقف نيكوميديا . وكان الناس يسمون أصحاب هذا المذهب « أعداء الروح القدس » .

وقد عقد البابا أثناسيوس سنة ٣٦٢ ميلادية مجمعاً بالإسكندرية حرم فيه هذه البدعة ، وحين سمع الإمبراطور ثيودوسيوس بوجود هذه البدعة ، أمر بعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ، وقد اجتمع في ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفاً وحرّموا هذه البدعة فقصوا عليها قبل أن يستفحل أمرها .

١٥ — نسطور :

ولد نسطور في جرمانيقية المعرفة الآن بمرعش في سوريا . وقد أظهر في مبدأ أمره غيرة ضد الأريوسيين حتى أصبح بطريركاً للقسطنطينية ، وعندئذ راح ينادى ببدعة جديدة مؤداها ، أنه لما كان الجزء اللاهوتي من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى والدة الإله ، بل والدة المسيح الإنسان . وبذلك جعل للمسيح أقنومين أحدهما إنساني والآخر إلهي ، واعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان .

وشرح نسطور مذهبه قائلاً : « إن مريم لم تلد إلهاً ، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، وما يولد من الروح هو روح . إن الخليقة لم تلد الخالق ، بل ولدت إنساناً هو آلة للاهوت » .

فقام البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية يدحض هذه البدعة قائلاً :
« إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية
اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، فالعذراء والحالة هذه
هى بحق والدة الإله » .

وقال كيرلس : « إن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد ،
لذلك هى حقاً أم الله » .

وكتب إلى نسطور يقول له : « لو لم تكن أسقفاً ما اهتم بك أحد
ولكنك جالس على كرسى ابن الله . فهل يليق بك أن تستغل مركزك هذا
فى التهجم عليه بذلك التجديف الذى تعجز عن إثباته ؟ كيف هداك البحث
إلى أن المسيح إنسان ومن أى المراجع استخرجت هذه البدعة . أمن العهد
القديم أم الجديد ؟ لقد سماه العهد القديم « الله الإبن وابن الله الآب » وسماه
إنجيل يوحنا « الإبن الوحيد الذى فى حضن أبيه » ، وقال عنه متى أنه
« عمانويل الذى معناه الله معنا » ، وشهد عنه مرقس فى إنجيله أنه « لما
سأله رئيس الكهنة قائلاً « هل أنت ابن الله ؟ » أجاب « نعم أنا هو ، ومن
الآن ترون ابن الله جالساً عن يمين القوة ومقبلاً على السحب ليدين الأحياء
والأموات » . ألم يقل الملاك للعذراء « إن الذى تلدينه هو من الروح
القدس » وأنه « ابن العلى يدعى » ؟ من الذى حمل خطايا العالم ؟ أليس هو
المسيح ابن مريم الكلمة متجسداً ؟ إن كنت معتقداً أنه نبي كموسى فهل
حمل موسى أو غيره من الأنبياء خطايا العالم كما حملها السيد له المجد ؟ . لقد
قال عنه بولس « ليس هو إنساناً بل هو الله صار إنساناً » ، فهل رأيت
الآن كيف اعترف الجميع بألوهيته ؟ فكيف تنكرها أنت ؟ »

وكتب أسقف روما إلى نسطور يقول له : « لقد وافقنا على رأى
أسقف الإسكندرية ، ولقد نصبحك فلا بد أن تنكر ما ناديت به ، وأن

تنادى بما نادى هو به ، فإن أصررت على رأيك فأنت مقطوع من عداد زملائنا ، ولا يمكن أن تكون لك شركة معنا .

فلما لم يرتدع نسطور عقد البابا كيرلس مجمعاً بالإسكندرية قرر حرمة وحرمة بدعته ، كما وضع تحريمات إثني عشر جاء فيها : « ليكن محروماً من ينكر أن المسيح هو الإله الحقيقي وأن العذراء الطاهرة هي والدة الإله ، وأنها ولدت جسداً نياً الكلمة المتجسد الذي من الله ، لكون الكلمة صار جسداً . وليكن محروماً من لم يعترف بأن كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالأقنوم وأن المسيح واحد فقط مع جسده ، وهو إله وهو إنسان . وليكن محروماً من قال أن للمسيح الواحد أقنومان منفصلان أو أقنومان لم تجمع بينهما إلا المصاحبة أو القدرة أو السلطان ، ولم يوحد بينهما توحيداً طبيعياً تاماً » .

وطلب البابا كيرلس إلى الإمبراطور عقد مجمع عام للنظر في أمر نسطور ، فأجابه الإمبراطور إلى طلبه ، وأمر بعقد المجمع بمدينة أفسس سنة ٤٣١ و حضره أساقفة من جميع الكنائس . وقد حكم المجمع بتحريم بدعة نسطور ، وتجريده من الأسقفية وفصله من كل شركة كهنوتية ، ثم أرسل إليه الإعلان التالي : « من المجمع المقدس الملتئم في أفسس برحمة الله تعالى وبموجب تعاليم مخلصنا الفادي وباسم جلالة الإمبراطور الكلي الإيمان إلى نسطور يهوذا الثاني - عقاباً لكم على تعاليمكم الأثيمة وعلى عصيانكم للقوانين الكنسية القويمة ، قد حكمنا بعزائكم وقطعكم من الشركة تمشياً مع شرائع الكنيسة ، كما حكمنا بحرمانكم من درجتكم وفصلكم من كل عمل ديني وإبعادكم عن كل خدمة كنسية » .

وقد أعلن المجمع أن في المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، ولذلك فإن العذراء

تدعى بحق والدة الإله . كما وضع المجمع مقدمة قانون الإيمان التي تبدأ بعبارة
نعظمك يا أم النور الحقيقي » وتنتهى بعبارة « يارب ارحم يارب بارك آمين »
وقد أمر الإمبراطور بنق نسطور إلى صعيد مصر فأقام في إخميم حتى
مات منبوذاً من الجميع .

أما أتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة
بالرها ثم طردوا منها فلجأوا إلى نصيبين ، وهاجر فريق منهم إلى فارس وما
يجاورها من البلاد ، حيث لا يزال يوجد بعضهم إلى اليوم في جبل سنجار
على حدود إيران وفي ملبار بالهند، ولهم كنائس في تلك الجهات تؤمن بالعقيدة
النسطورية حتى اليوم .

١٦ — أوطاخي :

كان أوطاخي رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية ، وكان من ألد
أعداء نسطور ، ولكنه تطرف في مجادلته فقال « إن طبيعة المسيح الناسوتية
اندجت في اللاهوتية ، إذ أن جسد المسيح بما أنه جسد إله لا يعتبر مساوياً
لجسدنا في الجوهر ، لأن طبيعته البشرية قد تلاشت في الطبيعة الإلهية »

وقد حرم هذا التعليم في مجمع أفسس الثاني سنة ٤٥٤ الذي عقد برئاسة
البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ، كما حكم المجمع بحرم أوطاخي . إلا
أن أوطاخي مال إلى أن اعترف بأيمان مجمع نيقية فخل من حرمة .

١٧ — برعة الطبيعيين والمسيحيين :

ظهر في مجمع خلقيدونية اعتقاد الكاثوليك أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين .
وهو اعتقاد قريب إلى مذهب نسطور القائل بشخصين في السيد المسيح .

وهم يقولون أن السيد المسيح أقنوم إلهي بحت ، ولكنهم يعتقدون أن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان .

بينما يعبر القديس ساويرس الأنطاكي عن العقيدة الأرثوذكسية بقوله :
« إننا إذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتي اللاهوت والناسوت ،
نقول أيضاً أن ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولا فساد ، بل مع بقاءهما
على ما كانتا عليه ، فطبيعة الإنسان من طبيعتي النفس والبدن ، وطبيعة
الجسم من طبيعة الهيولى والصورة من غير أن تنقلب النفس بدنأ ولا الهيولى
صورة وبالعكس » .

والغريب أن الكاثوليك بينما ينكرون وحدة المسيح الطبيعية يسمون بها
في ذات الوقت باعتقادهم أن السيدة العذراء هي أم الله ، لأن اعتقادنا بأن
العذراء هي أم الله هو عين الكفر إن لم نسلم بطبيعة واحدة في المسيح . وفي
ذلك يقول أحد الآباء الأرثوذكسيين سائلا الكاثوليك : « هل ولدت مريم
إلهاً أم إنساناً ؟ فإن قلتم إلهاً ضلتم لأن الله لا يولد ، وإن قلتم إنساناً كانت
أم إنسان لا أم إله ، وأتم تنكرون ذلك . وإن قلتم ولدت إلهاً وإنساناً
كانت أم إله وإنسان فلها ابنان أحدهما إله ، والاخر إنسان ، وهذا قول
ينقضه العقل ولا يسيغه ، فلا يصح إذن إلا أن تقولوا أن الإله والإنسان
صارا واحداً ، ولذلك فقد ولدت مريم واحداً ، وهذا الواحد ليس إلهاً
بالإطلاق ، ولا إنساناً بالإطلاق ، ولا إلهاً وإنساناً ، بل إلهاً متأنساً
وهذا هو الحق » .

وقال القديس أغناطيوس البطريرك الأنطاكي : « نحن نؤمن أن المسيح
الإله تألم بالجسد كإنسان ، ولم يتألم كإله . فإذا سمعتم أن الله تألم عنا وأن الله
الكلمة قد مات من أجلنا ، فأنما مرد ذلك إلى وحدانية اللاهوت والناسوت » .

وقال البابا كيرلس الإسكندري في رسالة بعث بها إلى الإمبراطور ثيوديسيوس : « إننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ، ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذات لا يمكن تفسيره ، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين اجتماعاً في واحد مؤلف من كليهما ، لا بهدم الطبيعتين ، ولا باختلاطهما ، بل باتحاد شريف في الغاية بوجه عجيب » .

وقد اعتنقت كنيسة روما مذهب الطبيعتين والمشيئتين منذ انعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية ، بينما ظلت كنيسة الإسكندرية محافظة على الإيمان الأصيل وهو الاعتراف بطبيعة واحدة ومشئئة واحدة للسيد المسيح ، وظلت محافظة على هذا الاعتقاد القويم حتى اليوم .

١٨ — الاختلاف في ماهية جسد المسيح :

حدث في القرن السادس اختلاف بسبب البحث في ماهية جسد السيد المسيح ، فقد اعتقد يوليانوس الهيليكارنسوس سنة ٥١٩ ميلادية ، أن الطبيعة الإلهية ، إتحدت بجسد السيد المسيح منذ حبل به ، فتغير في طبيعته وصار عديم الفساد . ثم اعتنق قيانوس هذا الرأي ، فسمى المعتقدون به قيانين .

ومالبت أصحاب هذه العقيدة أن انقسموا إلى ثلاثة أحزاب : يقول أولها بأن جسد المسيح مخلوق ، وقد سمي أصحابه عبدة المخلوق . ويقول الحزب الثاني بأنه غير مخلوق ، وقد سمي أصحابه عبدة غير المخلوق . ويقول الحزب الثالث أن جسد المسيح قابل للفساد ولكنه بقوة اللاهوت قد صار غير فاسد .

وقد تمسك القيانيون بعقيدتهم هذه نحو مائة وسبعين عاماً ، ثم عادوا أخيراً إلى الاعتقاد القويم في عهد البابا ألكسندروس الثاني .

وقد قامت في القرن السادس طائفة أخرى تعارض رأى يوليانوس وتزعم أن جسد المسيح كان نظير جسدنا قابلاً للفناء والفساد ، وقد استنتجت من ذلك طائفة تسمى بالكريبتيكوليين يتزعمها شماس إسكندري يدعى ثيوميسيوس أن المسيح وإن كان باللاهوت يعلم كل شيء ، إلا أنه بالناسوت يجهل أسوراً كثيرة ، ولذلك دعى أصحاب هذه الطائفة بالأغنيثيين لأنهم أشركوا الطبيعة الإلهية في الجهل . وقد روى موسهيم المؤرخ البروتستانتي أن البابا ثيوديسيوس الإسكندري قد انزلق إلى هذا الرأى في معرض الجدل مع الهرطقة إذ قال « إن إنسانية المسيح كانت تجهل اليوم الأخير » . إلا أن أصحاب هذا الرأى مالبثوا أن عدلوا عنه بعد أن تبين لهم خطأهم .

١٩ — الأعنرف في ماهية الأقانيم :

روى مؤرخو اللاتين والأروام أن البابا دميان البطريك الخامس والثلاثين في القرن السادس اعتقد أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجوداً خاصاً وأن للثلاثة معاً وجوداً رابعاً عاماً ، وقد سمي من تبعوه بمربعى اللاهوت أو الأربعيين أو الدميانيين .

كما ظهرت بدعة أخرى لرجل إسكندري يدعى إستفانوس النيوبي مؤداها أنه لا فرق بين اللاهوت والناسوت في المسيح ، وقد سمي من تبعوه بالنيوبيين .

ثم قام أخيراً يعقوب البرادعى وأخذ يفحس آراء أولئك المبتدعين ويرد من ضل منهم إلى محجة الصواب ، فاختلفت بفضل هذه الاختلافات حول ماهية الأقانيم ، وعاد الجميع إلى الإيمان القويم الذي أعلنه البابا ديسقورس البطريك الإسكندري .

٢٠ — برعة انبثاق الروح القدس من الآب والابن :

كانت الكنيسة منذ البدء تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط كما ورد بصريح النص في الإنجيل المقدس . وقد قضى مجمع القسطنطينية الثانى بحرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وقد سارت الكنيسة على هذا المبدأ حتى نهاية القرن الثامن الميلادى .

إلا أنه ظهر فى مستهل القرن التاسع رجل اسمه لوكيوس ، وزعم أن الروح القدس منبثق من الآب والابن ، وقد بدأ يعلم ذلك فى فلسطين فطرده أساقفتها من بلادهم ، فلهجأ إلى روما فطرده أسقفها كذلك ، فاتجه إلى فرنسا ، وهناك تمكن من نفث سمومه بين رجال الإكليروس ، كما امتدت بدعته إلى أسبانيا ، ثم هددت روما والبلاد الشرقية ، ولكنها لقيت فيها مقاومة شديدة ، وحدث بسببها شقاق استمر زمناً . ولكن كنيسة الإسكندرية ظلت بعيدة عن هذا الشقاق ، و متمسكة بأيمانها القويم الذى عبر عنه أثناسيوس الرسولى قائلاً : « إن لنا إلهاً واحداً ، وهو الآب الذى لا بداية له ، وهو بداية الأشياء كلها لأن منه ولدت الكلمة وانبثق الروح القدس » .

* * * *

هذا بيان لبعض الأفكار الشاذة التى حاول أصحابها أن يجرحوا بها المبادئ التى تدين بها الكنيسة منذ عهد الرسل ، والتى سجلها المسيحيون فى قانون الإيمان ، ملتفين جميعاً حولها ، ومتخذينها دستوراً وشرعية لهم .

وقد رأينا أن هذه الأفكار ما ظهرت وانتشرت بعض الوقت إلا بتعضيد

الأباطرة ورجال السياسة الذين كانوا يجدون في هذه الأفكار سبيلا إلى تنفيذ أغراضهم وتحقيق مطامعهم .

وقد نهض الآباء الأوائل في عزيمة وصلابة وغيره بلغت حد البطولة ، بل بلغت أحيانا حد الاستشهاد ، دفاعاً عن اعتقادهم القويم الذي تسلموه من السيد المسيح ، واستماتوا في الذود عنه وماتوا في سبيل المحافظة عليه . فكم من مرة وقف بطريرك الإسكندرية في وجه الإمبراطور الروماني في جرأة عجيبة حين كان الإمبراطور يحاول فرض عقيدة تخالف الإيمان الصحيح . وكم من مرة عمد الإمبراطور إلى التنكيل بالبطريرك وإهانته وسجنه وتقيبه بل وقتله أحيانا ، ومع ذلك ما ضعف البطريرك مرة ولا تنازل عن حرف واحد من قانون الإيمان الذي يتمثل فيه معتقد كنيسة وشعبه . وبكفينا مثالا لذلك أن نستعرض حياة القديسين العظميين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير ، ومالاقاه كلاهما من أهوال تهاوى أمامها الجبال في سبيل مقاومتهما لبدعتي آريوس ونسطور ، ومن وراء هاتين البدعتين سلطان الإمبراطور وجيروته العظيم ، ولكنهما صمدا لكل سلطان ، وتحديا كل جيروت ، وانتصرا في النهاية على أعداء المسيح .

البحث الخامس

المجامع

رأينا كيف نشأ الدين المسيحي ، وكيف دخل في مصر ، وكيف لاقى المؤمنون به فيها - كما لاقوا في كل انحاء العالم - أشد أنواع العسف والتنكيل والاضطهاد ، وكيف تأسست الكنيسة القبطية على الجثث والأشلاء ، ودشت بدم الشهداء . وكيف دعمت معتقداتها بعد ذلك بأبحاث العلماء والفلاسفة من أساتذة المدرسة اللاهوتية وتلاميذها النابيين ، وكيف استقرت هذه المعتقدات بعد نضال طويل مع ما ظهر من بدع وهرطقات . والآن يقتضينا الأمر استكمالاً للبحث أن نشير إلى المجامع التي كانت تقام من حين لآخر لوضع أسس التعاليم المسيحية أو مناقشة بعض المذاهب التي نادى بها أصحابها ، فأجازت بعضها وحرمت البعض الآخر ، ومن ثم تبلورت في هذه المجامع عقيدة الأقباط .

والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها في حياتهم ، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة ٥١ ميلادية برئاسة أسقفها يعقوب الرسول ، للنظر في مسألة ختان الأمم . ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم .

والمجامع نوعان : مجامع مسكونية أو عالمية ، ومجامع مكانية أو إقليمية .

أما المجمع المسكونية فقد عقدت مرات معدودات في القرون الأولى، وشهدتها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار، وكان السبب الرئيسى لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغى فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها .

وأما المجمع المكانية فهي التى كانت الكنائس وما تزال تعقدها فى حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو للنظر فى بعض الشئون المحلية الخاصة .

وقد عقد من المجمع المسكونية ثمانية ، تعترف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالأربعة الأولى منها وهى : —

١ - مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية :

يسمى مجمع نيقية بالمجمع المسكونى الأول ، وقد عقد فى نيقية عاصمة بشرينية بآسيا الصغرى فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير ، وقد حضره بنفسه ، وحضره ٣١٨ أسقفاً غير القسوس والشمامسة من كل أنحاء العالم المسيحى ، ومثل الكنيسة القبطية فيه البابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية ، وكان بصحبته رئيس شمامسته أثناسيوس والأنبا بوثامون أسقف هرقلية بأعلى النيل والقديس بفنوتيوس أسقف طيبة العليا ، وكانا قد عذبا فى زمن الإضطهاد وقلعت عيونهما بالسيف وكوى جبينهما بالحديد المحمى بالنار . كما حضر المجمع أسطاسيوس أسقف أنطاكية ويوساب أسقف قيصرية ومكاريوس أسقف أورشليم وبولس أسقف قيصرية الجديدة ، ويعقوب أسقف نصيبين ويوساب أسقف نيكوميديا وأسيريون أسقف قبرص ، كما حضر أساقفة يمثلون إيطاليا وأسبانيا

والغال - أى فرنسا - وبريطانيا والليريكوم - أى البوسنة والهرسك -
ودولماتيا - أى السرب والبلغار - وحضر ويثين وويكندس من روما
وأوسىوس من قرطبة . وقد بلغ عدد الحاضرين ألفين . وعقد
الاجتماع فى إحدى ساحات القصر الإمبراطورى .

وعند افتتاح جلسات المجمع دخل الإمبراطور قسطنطين وتصدر
الاجتماع ، ثم ألقى خطاباً حض فيه على فض المشاكل بالحكمة . ثم بدأ
المجمع أعماله ونظر فى المسائل المعروضة عليه وهى الآتية :-

١- كان السبب الرئيسى لعقد المجمع النظر فى بدعة أريوس الذى نادى
بأن « يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الآب ، وأن



« القديس أثناسيوس »

الإبن ليس مساوياً للآب فى الجوهر ، لأن ألوهيته مكتسبة من
الآب » ، فى حين تؤمن الكنيسة بأن « يسوع المسيح قد ولد من
الآب ، لا من العدم ، وأنه مساو له فى الأزلية والجوهر » . وقد طلب

المجمع إلى آريوس أن يوضح عقيدته فشرحها وناقشه الحاضرون فيها وكان أبرز الذين جادلوه القديس أثناسيوس الإسكندري . وقد تبين للمجمع مخالفة هذه البدعة للإيمان الصحيح وقرر بأغلبية ٣٠٠ إلى ١٧ حرم آريوس وتحريم بدعته وحرق كتبه ونفيه إلى الألبانيون بجوار بحر الأدرياتيك . كما وضع المجمع الجزء من قانون الإيمان الذي يبدأ بعبارة « بالحقيقة نؤمن بالله واحد » وينتهي بعبارة « ليس لملكه انقضاء » . وهذا هو القانون الذي يوضح الإيمان الصحيح ويلتزمه المسيحيون حتى اليوم بعد تكملته في المجمعين التاليين بالقسطنطينية وأفسس .

٢ — وقد فصل المجمع كذلك في مشكلة تحديد اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح ، أي عيد القيامة . وقد كان ثمة خلاف بين المسيحيين بهذا العدد : فذهب بوليكريتس أسقف أزمير في القرن الثاني إلى ضرورة أن تكون ذكرى الصليب في يوم ١٤ نيسان وذكرى القيامة في يوم ١٦ نيسان ، وها التاريخان اللذان حدث فيهما الصليب والقيامة فعلا ، وقد شايعه في ذلك المسيحيون فيما بين النهرين وكيلىكيا وسوريا . بينما جاهر فكتور أسقف روما بضرورة ملاحظة أن يكون الصليب يوم جمعة والقيامة يوم أحد على اعتبار أن الجمعة هو ذات اليوم الذي حدث فيه الصليب والأحد هو اليوم الذي حدثت فيه القيامة ، وقد شايعه في ذلك المسيحيون في مصر وفلسطين وبنطس واليونان . وقد تدخل ديمتريوس بابا الإسكندرية محاولا التوفيق بين الرأيين ، باقتراحه أن يكون يوم ذكرى الصليب في يوم الجمعة ، والقيامة في يوم الأحد ، على أن يرتبطا بيوم ١٤ نيسان وهو الفصح اليهودي . وقد جمع ديمتريوس لهذا الغرض علماء الإسكندرية الفلكيين ومنهم الفلكي الشهير بطليموس الفرماوى ووضع بواسطتهم حساب الأبقطى المشهور بحساب

الكرمة ، والذي يمكن بواسطته معرفة يوم عيد فصح اليهود في أى سنة من السنوات المصرية وتحديد يوم الأحد العالى له عيداً للقيامة . إلا أن الخلاف لم يمكن حسمه إلا حين عرض على مجمع نيقية ، حيث أقر المبدأ الذى وضعه البابا ديمتريوس ، وقرر أن يكون يوم عيد القيامة فى الأحد التالى للبدر الذى يكون فيه عيد الفصح عند اليهود ، كما قرر أن تقوم بابوية الإسكندرية بإعلان باقى الأسقفيات بميعاد العيد فى كل سنة ، لأن هذه المدينة كانت مركزاً للعلوم الفلكية .

٣ — وقد فصل المجمع بعد ذلك فى مشكلة معمودية الهراطقة ، وكان قد تارخلاف فى القرن الثالث بين كبريانس أسقف قراطجنة ، واسطفانوس أسقف روما فيما إذا كانت معمودية الهراطقة العائدين إلى المسيحية تعتبر قائمة أم لا بد من تعميدهم مرة أخرى . فقرر كبريانوس « أن المعمدين من يد الهراطقة يجب إعادة معموديتهم ، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح لا يعاد » . وقد انضم إلى هذا رأى كثيرون ومنهم بابا الإسكندرية ديوناسيوس . وأما اسطفانوس فقرر أنه « لا يجوز إعادة المعمودية مطلقاً حتى إذا كانت من يد الهراطقة » . وقد اشتد النزاع بين الفريقين ، وعقد كل منهما مجامع مكانية تؤيد رأيه . إلا أن الخلاف لم يحسم حتى عقد مجمع نيقية فأقر رأى الأول ، وقرر بطلان معمودية من يعمدهم الهراطقة وجوب إعادة تعميدهم . وأما من كانت قد عمدته الكنيسة المسيحية ثم هرطق فلا تعاد معموديته إذا عدل عن هرطقته .

٤ — وفصل المجمع فى مشكلة ملاتيوس ، وكان أسقفاً لأسيوط ، فلما اشتد الإضطهاد فى عهد دقلديانوس ضعف وسجد للأوثان ، فحرمه البابا بطرس ، ولكنه استمر يؤدى وظيفته ، بل وراح يقيم أساقفة بنفسه . فثار الخلاف بشأنه ، واستمر فى عهد البابا ألكسندروس ، حتى عرض على مجمع

نيقيه ، فأمر المجمع ملاتيوس ألا يمارس أى وظيفة كهنوتية ، وأما الذين عينهم برسامة قانونية فتبقى لهم وظائفهم على أن يكونوا أقل درجة ممن عينهم البابا ألكسندروس .

هـ - وقد اقترح البعض أن يكون جميع الإكليروس من البتوليين ، فعارض القديس بفنوتيوس أسقف طيبة هذا الاقتراح وكان بتولا . فاكتمل المجمع بعدم التصريح لمن يتزمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى ، كي يكون كل منهم كما قال بواس الرسول « بعل امرأة واحدة »

وفضلاً عن ذلك وضع مجمع نيقية عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة رجال الإكليروس ، وبالمسيحيين الذين ضعفوا تحت وطأة الإضطهاد ثم عادوا بعد ذلك إلى إيمانهم نادمين .

٢ - مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية :

يسمى مجمع القسطنطينية بالمجمع المسكونى الثانى ، وقد عقد فى مدينة القسطنطينية بأمر الإمبراطور ثاؤديوس الكبير ، وحضره مائة وخمسون أسقفاً ، ومثل الكنيسة القبطية فيه البابا تيموثاوس الأول . وكان ممن حضروه نكتاريوس بطريرك القسطنطينية ، وملاتيوس أسقف أنطاكية ، وكيرلس أسقف أورشليم وغريغوريوس الثاولوغوس وغريغوريوس النيسى وأمفيلوشوس أسقف أيقونية وبيلاجيوس أسقف اللاذقية ، ولم يكن يمثل أسقفية روما أحد فى المجمع ومع ذلك فقد وافق أسقف روما على أعماله .

وكان الغرض من عقد المجمع محاربة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ، ومنهم مكدونوس وأوسابيوس وأبوليناريوس :

١ - وكان مكدونوس أسقفاً أقامه الأريوسيون على القسطنطينية سنة

٣٤٣ ميلادية ، ثم عزل في سنة ٣٦٠ ميلادية لمناداته ببدعة جديدة وهى إنكار لاهوت الروح القدس إذ قال إن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات ، وقد ناقشه المجمع ثم حرمه وحرم بدعته ، وأسقطه من رتبة الأسقفية .

٢ - وكان أوسايريوس ينكر وجود الثلاثة الأقانيم ، ويقول إن للثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً واحداً ، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته .

٣ - وكان أبوليناريوس أسقفاً على اللاذقية بالشام ، وقد أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية فى احتمال الآلام والموت أى أن الآلام والموت قد وقعا على جوهر اللاهوت ، كما اعتقد بوجود تفاوت فى العظمة بين الأقانيم الثلاثة ، فالروح القدس عظيم والإبن أعظم والآب هو الأعظم ، وقد حكم المجمع بحرم أبوليناريوس وتحريم بدعته وإسقاطه من رتبته .

ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية ، وهى التى تبدأ بعبارة « نؤمن بالروح القدس » وتنتهى بعبارة « وحياة الدهر الآتى آمين » .

كما وضع المجمع سبعة قوانين أخرى ، تتعلق بنظام الكنيسة وسياساتها .

٣ - مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ميلادية :

يسمى مجمع أفسس الأول بالمجمع المسكونى الثالث ، وقد عقد فى مدينة أفسس بأمر الإمبراطور ثاؤدوسيوس ، وحضره مائتا أسقف برئاسة البابا الإسكندرى كيرلس الأول ، وقد صحبه خمسون أسقفاً مصرياً ، كما صحبه الأنبا شنوده رئيس المتوحدين . وكان الغرض من عقد هذا المجمع كذلك محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ومنهم بيلاجيوس ونسطور :

١ — وقد ولد بيلاجيوس في بريطانيا وتردد زماناً بين روما وفلسطين ، ثم اعتنق الرهبنة وحصل على درجة القسوسية ، وكان يعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله ، ولذلك فإن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخطيئة ، ومن ثم يمكنه بمحض إرادته وملكاته أن يبلغ أسمى درجات الكمال ، وبذلك أنكر بيلاجيوس أن الإنسان لا يكون كاملاً إلا بنعمة الخلاص ، بدم الفداء ، الذي لبسوع المسيح ، وقد ناقشه المجمع في معتقده هذا فلما لم يرجع عنه قطعه وأسقطه من رتبته .

٢ — أما نسطور فقد كان راهباً في دير بالقرب من أنطاكية ، ثم اختاره الملك ثاؤدسيوس أسقفاً على القسطنطينية ، وما لبث أن نادى بأن « طبيعة السيد المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية » . ورتب على ذلك أن اللاهوت لم يولد ولم يصلب ولم يقم مع الناسوت . كما رتب على ذلك عدم جواز تسمية السيدة العذراء بوالدة الإله وتسميتها أم يسوع فقط . وقد جاء نسطور إلى المجمع ، ومعه أربعون أسقفاً من أشياعه وبذل كل جهده في إثبات صحة معتقده ، ولكن المجمع بعد أن استمع إلى ردود كيرلس بابا الإسكندرية وكليستينوس أسقف روما وغيرهما حكم بقطع نسطور وإسقاطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية . وحكم المجمع بتحريم بدعة نسطور وأثبت أن في المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الإتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . ولذلك فإن العذراء تدعى بحق والدة الإله . وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان تبدأ بعبارة « نعظمك يا أم النور الحقيقي » وتنتهى بعبارة « يارب ارحم . يارب بارك . آمين » .

٤ — مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ ميلادية :

وقد عقد مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ ميلادية بأمر الإمبراطور

تاؤدوسيوس ، وبناءاً على التماس أوطاخى المتهم بالإبداع ، استثنافاً للحكم الصادر بقطعه من مجمع مكاني عقده فلايوس أسقف القسطنطينية ، وقد حضر هذا المجمع مائة وخمسون أسقفاً برئاسة البابا الإسكندري ديسقورس . وكان من الحاضرين الأسقف يوليوس عن أسقف روما ويوبيناليوس أسقف أورشليم ودمنوس أسقف أنطاكية وفلاثيانوس أسقف القسطنطينية واستفانوس أسقف أفسس .

وكان أوطاخى رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية ، وقد تطرف في تعبيره في مجال الجدل مع الأريوسيين ، فقال إن طبيعة المسيح الناسوتية إندجت في اللاهوتية . وقد ناقش المجمع أوطاخى فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقى ، فحكم المجمع ببراءته .

كما ناقش المجمع الأسقف فلايوس الذى اتهم بأنه من أتباع نسطور ، ثم حكم بعزله من وظيفته ، كما حكم بتجريد ثاذوريشوس أسقف كورش وإيريناوس أسقف صور بتهمة النسطورية كذلك .

ولكن قرارات هذا المجمع لم ترق في عين أسقف روما فلم يعترف به ، حتى إذا مات الإمبراطور ثيوديسيوس طلب إلى خليفته ماركيانوس - وكان على صلة طيبة به - عقد مجمع آخر فوافق على ذلك ، وأمر بعقد المجمع في خلقيدونية .

٥ - مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ مبررة :

عقد مجمع خلقيدونية أولاً في القسطنطينية ، ثم انتقل إلى خلقيدونية بالقرب من البسفور ، وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول ، حتى إذا كان اليوم الثانى للمجمع منع البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واجتمع

أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل ديسقورس وثنيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين ، مخالفين بذلك قانون الإيمان . وقد أراد الإمبراطور ماركيان أن يلزم البابا ديسقورس بأن يعترف بهذه البدعة مهدداً إياه بالقتل ، فأجاب ديسقورس قائلاً : « إن القيصر لا يلزمه البحث في هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتديرها ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة فإنهم يعرفون الكتب ، وخير له ألا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق » . فأصدر القيصر أمره بتنفيه إلى جزيرة فلاغونيا بآسيا الصغرى ، وقد مات في منفاه بعد ذلك بست سنوات ، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله .

ولاتعترف الكنيسة القبطية بمجمع خلقيدونية ، ولا بقرارته ، كما لاتعترف بالمجامع التي عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك في سنة ٥٥٣ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ ، لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية في الإعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئة واحدة .

ونرى مما سلف أن هذه المجامع كانت في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي ، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه ، مستغلاً في ذلك مطامع بعض الأساقفة ، وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان . وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء ، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصومة والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة . إلا أن الكنيسة القبطية رغم كل هذه الأعاصير التي مرت بها ظلت متمسكة بإيمانها ، مستبسلة في الدفاع عن عقيدتها ، وقد حافظت عليها منذ عهد مرقس الرسول حتى اليوم . ولذلك سميت بالكنيسة الأرثوذكسية ، أي مستقيمة الرأي .

البحث السادس

الرهبنة

إستعرضنا حتى الآن أغلب العناصر التي يمكن أن تتكون منها فكرة جامعة عن عقيدة الأقباط ، إلا أن هذه الفكرة لن تكون كاملة إلا بالكلام عن موضوع كان له أعمق الأثر في تاريخ الأقباط وفي تفكيرهم وسلوكهم على مر العصور حتى اليوم ، وذلك هو الرهبنة ، وسوف نبدأ بكلمة عامة عنها ، ثم نتناولها بشيء من التفصيل حتى نلم بكل جوانبها .

كلمة عامة

الرهبنة نظام بدأ يستهوى نفوس المسيحيين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح ، وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل ، مقتفين أثر السيد المسيح في طهره وتقشفه وتضحيته من أجل البشر ، ومتشبهين بمن سبقوه من أنبياء : كأيليا في اعتصامه بالجبال ، ويوحنا في انطلاقه بين البراري ، فضلا عما ورد بالكتاب المقدس في عهده القديم والجديد من آيات تحبب إلى النفوس التقرب إلى الله ، بالبعد عن متاع الدنيا وهجر الناس بما انطوت عليه نفوسهم من مطامع وشهوات وشرور ، والانقطاع في الصحاري البعيدة إلى تجريد الروح ، والتأمل ببصيرة نقية في بدائع الخليقة ، وقدرة الخالق العظيم .

فغاية الرهينة منذ نشأتها الأولى هي التسامى بالروح إلى الحد الذى فيه تعاين الله ، ووسيلتها إذكاء مشاعر القلب وتأريث نار الفكر بأضناء قوى الجسد ، ومنعه عما يصبو إليه من لذات مادية ، وحرمانه مما يبغيه من إشباع ما يتزنى به جوهره الفانى من شهوات ونزوات .

وإذن فالرهينة كما عرفها آباؤنا الاوائل ، طموح يستوجب التضحية ، إذ بها تتوثب الروح للانطلاق إلى قرب أنوار الله ، وبسببها يفنى الجسد لتستحيل قواه العضوية إلى فكرة مجردة متناهية الصفاء يرى العقل خلالها وجه الحقيقة الخالدة المثلة فى رب الكون .
هكذا عرف أولئك الأبرار غايتهم ، وهى بلوغ القدرة على الإتصال المباشر بالله .

وهكذا عرفوا وسيلتهم وهى إنماء قوة الروح والعقل بالقبض على أزمة الجسد وكبح جماحه ، وكل هذا يقتضى اجتناب مغريات المجتمع بالبعد عنه ، واجتناب شهوات الجسد بتحريم اللذائذ عليه ، واجتناب الضعف والتراجع باستمداد المعونة الدائمة من عند الله ، وبالتفكير الدائم فيه ، وفى سمو صفاته ، وعجائب مخلوقاته .

وعلى ذلك فهذه هى الأسس الخمسة التى تقوم الرهينة عليها وهى :
الوحدة ، والتبتل ، والتقشف ، والصلاة ، والتأمل .

ومن تعاليم آباؤنا الذين أسسوا الرهينة وسيرتهم ، نعلم أن كل واحد من هذه الأسس إنما هو وسيلة للغاية العظمى ، وليس غاية فى ذاته ، ولا فضيلة بمفرده :

فالوحدة في ذاتها ولأجل ذاتها رذيلة من رذائل المجتمع المجبول بحكم طبيعته على التآلف والتعاون بين الناس : فالمتوحد لغير عبادة الله أو بدون عبادة الله رجل مكروه الطبع منبوذ الصفات بين الناس . وكذلك الهارب من عواقب شروره ، والمتخلى عن مقتضيات واجبه ، واليائس من رحمة الله في شئون معاشه ، والمرتبجى من وحدته نفعا دنيوياً يصبو إليه من في قرارة نفسه . وكل أولئك ليسوا إذن من الرهبنة على شيء ، ماداموا يبتعدون عن الناس لغير التقرب لوجه الله .

والتبتل ، أى صم الآذان عن نداء الجنس الخارج من أعماق الجسد هو أمر يخالف مقتضيات الحياة البشرية ، بما تنزع إليه من تكاثر واستمرار ، ويخالف مطالب الجسد بما جبل عليه من رغبة ، وبما وجب لرغبته من استجابة في غير انحراف أو شذوذ . إلا أن الرهبنة كما عرفها آباؤنا غاية تستوجب التضحية ، ومن صور التضحية هذا الكبح الاختياري لغريزة من غرائز الأحياء الأرضية في سبيل التسامى إلى ما هو غير أرضى ، وفي سبيل تفوق الإنسان على نفسه بالضغط على هذا المزيج من المادة والروح ، ليبلغ آخر الأمر مرتبة الروح النقية الخالصة ، القادرة على استشعار مجد الله . وذلك أنه بغير العفة يستهلك الإنسان في إرضاء شهوته كل ملكاته وقواه ، فتخبو فيه مشاعر القلب ، وتختف أضواء العقل ، وينسدل ستار المادة السميكة على صفاء الروح . أما العفة فتقسو حقاً على الجسد ، ولكنها تصهره ، فتحول كل مقدراته إلى أنوار باهرة تكسو شعوره وفكره ببهاء الجوهر الخالد المدرك لذاته ولأسرار الوجود . وفي سبيل هذا يحلو العذاب ، وتسهل المشقة ويهون التنازل عما هو طبيعي لبلوغ ما هو فوق الطبيعي . . وأما تعذيب الجسد مستقلاً عن الرغبة في بلوغ هذه الغاية ، أو باعتباره غاية في

ذاته ، أو وسيلة بمفرده لإرضاء الله ، فمسلك لا يتفق مع طبيعة الناس ولا ينال رضا الله .

والتقشف هو أيضاً صورة من صور الجور على جانب المادة في الإنسان لإذكاء جانب الروح ، وذلك بحرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات ومن فاخر الثياب لكي لا يغرق في طوفان الشهوة ، أو يلهيه حسن المنظر عن الجهاد في سبيل الهدف الذي وضعه نصب عينيه . إلا أن التقشف لغير بلوغ هذا الهدف كذلك مضیعة لما ينبغي للإنسان من قوة يواجه بها مطالب الحياة ، ويكافح بها في سبيل العيش . فلا يكفي أن يصوم المرء عن الطعام ويصد عن بهرج المظهر كي يكون راهباً أو ملتزماً طاعة الله : فلن يكون ذلك من طاعة الله ، إلا في حالة واحدة ومن أجل غاية واحدة هي تحرير الروح كي تنطلق لرؤية الله ، فذلك أمر تستوجبه التضحية وتحتّمه الضرورة الماثلة ، كما يجبر المرء على الصوم إذا كان عليلاً ويرجو الشفاء ، أو يلزم القصد في الطعام إذا كان صحيح الجسم ولكنه يخشى ما تؤدي إليه التخمّة من أدواء .

إلا أن هذه الأسلحة الجبارة التي يشهرها الإنسان المتشوق إلى أنوار الملكوت لا تكفي وحدها لقهر هذا الجسد القاسي العنيد بما ركب فيه من ملكات تنزع به على الدوام إلى تحقيق ما يضطرم به من رغبات ، فما تزال بالمتوحد تغريه بأن يعود إلى أحضان الاجتماع ، وما تزال بالمتقشف تدفع به إلى تذوق ما حرم نفسه منه من شهى الطعام وبهى الأردية وزاهى الحلى والزينات . فما أضعف الإنسان أمام هذه الهمسات التي لا تفتأ تلهيه عن غايته وتحرضه على التخاذل والاستسلام . لذلك يلزم للإنسان سلاح آخر يحارب به الضعف والتردد ، ويهزم به هواجس الفكر وآثام الخيال ، وذلك السلاح هو الصلاة المستمرة لله في تجرد وتفرغ وحرارة وابتهاال ، حتى تكون الغاية من الرهينة ماثلة أمام الراهب في كل ساعة من ساعات الليل

أو النهار، وحتى يستمد من دعائه لربه قوة يواصل بها الطريق الشاق الذي اختار أن يسلكه في الحياة . أما تلاوة الصلوات وحدها أو ترديدها في الفم بغير انتباه فلا فائدة فيها ولا ثواب ، طالما أن الغاية المرجوة منها بعيدة عن الذهن والقلب ، وطالما أن الهدف الأسمى من الرهينة ليس هو مجرد الصلاة ، وإنما هو معاينة الله .

وأخيراً فإنه لا يكفي للإنسان أن يعيش وحيداً متبتلاً متقشفاً مواصلاً الصلاة لكي يجني ثمرة جهاده ، ولكي يكون راهباً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وإنما ينبغي أن يفعل كل ذلك بكل وعيه وبكامل إدراكه ، أي يفعله على هدى بصيرته ونور فكره ، ولا يفعله كآلة المسخرة التي لا عقل لها ولا تفكير ولا صواب .

فالتسامي إلى الله لا يكون إلا بسمو الروح ، وسمو الروح لا يأتي إلا عن سمو العقل ، ومظهر سمو العقل هو حب المعرفة ، ودوام التأمل في الظواهر والمعقولات ، والسعى إلى استكناه أسرار الوجود باستنباط الأسباب والمسببات ، والعلل والمعلولات ، والصعود في مدارج الفكر إلى الأسس الأولى والمبادئ العليا التي يقوم عليها نظام الخليقة بحكمة خالقها .

وبالجملة فلكي يكون الإنسان راهباً ينبغي له أن يكون بذلك وقبل ذلك فيلسوفاً وحكيماً .

ومن ذلك نرى أن الرهينة أسلوب جليل من أساليب الحياة ، ومهمة شاقة لا يصلح لها كل إنسان ولا يقدر عليها كل إنسان . ولا يصل إلى غايتها كل من سلك سبيلها ولا يتصف بصفتها كل من لبس مسوحها ، لأنها كما عرفها روادها الأوائل أسمى وظيفة من وظائف البشر ، وأصحابها - على حقيقتها - هم أسمى مراتب الناس ، وغايتهم في الحياة هي أسمى غاية وسبيلهم أشرف سبيل .

وقد وقع الأقباط في أيام ديسيوس ثم في أيام دقلديانوس إبان القرن الثالث الميلادي تحت وطأة الإضطهاد الشديد ، وكان عهد هذين الطاغيتين من أسوأ العهود التي مرت بها المسيحية منذ نشأتها إلى اليوم ، حتى لقد كانت حياة المسيحيين تحت حكمها كابوساً مروعاً مملوءاً بالأهوال ، ومذبحة مستمرة تفيض من جنباتها دماء الشهداء من رجال ونساء وأطفال . إلا أنه لم يكن الإرهاب والعذاب ، ولم يكن الإضطهاد والاستشهاد إلا ليزيد ما بقلوب المسيحيين من إيمان ، وأن يضاعف من عزمهم الجبار على احتمال الآلام والأخطار . بل لقد دفعت بهم قوة إيمانهم وشدة عزمهم إلى استعذاب العذاب والتلذذ بالألم ، والسعى مختارين مطمئنين إلى حومة الموت . ثم انتهى بهم الأمر إلى استشعار الفرح والفخار في التقدم طواعية لنيل إكليل الشهادة ، وإلى الإحساس بالخيبة والعار لو أن مسيحياً نجاً من حد السيف أو من لهيب النار ، فلم يسعد بنعمة الاستشهاد .

حتى إذا انقضى ذلك العهد الدامي وانتهت تلك التجربة العظمية ، كان ما لاقاه المسيحيون من أهوال قد صهر نفوسهم ، وطهر من أدران الدنيا سرائرهم وخواطرهم وخليجات قلوبهم ، وأرشدهم إلى سبيل الروح وعودهم على التضحية بالذات واحتمال الشدائد لغاية مجردة هي محبة الله .

فما بدأ عهد الحرية على أيام قسطنطين ، حتى بدأت تلك الفضائل المسيحية في الظهور والاستقرار ، وحتى بدأ كل مسيحي بقي على قيد الحياة يتوجه بالتقدير والتقديس لتلك الدماء الذكية التي سفكت ، ثم يحس بالحسرة والألم لأنه لم تدركه تلك الفرصة المباركة لأن ينال نحر الشهادة مع الشهداء . ومن ثم راح يسعى لأن يعوض ما فاتته من مجد عن طريق الفداء ، بسلوك طريق أخرى يلتمس بها التفاني في تمجيد ذلك الذي بذل نفسه عن البشر ، وفي نشر

دعوته والتماس المشقة في تنفيذ تعاليمه ووصاياه . . حتى أدى ذلك ببعض المسيحيين إلى التنازل عن كل ما في الحياة من لذات ومتعات ، وتكريس الحياة كلها - بعيداً عن دنيا الناس - للتسبيح والعبادة .

وهكذا اقترنت فكرة التوحد للعبادة منذ نشأتها بفكرة التضحية والفداء : فأذ رأى المسيحيون خلال تجاربهم المريرة بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب ، وإذ عرفوا بأحاسيسهم الذي أرففه العذاب أن هنالك ما هو أسوأ وأبعد من هذا السراب ، وألهمتهم أرواح شهدائهم أن هنالك ما هو أحق بالجهاد والاستشهاد من مطالب هذا العالم الكذاب ، راحوا يبذلون أنفسهم - بمحض رغبة نفوسهم ومشاعرهم ، وعلى هدى ضمائرهم وبصائرهم - هاربين من الناس ، متوارين عن مدائنهم وقراهم الزاخرة بالأدناس ، منطلقين في الصحراء والبراري ، أو متزوين تحت سقوف الأطلال أو كهوف الجبال ، يحاربون الجسد فيقتربون بالصلاة والصوم والتأمل وتسامي الروح ، من ملكوت السموات .

وعلى هذه الصورة بدأت الرهينة في مصر : فخرج أفراد من المسيحيين عن ديار أهلهم ، ويمحوا شطر الأكمات والتلال البعيدة عن معالم العمران وانفرد كل منهم وحيداً متعبداً لله في كهف من الكهوف أو تحت سقف من السقوف ، لا يؤنس وحدته أنيس ، ولا يجلس إليه في خلوته جليس ، ولا يعاونه على تدبير أمره رفيق ولا صديق .

وكان من أوائل ألك الناسكين المتوحدين في أواخر القرن الثالث القديس الأنبا بولا ، ثم الأنبا أنطونيوس ، والأنبا باخوميوس ، ثم ظهر في أوائل القرن الرابع الأنبا مكاريوس ، وهؤلاء هم الذين وضعوا أسس الرهينة ، وسنوا شرائعها وصاغوا مبادئها وآدابها ،

حتى جعلوا منها أسلوباً سامياً من أساليب الحياة ، اجتذب إليه آلاف النفوس البارة في مصر وفي العالم أجمع ، حتى لقد أقبل كثير من الأمراء والحكام والفلاسفة إلى وادي النيل كي يتعلموا على هؤلاء الرهبان الأوائل ، ويسلكوا سبيلهم في الحياة : ومن أولئك القديس أرسانيوس ، وقد كان معلم أبناء الملك في روما ، وأعظم فيلسوف فيها ، وكان أبوه من كبار رجال البلاط المكي . ومنهم كذلك القديسان مكسيموس ودوماديوس اللذان تركا قصر أبيهما الملك ، وأقبلا من القسطنطينية ، وهما في زهرة شبابهما كي ينخرطا في سلك الرهبنة . وقد أفنيا حياتهما في الزهد والتقشف والتعب والصلاة . وغير أولئك كثيرون من سائر أمم الأرض .

* * * *

وظلت الرهبنة هكذا تقوم على التوحد ، وهو أسمى مراتبها ، إذ به يكتمل ما للرهبنة من معنى التصوف ، وما لها من صورة التقوى والتقشف ، وما ينبغي لها من التجرد والانقطاع إلى التأمل في حقائق الكون والاتصال بالله .

وكان النساك إبان ذلك يعيشون في الكهوف أو المغارات أو القلالي ينونها لأنفسهم ويغلقونها على أنفسهم ، فلا يرون الناس ولا يراهم الناس . حتى أقبل القرن الرابع الميلادي ، وكثر طلاب الترهيب وانطلاق الناس إلى البراري والقفار . إلا أن النفوس ليست بقادرة كلها على التزام الصبر الشديد على الوحدة المطلقة بما تنطوي عليه من قسوة وإفقار وحرمان ، وقد نشأ الناس بغريزتهم ميالين إلى الاجتماع والتعاون على مطالب العيش ، ومن ثم فقد بدأت تظهر الحاجة إلى جمع شمل الرهبان ممن عجزوا عن حياة الوحدة ،

كى يعيشوا فى جماعات تتوافر لها أسباب الائتناس بالزمالة والجوار ، والأمن والسلامة من عادية الوحوش الضارية أو المغيرين من قطاع الطرق ولصوص القفار ، فراح الرهبان يبنون قلاليهم فى سفوح الجبال متجاورة من بعضها حتى يخففوا عن أنفسهم حدة ما يستشعرون من وحدة وانفراد ، ومع الزمن ابتداء هؤلاء النساك المتجاورون يتعاونون فى إقامة الصلاة وتدبير ما يلزم لهم من شئون حياتهم ، وحماية أنفسهم من ضواري الصحراء ، وغارات البربر ، فقاموا يبنون أسواراً عالية تضم قلاليهم وتعزز مانشأ بينهم من تعاون ومودة . وهكذا نشأت فكرة الأديرة .

وكان أول من نظم جماعات الرهبان هو الأنبا باخوميوس : فكان يقيم لهم الأديرة عند أطراف المدن فى نواحي الوجه القبلى . وهكذا فعل الأنبا أنطونيوس فى الجبل الشرقى ، والأنبا مكاريوس فى الجبل الغربى ، وتوالت من بعدهم ديار الرهبان، إلا أنها ظلت خلال السنين المتوالية فى تطور مستمر من حيث بنائها ومن حيث النظام السائد بين ساكنيها : فبعد أن كانت قاصرة على القلالي تضمها الأسوار ، أصبحت تقام لها أبنية كاملة ذات حجرات متباعدات أو متجاورات . وبعد أن كانت الصلاة فيها انفرادية دائماً أصبحت جماعية فى بعض الأوقات ، يشترك فيها رهبان الدير جميعاً ، وقد أصبحت تضمهم لهذا الغرض كنيسة تبنى داخل الدير ، وبعد أن كان كل راهب مسئولاً عن نفسه وغير مسئول أمام غيره ، أصبح يسود الدير نوع من النظام الإجتماعى قوامه التعاون والتواضع والطاعة من سائر الرهبان لمن أقاموه رئيساً لهم يسهر على شئون مجتمعهم الصغير .

حتى إذا أقبل القرن الخامس ، كانت الأديرة تملأ كل برارى مصر وقفارها ، حتى بلغت الآلاف ، وأصبحت تضم عشرات الآلاف من الرهبان المقبلين من كل نواحي الأرض .

وقد كانت حياة الرهبان في الأديرة حياة كفاح وحرمان ، بيد أنها كانت في ذات الوقت حياة إنتاج وخصوبة ، فلم يكونوا يفهمون الرهينة على أنها انقطاع للعبادة والمناجاة فحسب ، ولا تطلع إلى الخير الذاتي وحده ، وإن كان هذا الخير متصلاً بالروح ، وإنما كانوا يفهمونها على أنها رسالة سامية ذات غاية متسعة الآفاق يمتد ظلها فيشمل المجتمع كله ويشمل الزمن كله ، لأنهم كانوا يدركون أنها باطلة فضيلة الإنسان إن كان ضيائها لا يتعدى جدران النفس البشرية ولا ينعكس على الإنسانية كلها فيغمرها بنور الحقيقة ، ويهديها إلى سر الوجود .

فلم يكن الراهب إذ يغلق باب الدير على نفسه قد آلى على نفسه أن يقطع صلته بالكون والكائنات ، وإنما أن يتخلص من الجانب المظلم في الحياة كي ينكشف أمامه الجانب المضيء ، فيرى الكون ويرى الكائنات على هداه ، فيتأثر بما حواه من أضواء ، ثم يجتهد أن يؤثر بدوره في الحياة البشرية ، وأن يكسوها مما اكتست به نفسه من بهاء .

ومن ثم فقد كان إيمان الراهب غير قاصر على سويداء قلبه ، وإنما يجتهد أن يشيع بين الناس ما اقتنع به : فكان للراهب إلى جانب تعبدته لله واجبان مقدسان هما تبشير أهل الدنيا بأسرار الدين ، وتلقين الجاهلين بما وصلت إليه القرائح من علم : ومن ثم فقد كانت حياة الراهب موزعة بين الصلاة والصوم والتعبد من ناحية ، وبين القراءة والبحث والكتابة والتبشير من ناحية أخرى .

وبذلك وصلت إلينا أخبار نسكهم وقداستهم وشدة احتماهم وطهارة قلوبهم وتفانيهم في إيمانهم واجتهادهم في مرضاة ربهم وإجهاد أبدانهم في عبادته وتأدية الطقوس المرسومة لتسبيحه وتقديم آيات الولاء والإجلال له .

ووصلت إلينا كذلك أخبار انقطاعهم للقراءة والتأمل والدرس ، وقد
عثرنا على بعض ما ألفوه من أبحاث ، وما صنفوه من كتب ، وما خلفوه من
آيات تدل على ما بلغوه من سعة الفكر وسمو الحكمة وعمق النظر في حقائق
الكون وطول الباع في البحث والاطلاع .

فأحاطوا - فضلا عن تعمقهم في اللاهوت - بكل مباحث الفلسفة وعلوم
ما بعد الطبيعة ، وعرفوا أسرار الفلك وتسيار الكواكب ، ومواضع
الشموس ، ومواقع الأتار ، وتتابع الليل والنهار ، وأتقنوا حساب السنين
وترتيب الفصول وأحاطوا بطرف من الكيمياء والطب والجبر والهندسة
وتاريخ الشعوب وأنباء الحروب ، وكل ما يرد على قلب الإنسان من معارف
وعواطف وخلجات وأشجان .

ومن الجهة الأخرى ، كانت المسيحية في مبدأ عهدها عقيدة مضطهدة
يؤمن بها البعض فيلاقي في سبيلها كل صنوف التعذيب والهوان ، ويكفر بها
البعض الآخر فيناصب أنصارها العداوة ويلاحقهم بالعدوان ، ويختار أمامها
فريق ثالث فيظنون هكذا في تردد بين الكفر والإيمان . . فكان إذن لابد من
رجل يأخذ على عاتقه أن يواسي المؤمنين فيما يلاقون من عذاب ، ويدعو
الكافرين إلا دين رب الأرباب ، ويمحو من قلوب المرتابين المضطربين ما
يداخلها من ارتياب واضطراب . فكان هذا هو بعض واجب الراهب يؤديه
ولو أدى به إلى هجر ديره وترك ما توجهه عليه رهبانيته من وحدة وانقطاع ،
وفي سبيله كان يروح بين الناس معزياً ومعلماً ومبشراً بيسوع ، ومن
ثم كان الرهبان هم الشعلات التي أضاءت طريق المسيحية منذ أقدم العصور .

فالتفكير والتبشير إذن كانا من واجبات الرهبة ، إلا أنهما كانا
في الحقيقة قاصرين على النابغين والموهوبين من الرهبان الذين بلغوا
مصاف كبار المفكرين والفلاسفة والخطباء في أيامهم .

أما الذين لم يبلغوا هذه المرتبة من الرهبان ، فقد كانوا ينصرفون إلى نسخ الكتب أو يعكفون على أنواع مختلفة من الصناعات اليدوية يستعينون بها على مواصلة كفاحهم المرير ، أو يلجأون إليها لمناضلة ما قد يراودهم من تضعف الإرادة أو تزعزع التفكير ، واضعين نصب أعينهم على الدوام الغاية التي كرسوا أنفسهم لها ، متطلعين - من وراء التعفف والتقشف - إلى ملكوت يسوع الذي أعدّه للبررة الأطهار المتواضعين ، طامعين - بعد الزهد والتقير - في معاينة وجه الخالق القدير .



وبعد هذه الكلمة العامة التي أسلفناها عن الرهبة ، وعرفنا منها حقيقتها وحكمتها ، ووسيلتها وغايتها ، تقتضينا الإحاطة بالبحث أن نتناول الكلام عن الرهبة بعد ذلك بشيء من الإسهاب ، لما كان لها في حياة الأقباط من أثر بارز ، وما كان لها عليهم من سلطان عميق ، حتى لقد اختاروا كل رؤسائهم الدينيين من بين الرهبان ، بل لقد جعلوا الرهبة شرطاً لتولى أولئك الرؤساء مناصبهم السامية الجليلة التي يكن الأقباط لمن يتولونها كل تقديس وتوقير واحترام .

فمن نشأت الرهبة ، وما الأساس الذي قامت عليه ، ومن هم روادها الأوائل الذين وضعوا أساسها ؟

نشأة الرهبة

يقول كيرزون في كتابه « أديرة الشرق » أن فكرة الرهبة ، كانت موجودة في القرن الثاني للميلاد ، وأن القديس فرونتون اعتزل الحياة بوادي النطرون في نحو عام ١٥٠ ميلادية . كما يذهب الأب شينو في كتابه « قديسو مصر » إلى أن هذه القديس هو أول من

فكر في حياة العزلة ، بعيداً عن العمران ، وأنه قد تبعه في ذلك
مئات النساك ، الذين انطلقوا يتعبدون في البراري والقفار . إلا أن
الرهينة لم تكن في تلك الأيام قد اتخذت بعد شكلها الذي عرفت به
في الأجيال التالية ، وإنما كانت معتقها يسمى ناسكاً ، وكان
ينفرد بعيداً في الصحراء ويبني له كوخاً يسمى بالقلاية ، أو يبحث
عن فجوة في الجبل تسمى بالمغارة ، وينتهج في معيشته هناك النظام
الذي يختاره لنفسه دون مانهج معين يلتزمه غير ما يمثل في ذهنه من
آيات الكتاب المقدس وما ورد فيه من أسلوب حياة السيد المسيح
والأنبياء والقديسين .

أساس الرهبنة

١ - نشأت فكرة هجر العالم والزهد في متاعه وأطعمه لدى أولئك
النساك الأوائل عن قول السيد المسيح للشاب الغني : « إن أردت أن تكون
كاملاً فاهرب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال
اتبني » ، وقوله لتلاميذه : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليترك نفسه
ويحمل صليبه ويتبعني ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك
نفسه من أجلى يجدها، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه »
وقوله في موضع آخر : « من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب
ابناً أو إبنة أكثر مني فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني .
من وجد حياته يضيّعها ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » وقال كذلك : « من
ترك بيوتاً .. أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » .
ثم أن يسوع ضرب مثلاً بنفسه إذ قال : « للثعالب أوجرة ولطيور السماء
أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » .

٢ - ونشأت فكرة اللجوء إلى الجبال والبرارى عن أن السيد المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلى أو يعلم الجموع . كما أن إيليا النبي كان يقيم في جبل الكرمل ، حتى إذا هرب من هناك لجأ إلى جبل حوريب ، واتخذ له فيه مغارة نام فيها . وكان أليشع كذلك يقيم في الجبل . وكان يوحنا المعمدان يعيش في البرية منذ صباه ، ثم أصبح بعد ذلك يكرز في البرية كذلك .

٣ - أما البتولية فقد استمدأ أولئك النساء مبدأها من تعاليم السيد المسيح إذ قال : « إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى ، والذي يتزوج بمطلقة يزنى » فقال له تلاميذه إنه مادام هذا أمر الرجل مع المرأة ، فالأوفق له ألا يتزوج » فأجابهم قائلاً : « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذين أعطى لهم ، لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات .. من استطاع أن يقبل فليقبل » . وكذلك قال بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : « حسن للرجل أن لا يمس امرأة » . وقال كذلك : « أريد ألا تكونوا بلاحم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته . إذن من زوج فحسباً يفعل ومن لا يتزوج يفعل أحسن » . وقد عاش بولس نفسه بتولا ، كما يتضح من قوله : « أقول لغير المتزوجين أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا »

٤ - وأما الفقر الاختياري والتقشف الذى أخذ به النساء أنفسهن ، إذ قسوا على ذواتهن ونسوا مطالب حياتهم وتعمدوا تعذيب أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيداً عن الناس ، فقد تمثلوا فيه

كذلك بالسيد المسيح في زهده واحتماله الآلام ، وبالأنبيااء في قناعتهم بالحقير من اللباس وبالنزر اليسير من الطعام .. كما بنى النساك ذلك على ما ورد في الكتاب المقدس من آيات تدعوه وتحض عليه ، إذ جاء في التثنية : « إحترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصايا وأحكامه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم ، لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتاً جيدة وسكنت وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب ، وكثر كل مالك يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك » . وجاء في الأمثال : « أطعمني خبز فريضتي لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب » . وجاء في أعمال الرسل : « إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله » . وقال بولس في رسالته إلى أهل تسالونيكي : « كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات ، فأنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا .. وأننا عتيدون أن نتضايق » . وقال في رسالته إلى أهل كورنثوس : « كفقراء ونحن نفنى كثيرين ، ولا شيء لنا ونحن نملك كل شيء »

هـ - وأما الطاعة التي هي فرض واجب على الرهبان نحو رؤسائهم ، فقد احتذوا فيها بالسيد المسيح إذ جاء في الآية : « مع كونه ابناً تعلم الطاعة » و « وضع نفسه وأطاع حتى الموت » . وقد حض بولس الرسول على الطاعة في قوله : « مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » . وقال لتلميذه تيطس : « ذكرهم أن يخضعوا للرئاسات والسلطين ويطيعوا ويكُونوا مستعدين لكل عمل صالح » . وقال أيضاً . « أطيعوا مرشديكم » .

مؤنسو الـهبنه

١ - الـنبا بولا :

من أشهر النساك الذين عاصروا العهد الأول ، الذي بدأت تأخذ الرهبنة

فيه شكلها المنظم القديس الأنبا بولا . وقد ولد في أوائل القرن الثالث .
وكان أبوه رجلاً غنياً ، ولم يكن له سوى أخ واحد أكبر منه يسمى بطرس .
فلما مات أبوه وانقضت أيام الحزن عليه ، جلس الأخوان يقسمان الميراث .
وعندئذ رأى بولا أن أخاه الأكبر يجور عليه في القسمة ، فتألم لذلك ، وصمم على
أن يمشي إلى الحاكم ليفصل بينهما . وفيما هما ذاهبان مرت بهما جنازة ، فسأل
بولا أحد المشيعين عن الميت فقال أنه عظيم من عظماء المدينة وقد خلف
مالاً وفيراً تركه وخرج من هذه الدنيا بغير شيء . حتى الرداء الذي كان
عليه . فتنهّد بولا وقال في نفسه : « مالي أنا وهذا العالم الفاني أتكالب عليه
ثم أتركه وأنا عريان » ثم التفت إلى أخيه قائلاً « عد بنا يا أخي فماعدت
أطلب منك شيئاً » ، ثم انحرف عنه وانطلق إلى البراري الواقعة خارج
المدينة ، وهناك وجد مغارة بالقرب منها نخلة وعين ماء ، فأقام فيها وبقي
بها يعبد الله سبعين عاماً وقد ارتدى ثوباً مجدولاً من ليف النخلة ، وقنع
ببضع بلحات يسد بها رمقه وقطرات ماء يبلل بها شفتيه كل يوم . حتى إذا
قاربتة المنية وقد جاوز المائة من عمره ، سمى إليه ناسك آخر كان يعيش في
البرية في ذلك الحين وهو القديس أنطونيوس ، وكان قد سمع به فانطلق
يبحث عنه حتى وجده . وكان هذا يعلم أن ساعته قد جاءت فقال لأنطونيوس
أن ينطلق ليأنيه بثوب يكفنه به . ولكن أنطونيوس حين عاد وجده قد
فارق الحياة وهو ساجد على ركبتيه ووجهه إلى الأرض ويداه مبسوطتان
كالصليب فبكى عليه وكفنه بحلة كان قد أعطاهها له البطريك الأنبا
أثناسيوس ، ثم دفنه وذهب بعد ذلك إلى الأنبا أثناسيوس وأنبأه بوفاته
فأرسل وأخذ جسده واحتفظ به في الكنيسة ، وقام هذا البطريك بتدوين
سيرته : وقد كانت وفاة هذا القديس في سنة ٣٤٣ ميلادية . وهناك دير باسمه
في ذات الموقع الذي عاش فيه بجبل القلزم ، وما زال عامراً بالرهبان حتى اليوم .

٢ — الأنبا آمونيوس :

ومن أشهر النساك الذين عاصروا الأنبا بولا في أواخر القرن الثالث الأنبا آمونيوس . وقد ولد في بلدة قريبة من الإسكندرية من أبوين ثريين توفيا أثناء طفولته ، حتى إذا بلغ مرحلة الشباب ناقت نفسه إلى حياة الزهد ، وتمنى أن يكون ناسكاً ، إلا أن عمه الذي كان قد كفله حثه على الزواج من إحدى الفتيات الثريات ، فلم يملك إلا طاعة أمره . بيد أنه مازال بزواجه الشابة حتى أقنعها بأفضلية حياة التبتل ، وانفقا على أن يعيشا كأخوين تحت سقف واحد ، وبقياً على هذه الحال مصممين على تنفيذ خطتهما تلك في عزيمة وأمانة ، ما يقرب من العشرين عاماً . ثم بعد ذلك عقد آمونيوس العزم على التفرغ للنسك والعبادة وحيداً في البرية ، فوافقته زوجته على ذلك ، فانصرف إلى وادى النظرون ، ولم يكن به في ذلك الحين دير من الأديرة . وهناك ذاع صيت القديس آمونيوس فاقتفى أثره جمع غفير من الذين اختاروا لأنفسهم سبيل التنسك ، قيل أنهم بلغوا خمسة آلاف . وكان منهم القديس الشهير الأنبا مكاروريوس . كما ذكر القديس أثناسيوس أن الأنبا أنطونيوس كان يحترم القديس آمونيوس احتراماً عظيماً . وكانت صومعته على مسيرة ثلاثة عشر يوماً من صومعة القديس آمونيوس . وقد ورد في كتاب « سير آباء الكنيسة » وصف لزيارة القديس أنطونيوس للقديس آمونيوس . وقد كانت وفاة هذا القديس في عام ٣٤٥ ميلادية تقريباً .

٣ — الأنبا أنطونيوس :

أما القديس الأنبا أنطونيوس فقد ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي في بلدة « قن العروس » بمركز الواسطي من أبوين موسرين

وقد كان في نحو العشرين من عمره حين مات أبوه ، فأنثر فيه موته تأثيراً عميقاً وأرهف إحساسه بتفاهة هذه الحياة وبطلان هذا العالم ، حتى حدث أن سمع في الكنيسة قول السيد المسيح للشباب الغنى : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في



« الأنبا أنطونيوس »

السماء ، وتعال اتبعني » فخرج من فوره وباع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء ، غير مستبق سوى جزء منها لشقيقته ، وقد عهد بها إلى بعض من يثق فيهن من العذارى ، ثم انطلق إلى خارج البلد حيث أقام في قبر قديم هنالك بالقرب من جبال أفردتيو بوليس وهي إطفيج الحالية ، وراح يصل الليل بالنهار في الصلاة والصوم ، وقد أغلق باب المكان عليه ، فلم يكن يراه أحد سوى أصدقاء له يأتونه بكسرات من الخبز ، مقتدياً في ذلك بمن سبقوه من النساك . وظل

هنالك مدة من الزمن لقي خلالها أشد صنوف العذاب ، وكابد أقصى ألوان الألم الناجم عن هواجس النفس وهمس الشيطان . وكثيراً ما وجده أصدقاؤه منطرحاً في مخبئه وقد أغمى عليه من فرط ما يعاني فيحملونه إلى البلد، ولكنه ما أن يفيق من غيبوبته حتى يسارع مرة أخرى إلى القبر الذي اختاره سكناً له . وكثيراً ما كانت الذئاب والضباع والثعابين والعقارب تهاجمه ، ولكنه تحمل كل ذلك بصبر جميل ، وبينذاك سمع الناس به وكثر عدد الذين كانوا يأتون ليفوزوا ببركته أو لينالوا الشفاء من أمراضهم على يديه ، ولكنه لم يكن يسمح لهم برؤيته ، وإنما كان يعظم ويعزى قلوبهم من وراء بابه المغلق ، إلا أنه مع ذلك خاف أن تصاب نفسه بداء الغرور والكبرياء ، وقد انهال عليه المريدون من كل الأنحاء ، فرحل عن ذلك المكان ، وتوغل في البرية شرقاً حتى وجد مغارة في قمة جبل من الجبال الواقعة بالقرب من البحر الأحمر ، فاستقر بها وظل يتعبد فيها عشرين عاماً . وقد سمع الناس هناك بأمره كذلك فقصدوه أفواجا ملتجئين بركته، راجين حدوث المعجزات على يديه .

حتى إذا وقع الإضطهاد في عهد مكسيميانوس سنة ٣١١ ميلادية، رحل مع بعض رهبانه إلى الإسكندرية لتشجيع المسيحيين ومواساتهم ، وما فتئ يزور المسجونين ويعظم ويعزى نفوسهم غير مبال بما يتعرض له في سبيل ذلك من تنكيل وإيذاء ، إذ كان يتمنى أن ينال إكليل الشهادة ويخرج مع الشهداء . ثم لما خفت وطأة الإضطهاد ، عاد إلى بريته حزين النفس إذ فاته هذا الشرف ، وقد جعل من تقشفه وقسوته على نفسه عوضاً عن إكليل الشهادة الذي فاته ، وقد عرف ذلك عنه حتى بلغ خبره المقرري ، فقال إنه « لما فاته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريباً من ذلك فترهب وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضاً عن الشهادة » .

وقد كثر عدد النساك المحيطين بأنطونيوس ، وقد اتخذوه أباً لهم ، فبنى

لهم الأديرة ، وسن لهم القوانين التي يسرون على هداها في حياتهم ، فكان أنطونيوس بذلك أول مؤسس للرهبنة في صورتها التي عرفت بعد ذلك بها . وقد ألبس الرهبان رداءهم الذي يرتدونه حتى اليوم . ولذلك يسمونه كوكب البرية ، ويصفونه بأنه أبو جميع الرهبان .

وقد بلغت شهرته الإمبراطور قسطنطين ، فبعث إليه بكتاب يشيد فيه بذكره ، ويدعوه لزيارة القسطنطينية ، ففرح الرهبان الذين كانوا معه بهذا الكتاب فرحاً عظيماً وألحوا على أبيهم أنطونيوس أن يقبل الدعوة فانهم قائلاً : « إن لدينا كتب ملك الملوك توصينا كل يوم ونحن نهملها ولا نلتفت إليها » . إلا أنه بعد الإلحاح الشديد كتب إلى الإمبراطور يشكره ويباركه . وكان ممن أقبلوا عليه من الرهبان القديس الأنبا مكاربيوس ، وقد أرشده إلى ما ينبغي عليه وألبسه رداء الرهبنة . وكان من تلاميذه كذلك القديس هيلاريون الفلسطيني الذي عاد إلى بلاده بعد ذلك ومعه عدد من رهبان الأقباط وأنشأوا الأديرة في فلسطين .

كما أن الأنبا أنطونيوس قام بزيارة القديس الأنبا بولا واهتم بجسده حين حضرته الوفاة وكفنه ودفنه .

وفي سنة ٣٥٥ ميلادية تزح الأنبا أنطونيوس مرة أخرى إلى الإسكندرية لمحاربة بدعة آريوس ، وكان عمره وقتئذ قد ناهز السنة الرابعة بعد المائة . وبعد عودته توفي سنة ٣٥٦ ودفن في كنيسة الدير الذي أسسه بجبل القلزم بالقرب من دير الأنبا بولا .

٤ — الأنبا باخوميوس :

ولد الأنبا باخوميوس بالصعيد الأعلى في أواخر القرن الثالث من أبوين وثنيين ، ولما ناهز العشرين من عمره انخرط في سلك الجندية ،

وحارب في بلاد الحبشة ضمن جيش قسطنطين الكبير الذي كان وقتئذ قائد جيوش دقلديانوس . وقد حدث أنه دخل مع رفاقه من الجنود إحدى المدن المسيحية ، وكانت تسمى « ديوسبولي » فأكرمهم أهلها رغم أنهم غرباء عنهم ومن غير دينهم ، فمس هذا الإكرام قلب باخوميوس ، ومال إلى أولئك القوم الذين آنس منهم الطيبة والوداعة والتواضع وصفاء القلب ، فما لبث أن اعتنق ديانتهم المسيحية حوالي سنة ٣١٤ ميلادية ، ثم بعد تسريحه من الجيش ، مال إلى الوحدة بعيداً عن بلدته بالقرب من أسوان ، وهناك سمع بناسك شيخ يتعبد وحيداً في البرية ، وكان ذلك هو القديس الأنبا بلامون ، فمضى إليه وطرق باب قلايته ، فتطلع إليه الشيخ من كوة في الباب قائلاً له : « من أنت أيها الأخ وماذا تريد ؟ » فأجابه قائلاً : « أنا أيها الأب المبارك أطلب المسيح الإله الذي أنت تعبده ، وأتوسل إليك أن تقبلني عندك وتجعلني راهباً معك » . فقال الشيخ : « إن الراهبة يا ولدي ليست من الأعمال التي يزاولها كل واحد أو يقصد إليها كل إنسان ، لأن كثيرين قد طلبوها وسعوا إليها وهم جاهلون ما فيها من عناء ومشقة ، حتى إذا زاولوها عجزوا عن الصبر عليها ، وأنت قد سمعت بها سماعاً ساذجاً وما عرفت جهادها ولا ما فيها من نضال وأهوال » فأجابه باخوميوس قائلاً : « أتضرع إليك أيها الأب ألا ترد طلبتي أو تحمد رغبتى ، وإنما اقبلني عندك وجربني » فقال له الشيخ : « امض يا ولدي وجرب نفسك وحدك ، واختبر جلدك على معاناة النسك وما فيه من مضض وخشونة وتقشف . . فأننا أيها الولد الحبيب حين عرفنا من الدنيا كثرة غرورها وضلالها ، وقرب انتقالها وسرعة زوالها ، رأينا أن الثقة بها عجز وزلل ، والميل إليها والتمسك بها نقص وخلل ، فتركناها إثاراً وابتعدنا عنها اختياراً ، وجئنا إلى هذه البراري البعيدة ، والصحاري الفريدة ، وحملنا على عاتقنا صليب مسيحتنا

وتبعناه مثقلين لا يعود الخشب ، وإنما بشقاء العيش وإضناء الجسد ، وقمع
هواه ، وقتل قواه . نقيم الليل ساهرين في تلاوة الصلوات ، وتمجيد الله ،
ونصوم اليوم بطوله في الصيف ، ويومين يومين في الشتاء ، ونفطر على
خبز وملح وماء ، ونبعد الملل بذكر الموت وقرب الأجل ، وندهض
بالحمول والاتضاع كل تعظيم وارتفاع ، مقدمين أرواحنا لله ضحية ، وذبيحة
نقية ، ذاكرين قول الإله أن الذين يغضبون ذواتهم يختطفون ملكوت
السموات . . . فإن كنت يا ولدي مصمماً على عزمك ، فاختر لك مكاناً انقرد
فيه ، وإذا قدرت وصيرت على احتمال الأتعاب ومكابدة الأوصاب ، تعال
عندي أفرح بك وأرشدك لكل ما تحتاج إليه في حياة الرهبان . فلما سمع
باخوميوس هذا الكلام الذي لم يسمع مثيلاً له من قبل ازداد تشبثه واشتد
عزمه قائلاً للشيخ : « إنني على استعداد لما تصف من آلام وضيقات ،
وسأظل معك حتى الممات » . وعندئذ فتح له الشيخ بابه وأدخله . . . وقد
ظل باخوميوس في طاعته أعواماً كثيرة ، حتى أنقن أصول الرهبة ، والتف
حوله بدوره كثير من الرهبان فبنى لهم ديراً في طبانسين بمديرية قنا . وكان
ذلك هو أول دير يبنى للرهبان في مصر كلها . وقد أقامه بالاشتراك مع
الأنبا بلامون . وكان ذلك في حوالي عام ٣٢٠ ميلادية . وقد كان له
الفضل في تيسير سبل العبادة للراغبين فيها . بأنشائه حياة الشراكة في الدير .
فبعد أن كان كل راهب يتكفل بنفسه ، جعل الرهبان جميعاً يشتغلون كل
حسب قوته ونشاطه . ويقسم المحصول على الجميع كل حسب حاجته . وما
فتى عدد الرهبان يتزايد في دير طبانسين ، حتى بلغوا بعد بضع سنوات ألفين
وخمسمائة راهب . ثم بنى بعد ذلك دير يافو ويسمى أيضاً الدير الكبير ،
وانتقل إليه وجعله مقره بعد أن أقام الأب تادرس رئيساً لدير طبانسين . ثم
بنى بعد ذلك دير شينوفسكيون بعد أن وضع أساسه ناسك يدعى

أبونوخوس . حتى إذا ضاق هذا الدير الأخير برهبانه أنشأ ديراً رابعاً في أرض تسمى منخوسين . وظل عدد الأديرة التي أقامها باخوميوس يتزايد بعد ذلك في كل انحاء مصر العليا من إخميم شمالاً الى إسنا جنوباً حتى بلغ عدد المقيمين بها سبعة آلاف راهب . ومنها دير إدفو بأسوان ودير في إسنا ودير فاو بالقرب من دشنا ودير بانوس بالقرب من إخميم ودير بحنون بالقرب من إسنا ودير كانور ودير أرموثيم . وكان الأنبا باخوميوس يخرج من الدير الذي جعله مقرآله وهو دير يافو ويطوف بالأديرة الكثيرة التي أنشأها متفقداً أبناءه فيها ، راعياً شئونهم ، مهتماً بكل ما يتعلق بهم شأن الأب الحنون .

وقد بنى ديراً للراهبات في طبانسين بقنا ، وكانت أول راهبة حلت به هي أخته مريم ، وقد بلغ عدد من انضممن إليها من العذارى في ذلك الحين أربعمئة راهبة . ثم بنى ديراً آخر للراهبات بقرية نخنة ، ويبعد عن دير إدفو ميلاً واحداً .

وبذلك يكون الأنبا باخوميوس هو مؤسس الحياة الديرية وواضع نظم الحياة المشتركة للرهبان ، ولذلك يسمونه « أب الشركة » ، وقد ورد في حديث للأنبا أنطونيوس مع راهب يدعى زكاوس قوله : « إننى حين ابتداء رهنيتى أيها الأخ زكاوس لم يكن هنالك دير ولا نظام يجمع شمل الأخوة في مكان واحد ، فكان من يؤثر الزهد في العالم ممن قد عرف غروره ، وخداعه وعبوره ، ينفرد بمعزل وحده ، حتى ظهر الآب باخوميوس ، وألهمه الله بهذا الصنيع المبارك ، فنهض به في همة وأناة لا تتوافر لغيره من الناس ، وقد كان يتصل بى ما يتصف به من كرم الأخلاق وأصالة الأعراق وعمق الإيمان وصدق العبادة ، فكانت نفسى تفرح لذلك وتمتلىء سروراً » .

وكان الأنبا باخوميوس هو أول من جمع الرهبان داخل سور ، وجعل لهم رئيساً يطيعونه ، وكانت قوانينه الخاصة بقبول الراهب في الدير

وملابسه التي يرتديها والطريقة التي يعيش بها ، والعمل الذي يتولاه ، ونظام صومه وصلاته ، هي الأصل الذي أخذت عنه جميع النظم الرهبانية في العالم إلى اليوم . وما زالت قوانين باخوميوس باقية حتى الآن بالإغريقية واللاتينية .

وقد بلغ عدد الرهبان في أديرة الأنبا باخوميوس أكثر من سبعة آلاف راهب كما سبق أن قلنا ، وكان في دير طبانسين وحده ألف واربعمائة راهب . وقد كان الأنبا باخوميوس معاصراً للإمبراطور قسطنطين الكبير ، والبطريرك الأنبا أثناسيوس الرسولي اللذين كانا في أوائل الجيل الرابع للمسيح .

ولا يوجد أي دير من أديرة الأنبا باخوميوس اليوم عامراً بالرهبان ، إلا أنه قيل أن دير المحرق العامر الآن هو أحد الأديرة التي أنشأها هذا القديس .

ولم يكن الأنبا باخوميوس يسمح لأحد من أبنائه الرهبان بقبول رتبة الكهنوت ، ابتعاداً بهم عن التطلع إلى المناصب العالمية ، فكان يحضر كاهناً من الكنائس القريبة لإتمام خدمة القداس في الدير . وقد حدث أن سافر البطريرك الأنبا أثناسيوس إلى الصعيد ليرسم الأنبا باخوميوس كاهناً فهرب هذا واختفى كي لا يتمكن البطريرك من تنفيذ عزمه ، فأعفاه الأنبا أثناسيوس قائلاً لأبنائه الرهبان « قولوا لأبيكم يامن بنى بيته على الصخرة التي لا تتزعزع وهرب من المجد الباطل طوباك وطوبى لأبنائك » .

وقد أقام الأنبا باخوميوس رئيساً للرهبان ، أو كما يسمونه رئيساً للشركة أربعين سنة ، ثم مات في أواسط القرن الرابع الميلادي وله من العمر أربع وسبعون سنة ، وكانت وفاته قبل وفاة الأنبا أنطونيوس .

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة في الشرق حتى القرن الحادى عشر .
وقد روى أنسلم أسقف هافلبرج بألمانيا من رجال ذلك القرن أنه شاهد
بالقسطنطينية ديراً باسم القديس باخوميوس وبه خمسمائة راهب ، عاملين
بقوانين ذلك القديس العظيم .

أما سيرة هذا القديس فقد دونها أحد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه
إبرو نيموس ، ثم ديونيسيوس الصغير ، وقد عربها بعض القبط ، ثم ترجمها
إميلينو إلى الفرنسية وطبعها في باريس سنة ١٨٨٩ ميلادية .

٥ — الأنبا مكارىوس :

ولد الأنبا مكارىوس - ويدعى أبو مقار الكبير - في أوائل القرن
الرابع ببلدة جحوير من أعمال منوف بالوجه البحرى . وحين بلغ مبلغ
الشباب زوجه أبوه ، إلا أن عروسه ما لبثت أن ماتت ، ثم بعد قليل مات
أبوه ، فوزع ما تركاه له على الفقراء ، وانفرد في كوخ وحده في أطراف
بلدته يقضى أيامه متعبداً ، ثم لم يلبث أن توغل في البرية حتى وصل إلى
مكان القديس أنطونيوس ، وكان عندئذ في نحو الثلاثين من عمره ، فألبسه
القديس إسكيم الرهبانية وزوده بنصائحه ، وغادره الأنبا مكارىوس بعد أن
مكث معه مدة إلى وادى النطرون حيث أقام هناك ، وقد ذاعت بعد ذلك
شهرته وملأت البلاد أخبار تقشفه وتقواه ، فالتف حوله كثير من الرهبان ،
حتى إذا اجتمع لديه عدد وفير منهم ، بنى لهم الدير الذى كان معروفاً بدير
مكسيموس ودوماديوس ، ثم عرف بعد ذلك بدير البراموس . ثم بنى بعد
ذلك الدير المعروف الآن بدير أبى مقار ، ثم دير الأنبا يحنس القصير ودير
الأنبا بيشوى . وقد كان للأنبا مكارىوس مكانة جليلة حتى لقد لقبوه بأب
الرهبان . وقد بلغ عدد رهبانه ٢٤٠٠ راهب .

ولما وقع اضطهاد الإمبراطور فالنس الأريوسى للأرثوذكسين سنة ٣٧٥ ميلادية ، لقي هذا القديس الشدائد فى سبيل دفاعه عن الإيمان القويم ونفى إلى جزيرة فيلو المعروفة بجزيرة أنس الوجود بالصعيد الأعلى ، ويقال أنه شفى بصلاته إبنة كاهن الأوثان فى هذه الجزيرة من روح نجس كان بها فأمن الكاهن وسكان الجزيرة كلها بالمسيح ، وتنصروا على يديه . وقد ورد فى كتاب تاريخ الرهبان أن الأنبا مكاريوس حين عاد من منفاه استقبله فى البرية خمسون ألف راهب . ثم قضى بقية أيامه بعد ذلك معلماً ومرشداً للرهبان ، وقد ترك خمسين رسالة وعظة .

وقد توفى الأنبا مكاريوس فى أواخر القرن الرابع وكان قد جاوز التسعين من عمره ، فأتى قوم من أهل بلدة جحوير وأخذوا جسده ودفنوه فى بلدهم وبنوا عليه كنيسة ، وقد ظل جسده هناك مائة وستين سنة ثم نقل إلى دير المعروف بدير أبى مقار .

ولهذا القديس مؤلفات جليلة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد المسيحية ، ولم يبق منها إلا كتاب عظاته المحتوى على خمسين عظة . وقد طبعها الإنجليز بلغتهم ثم ترجمت إلى العربية . كما أن للقديس أقوالاً روحية أخرى منشورة فى كتاب بستان الرهبان ، وله سبع رسائل لاهوتية طبعت بالفرنسية فى مدينة تولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤ ميلادية .

٦ - القريسان مكسيموس ودومادريوس :

كان هذان القديسان ولدى الإمبراطور فالنتيان الأرثوذكسى ، الذى حكم بين سنتى ٣٦٤ و ٣٧٥ ميلادية ، وقد قضيا أيام طفولتهما بقصر أبيهما بالقسطنطينية وكانا منذ صغرها وديعين محبين للصلاة والقراءة والتأمل ، ثم تملكهما فى مطلع شبابهما حب العبادة والتنسك ، فاستأذنا أباهما فى رحلة

قصيرة ومضيا إلى الشام ، حيث كان هناك القديس أغايوس فضمهما إليه وألبسهما إسكيم الرهبة ، ولكنه ما لبث أن حضرته الوفاة فأوصاها أن يذهبا بعد موته إلى القديس الأنبا مكارىوس . وكانا يصنعان قلاع المراكب ويقتاتان من ثمنها ، وقد علم أبوهما بمكانهما فأرسل إليهما والدتهما وأختاهما ولكنهما رفضا أن يعودا وتمسكا بحياة الرهبة . وقد حدث بعد ذلك أن توفي بطريرك روما فوق الاختيار على مكسيموس ليجلس على كرسي البطريركية ، فلما اتصل خبر ذلك بالأخوين حتى غادرا مكانهما ومضيا إلى وادى النطرون ليقيا مع الأنبا مكارىوس كوصية معلمهما أغايوس . فلما رأهما الأنبا مكارىوس أشفق على شبابهما وكان أكبرهما لا يتجاوز التاسعة عشرة ، وظن مما يبدو عليهما من النعمة أنهما لن يستطيعا الإقامة في البرية فراح يصف لهما مشقة الحياة في هذه القفار وما يعانيه الرهبان فيها من المتاعب والضيقات ، ولكنهما صمما على البقاء فاختر لهما قلاية بالقرب منه وألبسهما الإسكيم المقدس ، وزودهما بنصائح وانصرف عنهما فأقاما هنالك ثلاث سنوات يتعبدان في قداسة وصمت ، ولا يغادران صومعتهما أبداً . وبعد ذلك أصيب مكسيموس بمرض مفاجئ . وما لبث أن مات فبكي عليه الأنبا مكارىوس ودفنه بالقرب من صومعته ، وبعد أن واره التراب بثلاثة أيام مرض أخوه دوماديوس وفاضت روحه فدفنه الأنبا مكارىوس بجانب أخيه ، وبني كنيسة فوق قبرهما وسمى باسمهما دير برموس أى الآباء الرومانيين . وكان هذان القديسان أول من مات من القديسين في وادى النطرون .

٧ - القديس أرسانيوس :

كان أرسانيوس رومانياً يشغل أبوه منصباً كبيراً في القصر

الإمبراطورى بروما ، وقد طلب الإمبراطور ثاؤوديسيوس معلماً لابنه أركاديوس ، فاختير أرسانيوس لهذه المهمة ، وذهب لأدائها بالقسطنطينية وقد أصبح مقرباً من الإمبراطور وذا نفوذ عظيم فى البلاط ، إلا أن نفسه ملّت هذا العالم وتاقت إلى حياة التنسك والزهد ، فسافر إلى مصر وهو فى نحو الأربعين من عمره . وكانت الرهبنة قد بدأت تزدهر فيها ، وذهب إلى القديس مكاريوس فى وادى النطرون ، فأسكنه إحدى القلاىى الخارجة عن الدير لأنه آنس منه الميل إلى الوحدة والهدوء . وقد اشتهر أمر نسكه وتعبده حتى بلغ القسطنطينية ، فدفع كثيرين من نبلائها إلى الحجى إلى مصر والانخراط فى سلك الرهبنة .

وكان القديس أرسانيوس وقوراً مهيب الطلعة طويل القامة مسترسل اللحية ، كثير الصمت ، شديد الإخلاص فى نسكه . وقد ورد فى سيرته أن أركاديوس إمبراطور القسطنطينية أرسل كتاباً إلى واليه فى الإسكندرية يأمره فيه بأن يدفع للقديس أرسانيوس خراج مصر مدة سنة ليصرفه كيف يشاء . فلما جاء الوالى إلى أرسانيوس بالمال قال له « فليأمر الملك بتوزيع هذا المال على ذوى الحاجة ، وبناء الأديرة ، وأرجو من الرب أن يجازيكم على صنيعكم » .

وقد أقام القديس أرسانيوس بوادى النطرون أربعين سنة حدث فى أثنائها أن أغار البربر على الأديرة سنة ٤١٠ ميلادية فغادرها الرهبان جميعاً ما عدا هو فقد ظل هناك وحده قائلاً : « إن عناية الرب تشمل الجميع وما من أمر يحدث إلا بمشيئته ، فلو كان الله قد أراد التخلّى عني فلماذا أتمسك بالحياة » . ثم بعد عشرين عاماً من هذا التاريخ ، أغار البربر مرة أخرى سنة ٣٤٠ ميلادية ، فغادر أرسانيوس وادى النطرون فى هذه المرة وهو يبكى قائلاً : « لقد فقد العالم المتمدين روما ، وفقد الرهبان برية شيهات » . وذهب

إلى كانوب بالقرب من الإسكندرية ومكث هناك وقتاً حيث زاره البطريرك الأنبا ثاوفيلس عدة مرات . ويقال أن سيدة رومانية أخت في مقابله وهو في كانوب وكانت قد عبرت البحر لتظفر بكلمة منه ، ولكنه رفض مقابلتها استمساكاً بمبادئ الرهبنة وآدابها . ثم رحل بعد ذلك إلى تروجا - وهي طرا الحالية - وأقام هناك في دير كان قد بناه الآب أركاديوس ، وكان يعرف بدير القصير ، وقد ظل أرسانيوس في هذا الدير عشر سنوات وتوفي في عام ٤٤٥ ميلادية وكان يبلغ من العمر حوالي ٩٥ عاماً . وقد دفن في هذا الدير .

٨ - الأنبا موسى :

كان هذا القديس المعروف بموسى الأسود عبداً وثنياً ، وكان سالكاً في مطالع شبابه مسلك الأشرار ، يقتل وينهب ولا يتورع عن ارتكاب أى جريمة ، ولكنه ما لبث أن شعر بالندم وبالرغبة في التكفير عن ذنوبه . وقد تصادف أن قابل الأنبا أيسيدورس في البرية وكشف له عن رغبته في التوبة فأتى به إلى القديس مكارىوس فوعظه ولقنه الإيمان وعمده ثم ألبسه رداء الرهبنة ، فما لبث أن أظهر من التفسك والتفانى في العبادة ما جعله في مصاف القديسين ، وقد النف حوله خمسمائة من الرهبان في دير بـرموس فأصبح رئيساً عليهم . حتى إذا أغار البربر قال للأخوة الذين معه « قد أتى البربر فمن يشاء منكم أن يهرب فليهرب . أما أنا فلي سنوات أنتظر هذا اليوم لقول الرب من قتل بالسيف فبالسيف يقتل » فعلا دخل البربر وقتلوه مع سبعة أخوة معه ، فنالوا بذلك إكليل الشهادة .

٩ - الأنبا يوحنا القصير :

كان القديس الأنبا يوحنا ويلقب بيحنس القصير من بلدة تسمى بتسا

بالصعيد ، وقد تاق الى الرهينة منذ أن بلغ الثامنة عشرة من عمره ، فقصد الى الأنبا بموى وطلب إليه أن يقيم عنده ، فألبسه ثياب الرهينة ، ويقال أن الأنبا بموى أراد أن يجربه فأعطاه ذات يوم عوداً يابساً وطلب إليه أن يزرعه ويسقيه ، فأطاعه وراح يسقي هذا العود كل يوم مع أن الماء كان بعيداً جداً . حتى إذا مضت ثلاث سنوات دبت الحياة في العود ونبتت فيه الفروع الخضراء وصار شجرة مثمرة ، فأخذ الأنبا بموى الثمار ودار بها على شيوخ البرية قائلاً : « خذوا كلوا من ثمرة الطاعة » .

ومرض الأنبا بموى فأقام يوحنا إثنى عشرة سنة يخدمه ويعتنى به ، حتى إذا حضرته الوفاة جمع حوله الشيوخ وأمسك أمانهم بيد يوحنا قائلاً : « احتفظوا بهذا فهو ملاك وليس بأنسان »

ثم مضى يوحنا وأقام في المكان الذي غرس فيه الشجرة ، حتى أغار البربر على وادى النطرون فمضى يوحنا وأقام في جبل أنطونيوس عند القلزم ، ومات ودفن هناك ، ثم نقلت جثته بعد ذلك الى دير بوادى النطرون .

١٠ - الأنبا بيشوى :

ترهب الأنبا بيشوى على يد الأنبا بموى بوادى النطرون ، حتى أغار البربر على أديرة هذا الوادى فرحل الى جبل أنتينوب بالصعيد وتوفي هناك . فلما هدأت الأحوال فى وادى النطرون نقلت جثته مع جثة الأنبا بولا الى دير الأنبا بيشوى .

١١ - الأنبا سنوده :

ولد الأنبا سنوده فى أواسط القرن الرابع فى قرية شندويل بمديرية جرجا وكان خاله الأنبا بجول قد أسس الدير الأبيض فى الصحراء الغربية

المقابلة لإخميم ، مهتدياً في ذلك بقوانين الأنبا باخوميوس ، فلما توفي الأنبا بجول سنة ٣٨٣ ميلادية ، خلفه في الرئاسة ابن أخته الأنبا شنوده ، ويلقبونه برئيس المتوحدين ، ويذهب البعض إلى أنه المؤسس الحقيقي للكنيسة القبطية ، لأنه بذل مجهوداً عظيماً في محاربة الوثنية واقتلاع جذور خرافاتها من الكنيسة . وكان واعظاً بليغاً وكاتباً مقتدرًا ، وقد ترك من الرسائل باللغة القبطية ما يعتبر تراثاً أدبياً ثميناً .



« الأنبا شنوده »

وكانت قوانين دير الأنبا شنوده تدل على صرامة المحافظة على النظام المتبع في الدير ، طبقاً للقانون الذي وضعه الأنبا شنوده ومؤداه أن « كل من جاء الى هذا المكان لا يجب أن يعمل بحسب إرادته ، ولكن بحسب إرادة الرب » .

وقد شهد الأنبا شنوده مجمع أفسس الأول مع البطريرك الأنبا كيرلس

الأول سنة ٤٣١ ميلادية .

وقد استمرت رئاسة الدير الأبيض للأنبا شنوده ٦٦ سنة، وبلغ عدد رهبانه نحو ألفي راهب وألفي راهبة . وتوفي سنة ٤٥١ ميلادية وقد بلغ الثامنة عشرة بعد المائة من عمره . ودفن بديره الذى مازال باقياً حتى اليوم .

آداب الرهبنة

حين تكامل شكل الرهبنة فى الأديرة ووضعت أسسها وتقاليدها خلال القرن الرابع الميلادى ، أصبح للرهبنة آداب معروفة يلتزمها الرهبان ولا يحيدون عنها ، ويقاس مدى تنسكهم وتقواهم بقدر ما يحافظون عليها ويرعونها ويتبعونها . وقد توارث الأجيال المتعاقبة من الرهبان هذه الآداب حتى يومنا هذا ، وهى مدونة فى كل الكتب الخاصة بهم ومنها « بستان الرهبان » و « تعاليم القديس أنطونيوس » و « سيرة الأنبا باخوميوس » و « عظات الأنبا مكاريوس » و « كتاب مار افرام » و « كتاب مار اسحق » و « كتاب الشيخ الروحانى » .

وقد بنيت كل هذه الآداب التى وضعها مؤسسو الرهبنة على آيات الكتاب المقدس ، وعلى شواهد من حياة السيد المسيح والأنبياء والقديسين ، وأهم هذه الآداب هى : —

١ — البتولية والعفة وطهارة الجسم والفكر والابتعاد عن مشاهدة النساء ، وإغضاء النظر عنهن عند الضرورة .

٢ — الزهد والفقر الاختيارى والتواضع وتحقير الذات وعدم الافتخار أو الأنانية ، والزهد فى المديح أو المجد الباطل أو حب الرئاسة أو حب الظهور ، وارتداء الملابس الحقيرة .

٣ — الانفراد والعزلة والسكون والصمت وسكنى الأديرة أو الجبال

وملازمة الدير أو القلاية وعدم مغادرتها إلا للصلاة أو للضرورة القصوى .

٤ — الصلاة المستمرة ليلاً ونهاراً ودوام ذكر الله وذكر الدينونة واليوم الآخر والتضرع الدائم الى الله لقبول التوبة بحرقه وحرارة ودموع .

٥ — الصوم الدائم من المساء الى المساء والاكتفاء بالخبز والماء ، وعدم الشبع في الأكل والامتناع عن الدسم والمسكر .

٦ — العمل لتحصيل القوت الضروري وعدم البطالة وإعطاء الصدقة للمحتاجين .

٧ — الصبر واحتمال المشقات والضيقات بلا تدمير أو تخاذل أو ضعف .

٨ — طاعة الرؤساء في كل ما يأمر به وفقاً للكتب المقدسه .

٩ — الوقار وعفة اللسان وعدم المزاح أو الضحك أو الهزل واجتناب مجالس الماجنين .

١٠ — التسامح ومسالمة الجميع ومحبة الغرباء وخدمة المرضى والضعفاء واجتناب النجاسة أو الكذب أو المكر وكظم الغضب .

مراسم الرهبنة

أما الإجراءات التي وضعها مؤسس الرهبنة لقبول الراهب في الدير فتم هكذا :

يتقدم طالب الرهبنة الى أمين الدير فيسلمه لأحد شيوخ الرهبان ليظل مدة تحت ملاحظته وإرشاده . حتى اذا انقضت هذه المدة واتضح أن طالب الرهبنة لائق لها ومستحق أن يلبس لباسها ، يأمر أمين الدير بدق الناقوس عند المساء ، فيجتمع الرهبان ، ويستشيرهم في أمر قبول هذا الطالب ، فإذا

قضوا بلياقته يأخذ الأمين لباس الرهبنة المكون من منطقة وقلنسوة ،
ويقرأ عليه بعض الصلوات ويقول الرهبان بينذاك بصوت واحد
« آكسيوس » أى « مستحق » ، ثم يضعون اللباس على أجساد القديسين
المحفوظه لديهم ، ثم فى الصباح تقام الصلاة ويحجى الطالب فيرقد على ظهره
أمام باب الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا
الرجل قد ترك العالم كأنه مات ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم ، أى
العلمانيين . ثم بعد الصلاة تدق النواقيس ، ويطوفون بالراهب الجديد فى
الكنيسة والهيكل منشدين مرتلين ، ثم يتوجهون الى حجرة الأمين حيث
يتبادلون التهانى ، وبذلك تكون قد تمت إجراءات إسباغ صفة الرهبنة على
الراغب فيها .

مراتب الرهبان

تواضع الرهبان فيما درجوا عليه من تقاليد ، على أن للرهبان مراتب
تختلف باختلاف درجة نسكهم وتقشفهم ، وقد ذكر القديس ماراسحق هذه
المراتب ، فقال أن المرتبة الأولى منها تشمل العلمانيين الأنقياء الأتقياء .
والمرتبة الثانية تشمل الرهبان الذين يعيشون داخل الدير عيشة مشتركة .
والمرتبة الثالثة تشمل المتوحدين داخل الدير الذين يلزمون قلايهم
ملازمة تامة ، فلا يخرجون منها إلا للصلاة الجماعية يوم الأحد . والمرتبة
الرابعة تشمل المتوحدين المتفردين فى الصحارى والجبال . والمرتبة الخامسة
تشمل السواح الذين بلغوا درجة الكمال فى التعبد ، ووصلوا الى منتهى الآمال
التي يطمح إليها الأبرار الأطهار من سكان البرارى والقفار . وما يفتأ
الراهب كلما بلغ مرتبة من هذه المراتب يتطلع الى المرتبة التى تليها ، مشتاقاً
لأن يكون أشد قرباً الى الله وأقوى أملاً فى خلاص نفسه وبلوغ ملكوت
السموات .

أثر الـهبنـة القبطية في العالم المسيحي

لقد كانت الحركة الروحية العظيمة التي انبعثت من الأديرة القبطية منذ إنشائها مناراً وصلت أنواره إلى العالم المسيحي كله .

فقد وصلت أنباء النساك الأقباط إلى المسيحيين في كل الأرض ، فتقاطر طلاب التعبد إلى براري مصر من كل صوب ، ينهلون من ذلك المنهل العذب ، ويتذوقون عذوبة الانقطاع لعبادة الله بأرشاد الآباء القديسين ، وقد وصلت إلينا أنباء بعض أولئك المغتربين الذين جاءوا ودفنوا في أرض مصر ، ومن أشهرهم القديسين مكسيموس ودوماديوس ولدي الإمبراطور فالنتيان ، والقديس أرسانيوس معلم الإمبراطور أركاديوس .

كما حج كثيرون إلى مصر ليروا أولئك الآباء الذين جعلوا منها أرضاً مقدسة ثانية ، وليأخذوا عنهم ويتلمذوا عليهم ، ثم ينشروا تعاليمهم في البلاد التي أتوا منها ، ومن هؤلاء القديس هيلاريون ، وقد جاء من فلسطين وتلمذ على يدى القديس أنطونيوس ثم عاد إلى بلاده سنة ٣١٠ ميلادية وأنشأ ديراً بالقرب من غزة وقد بلغ عدد رهبانه نحو ثلاثة آلاف راهب . والقديس أوجين الذى كان تلميذاً للقديس باخوميوس وقد نقل الـهبنـة إلى العراق . والقديسان باسيليوس الكبادوكي وغريغوريوس الثيولوجوس اللذان تركا وطنهما في آسيا الصغرى ومارسا أولهما الـهبنـة في وادي النطرون وتعلم ثانيهما في مدرسة الأسكندرية ثم أقيم الأول أسقفاً على كبادوكية ، والثاني أسقفاً على القسطنطينية وبواسطتها انتشرت الـهبنـة في تلك البلاد . والقديس باسيليوس الكبير مؤسس الـهبنـة اليونانية ، والقديس روفينوس الروماني ، وقد قضى في الأديرة المصرية ستة أشهر من عام ٣٧٣ ميلادية ، وقد روى أخباراً كثيرة عن الرهبان في القرن الرابع ، ومنها أن أسقف

مدينة أو كيرسيخوس أخبره أن في تلك المدينة عشرة آلاف راهب ، وأن معظم اهيكل الوثنية تحولت إلى أديرة . وقد شاهد في القيوم وسوهاج أديرة كثيرة بها آلاف الرهبان ، ورأى في هرموبوليس - وهي الأشمونين - ديراً به خمسمائة راهب، وعثر على خلوة خلف دير أنطونيوس بها راهب يدعى إلياس ظل وحيداً هناك سبعاً وسبعين سنة . وكذلك القديس إيرونيμος، وقد جاء لرؤية رهبان مصر في عام ٣٨٦ ميلادية ، والقديس أوسيوس دى فرسيل وكان أول أسقف لكرسى فرسيل بأيطاليا في أواسط القرن الرابع ، وكان من أعداء بدعة آريوس ، وقد نفى إلى فلسطين ثم إلى كبادوكيا ثم سافر إلى مصر ودرس نظام الرهبنة بها حتى إذا عاد إلى بلاده أنشأ بها الأديرة على نمط الأديرة القبطية . والقديس لوسيفر دى كاليارى من جزيرة سردينيا ، وكان معاصراً لأوسيوس، وكان كذلك من أعداء بدعة آريوس، وقد نفى إلى فلسطين ثم إلى صعيد مصر فدرس هناك نظام الرهبنة وأدخله حين عاد إلى بلاده . والقديس بلاديوس أسقف هيليو بوليس وقد جاء إلى مصر في سنة ٣٨٨ ميلادية ومكث عشر سنوات بين رهبان الصعيد ، ثم في سنة ٤٠٨ عاد مرة أخرى ومكث سنتين بين رهبان وادى النطرون ، وقد ترك لنا كتاباً جمع فيه ما وعاه من أقوالهم وتعاليمهم ، وهو الذى اصطلح على تسميته بالعربية « بستان الرهبان » . كما جاء القديس يوحنا كاسيان بين عامى ٣٩٠ و ٤٠٠ ميلادية وزار وادى النطرون ثم سجل زيارته هذه في كتابيه « المعاهد » و « المواعظ » . وقد احتوت هذه المؤلفات على الكثير من أقوال آباء البرية وأعمالهم ، ويعتبرها المسيحيون تراثاً أدبياً خالداً للرهبنة ، ويعتبرون ما فيها شريعة دائمة للرهبان فى العالم أجمع . وقد كانت هذه المؤلفات تقرأ بصوت مرتفع فى أديرة البندكتين فى القرون الوسطى ، وما تزال تقرأ بها حتى اليوم ، وقد أنشأ القديس كاسيان بعد

عودته من مصر ديراً باسم القديس بطرس الشهيد في مدينة مرسيليا بفرنسا على نظام الأديرة المصرية . وقضى فيه العشرين سنة الأخيرة من حياته . وقد وضع القديس أوغسطينوس نظام الرهبنة الغربية مسترشداً بقوانين باخوميوس التي نقلها الغربيون إلى اليونانية واللاتينية .

وقد سافر كثير من الرهبان الأقباط إلى البلاد الأخرى وكان لهم الفضل في نقل نظام الرهبنة إليها ، ومن أولئك فريق سافر إلى روما ، وكانوا نواة الأديرة التي قامت في إيطاليا على نظام الأديرة المصرية . ومنهم فريق آخر حلوا إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وأنشأوا بها عدة أديرة . كما وصل بعض الرهبان الأقباط إلى جنوب فرنسا وأسسوا بها في أواخر القرن الرابع ديراً في لوران على نظام أديرة القديس باخوميوس ، وفي هذا الدير تتلمذ القديس باتريك حامي أيرلندا ومؤسس كنيسة كنيستها ، وقد استعان بعد ذلك ببعض الرهبان الأقباط في إنشاء الأديرة في أيرلندا ، كما استعان بالطقوس القبطية في أداء شعائر الصلاة في الكنائس التي بناها كذلك على النمط القبطي وجعل أوانيها مشابهة لأواني الكنائس القبطية . وبالرغم من عدم وجود الصحارى في أيرلندا سميت الأديرة هناك بالصحارى ، وهي بالإنجليزية « ديزرت » وقد اشتهر منها « ديزرت مارتن » و « ديزرت أوليد » بأقليم دونيجال ، حيث دفن سبعة من الرهبان الأقباط ، ولذلك يعتقد ستانلي لينبول أن هناك صلة مباشرة بين الكنيستين القبطية والأيرلندية . ويوجد بالمكتبة الوطنية في باريس دليل للرهبان الأيرلنديين الذين قصدوا مصر لزيارة « آباء البرية » . وقد كانت أفواج منهم ترحل إلى مصر حتى عام ١٣٢٠ ميلادية وقد تركوا وصفاً مفصلاً لزيارتهم .

وقد قام البطريرك القبطي أثناسيوس برسامة القديس فرومنتيوس أول أسقف على الحبشة ، ثم ذهب إلى هنالك في أواخر القرن الخامس بعض

الرهبان الأقباط اشتهر منهم تسعة ، وقد عرفوا بالقديسين التسعة ، وقد تلقت الكنيسة الآثيوبية تعاليمها وطقوسها عن الكنيسة القبطية وما زالت محافظة عليها حتى اليوم .

كما ذهب بعض الرهبان الأقباط الى بلاد العرب وبشروا فيها . وقد أخذ العالم عن الأقباط ضمن ما أخذ أقوال الآباء القديسين من الرهبان الأوائل ، وهي الأقوال النسكية التي دعمت الرهبنة وبينت ناحتيتها الروحية والعلمية . وقد وفد الى مصر رجال من الشرق والغرب دونوا هذه الأقوال وأثبتوها بلغاتهم من يونانية ولاتينية وسريانية . وقد فتحت لهم هذه التعاليم القبطية المحضة الطريق الى الرهبنة فساروا على هديها أو نسجوا على منوالها .

ولم يصل اليها باللغة القبطية من هذه التعاليم الا القليل ، فقد عرف الرهبان الأقباط في عصورهم الأولى بالتقوى والتواضع والعمل الصالح ، وكانوا يتعلمون من غيرهم ويعلمون غيرهم ، ولكنهم قلما كانوا يدونون تعاليمهم أو عظاتهم أو سيرة حياتهم ، وإنما اهتم الأجانب الوافدون بذلك فكتبوه بلغاتهم المختلفة ، كما في « بستان الرهبان » و « الآباء الحاذقون في العبادة » .

وقد كان القديس توما الأكويني ، وهو من أشهر اللاهوتيين بالغرب يقرأ يومياً بضع صفحات من كتاب « المواعظ » التي جمعها من الرهبان الأقباط القديس كاسيان ، قائلاً « إنني أستمد من هذه القراءة قوة روحية ترفعي سريعاً في تأملاتي إلى السمايات » . كما ظلت هذه المواعظ تقرأ في أديرة البندكتين منذ القرون الوسطى حتى اليوم .

ويقول الآب روسولو « إن الذين يلمون بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية

فى النفس؁ ويقارنونها بتعاليم الصحراء؁ يعجبون أشد العجب لذلك التطابق التام الذى يكاد أن يكون حرفياً فى معظم الأحيان بين هذه وتلك . وما من شك فى أن ذلك ليس ناشئاً عن الصدفة المحضة؁ وإنما عن التأثير المباشر . فقد تكون المعلمون الروحيون الحديثون فى مدرسة الرهبان الأولين .

ويقول أولاتورن أسقف رهبان البندكتين : « إن الأقوال المنطوية على الحكمة السامية والتجربة العميقة التى فاه بها الرهبان المصريون وسجلتها أقلام جديرة بالاحترام قد أضاءت الطريق للمسيحيين منذ البداية حتى اليوم؁ وقد أدى أولئك الآباء فى وحدتهم رسالة عظمى؁ لا بصلاتهم وتعبدهم فحسب؁ وإنما كذلك بقيامهم بمهمة تعليمية وتهديبية جلييلة لكل الأجيال المتلاحقة . فأن المؤلفات الروحية التى ينهل منها جميع الرهبان؁ إنما تتوهج بضياء حكمتهم؁ كما أن دساتير العبادة التى توجه النفوس التقية فى العالم إلى يومنا هذا إنما تزدان صفحاتها بجواهر حكمتهم . وما من شك فى أن الآلاف المؤلفه من السيدات التقيات اللاتى يعملن اليوم بهمة ونشاط فى الجمعيات والهيئات ويتحملن الكثير من المشاق فى سبيل الله والفقراء؁ إنما أتاهن الإلهام والتوجيه من أولئك الآباء الذين كانوا يتأملون ويتعبدون فى الصحارى . »

ويقول روم بتلر — ناشر كتاب بلاديوس — عن العظتين المذكورتين فى كتاب كاسيان واللتين تعتبران المصدر الرئيسى لكل ما يتعلق بالروحيات فى قوانين القديس بندكت : « فى هاتين العظتين العجيبتين؁ نرى نظرية الصلاة وممارستها وقد بلغت الذروة العليا؁ فى صورة عملية لا مثيل لها »

وهكذا كانت الرهبة القبطية باعتراف الجميع هى أساس الرهبة فى العالم المسيحى كله؁ ونظمها وتعاليمها التى وضعها باخوميوس وأنطونيوس

ومكارىوس فى الجيل الرابع هى السائدة فى كل أديرة المسيحيين حتى اليوم فى كل مكان .

الاديرة

نشأة الاديرة وازدهارها :

كان الناسك فى مبدأ الأمر يختار لسكنائه بناية خربة أو قبراً مهجوراً خارج المدن أو كهفاً منحوتاً فى القفر أو الجبل ، ويظل هكذا متوحداً لا يرى أحداً ولا يراه أحد .

ولكن هذا النمط من الحياة كان شاقاً على كثيرين ممن اختاروا حياة التعبد فبدأ المنقطعون للعبادة يختارون كهوفاً متجاورة ، يخفف عنهم تجاوزها قسوة التفرد والانقطاع ، وقد ورد فى سيرة القديس الأنبا مكارىوس فى أواسط الجيل الرابع للمسيح أنه كان يأمر الرهبان أن ينحتوا لأنفسهم مغارات متفرقة فى الجبل ، لأنهم لم يكن من المتيسر لهم بناء القلالى بالحجارة لبعدهم عن العمران .

حتى إذا ازدهرت الرهبة وأقبل مریدوها من كل صوب ، وعبر أولاد الملوك البحر كي ينخرطوا فى سلكها ، توافرات الإمكانيات لبناء القلالى من الحجارة ، وقد ساهم فى تحقيق ذلك الملوك والبطاركة . فقد جاء فى سيرة القديس أرسانيوس فى أوائل الجيل الخامس للمسيح أن أركادىوس ملك القسطنطينية - وكان أرسانيوس أستاذاً له - أرسل إلى تابعه وإلى الإسكندرية يأمره بأن يدفع لهذا القديس خراج مصر فى عام كامل كي يصرفه كيف شاء ، فرفض أرسانيوس العطية وطلب أن تنفق فى مساعدة ذوى الحاجة وبناء الديارات ، أى مساكن الرهبان . كما ورد فى سيرة

القديسة هيلاريا أنها كانت ابنة زينون ملك القسطنطينية ، وقد تآقت الى حياة الرهبنة فتزيت بزى الرجال وانضمت الى الرهبان فى برية شيهات، فلما عرف أبوها بمكانها كتب الى تابعه فى الإسكندرية أن ينفق على ديارات الرهبان فى تلك البرية ، ومن ذلك اليوم بدأت عمارة القلالى والكنايس للرهبان .

ثم فى الجيل الخامس الميلادى بدأ البربر يغيرون على البرارى التى يقطنها الرهبان وبنهبونهم ثم يقتلونهم ، وقد استشهد على يدهم كثيرون ، ومنهم الأنبا موسى الأسود ، وسبعة أخوة معه ، والتسعة وأربعون شهيداً فى شيهات وغيرهم ، ومن ثم أصبح من المحتم بناء أسوار حول مساكن الرهبان ، ومن ذلك الوقت بدأ بناء الأديرة ذات الأسوار فى برية شيهات . أما فى مصر العليا فقد بدأ الأنبا باخوميوس يبنى الأديرة لرهبانه منذ الجيل الرابع حيث كانت أماكنها قريبة من العمران ومواد البناء متيسرة ، مما مكنه من إقامة نظام الشركة فى الرهبنة ، ولذلك كانوا يسمون الأديرة «كنويون» أى بالقبطية المعيشة المشتركة .

ولما كانت الأديرة التى فى البرارى النائية أكثر تعرضاً لسطو الناهبين واللصوص ، فقد كانوا يبنون حولها الأسوار العالية ويجعلون أبوابها صغيرة واطئة يحنى الداخل منها رأسه ، حتى إذا وقع خوف من غارة البربر كانوا يضعون أمام الباب حجرين عظيمين معدين على الدوام لهذا الغرض . بل كانوا أحياناً يسدون باب الدير بالبناء ويرفعون الأشخاص والأشياء بأسطوانة تشبه الساقية ، حتى إذا قصد الدير شخص ، كان يجذب حبلًا متصلًا بناقوس ، فيثنيه الرهبان له ويمدون حبلًا يجذب الزائر إلى أعلا بواسطة الأسطوانة .

وقد انتشرت الأديرة فى كل أنحاء مصر بعد ذلك : فكانت أديرة الأنبا

مكارىوس فى برية شيهات بالوجه البحرى ، وأديرة الأنبا أنطونىوس فى مصر الوسطى ، وأديرة الأنبا باخوميوس فى الصعيد الأعلى .

وقد كثر عدد الأديرة خلال القرنين الرابع والخامس كثرة عظيمة ، وبالتالى كثر من بها من الرهبان : فقد ورد فى سيرة الأنبا بطرس البطريك الرابع والثلاثين أنه كان فى غربى الإسكندرية ستمائة دير عامرة بالرهبان . وقد ورد ما يؤيد ذلك فى تاريخ غزوالفرس لمصر ، إذ قيل أن كسرى حين فتح الإسكندرية كان بالقرب منها ستمائة دير عامرة مثل أبراج الحمام فخربها كلها . وقد جاء فى كتاب « بستان الرهبان » أن أحد عظماء القسطنطينية حضر إلى مصر فى أيام القديس مكارىوس ومعه أموال طائلة يريد أن يهبها للأديرة ، وحين دق الناقوس لجمع الرهبان حضر منهم القان واربعائة ، ولكنهم رفضوا جميعاً أن يأخذوا شيئاً من المال . وقد قال الأنبا أنانيا فى كتاب البستان كذلك أن عدد الرهبان فى برية شيهات على أيامه كان يبلغ الثلاثة آلاف . وذكر المقرئ أن عمرو بن العاص حين دخل مصر قابله سبعون ألف راهب . وكتب الأنبا بنيامين بطريك الإسكندرية فى عهد عمرو بن العاص يقول أنه كان ذاهباً إلى دير الأنبا مكارىوس ليكرس كنيسة هناك ، وعلى بعد ميلين من الدير خرج للقائه الرهبان يتقدمهم الشبان أولاً بأيديهم سعف النخل ثم الشيوخ حاملين الصليبان والمجامر وهم يسبحون بألحان ويرتلون بتهليل « فاهتز الجبل جميعه من كثرتهم ، وقد بدت صفوفهم كجند السماء طغيات طغيات » . وجاء فى تاريخ الأنبا بطرس البطريك الرابع والثلاثين أنه : « كان خارج مدينة الإسكندرية ستمائة دير للرهبان والراهبات عامرة كخلايا النحل » .

وقد ظلت الأديرة عامرة بعد ذلك أجيالاً طويلة ، وقد ذكر أبو المكارم المؤرخ القبطى أنه فى سنة ١٢٠٩م كان بدير الأنبا مكارىوس وحده ألف راهب .

فهراب الأديرة :

وقد ظلت الأديرة عامرة ، حتى تضافرت عوامل كثيرة على خرابها وإفقارها ، وأهم هذه العوامل غارات البربر وهجمات الغزاة :

١ — فحين عمرت الأديرة بالرهبان طمع فيها البربر ، وهم شراذم من القبائل الرحل ، فنظموا على الأديرة غارات كانوا يقتلون أثناءها الرهبان وينهبون ما يجدونه لديهم ، وقد كانت أكثر المناطق تعرضاً لهذه الغارات برية شهيات التي كانت عامرة بالأديرة . وتقع هذه البرية في صحراء ليبية ، وهي واد مستطيل منخفض يمتد غربى مديرية البحيرة بالوجه البحرى ، وقد كان قدماء المصريين يسمونه « سخت هيام » أى حقل الملح ، وذلك لأن به منابع يستخرج منها النطرون وهو ملح البارود ، ولذلك يسمى حتى اليوم بوادى النطرون ، ويسمى كذلك برية شهيات - أى بالقبطية محل العبادة - وبرية الأسقيط - أى محل النساك - كما يسمى وادى هيب وجبل نتريا . وقد أقام الأنبا مكاريوس فى هذه البرية أديرته ، ثم ازداد عدد الأديرة بها زيادة كبيرة . وقد حدثت أول غارة للبربر على برية شهيات حوالى سنة ٤١١ ميلادية ، ثم حدثت غارة أخرى بعد يضع سنوات قتل فيها كثيرون من الرهبان . وقد ورد فى السنكسار القبطى عن هذه الغارة « إن الإمبرطور ثيودوز الثانى أرسل رسولا إلى رهبان شهيات ليستشيرهم فى أمر زواجه من أخرى تنجب له ولداً يخلفه على العرش ، وقد أخذ الرسول معه ابنه الصغير ، وفيما كانا هناك هجم البربر فوقف شيخ كبير يقال له الأنبا يؤنس وقال للأخوة هوذا قد

أتوا وهم ما يطلبون إلا قتلنا ، فمن أراد الشهادة يقف معي ومن خاف
يطلع الجوسق ، فهرب بعضهم وبقي مع الشيخ ثمانية وأربعون ، فأتى
البربر وذبخوا الشيوخ ، كما قتلوا رسول الإمبرطور وإبنه . ثم وقعت
غزوة أخرى للبربر في أواسط القرن الخامس الميلادي ، وقد ورد في
كتاب « قديسو مصر » أن القديس موسى وستة من الرهبان استشهدوا
في صحراء شيهات ، وهرب الأنبا يحنس القصير إلى جبل أنطونيوس
والأنبا بيشوى إلى أنصنا بالصعيد ، وسبى البربر الأنبا صموئيل والأنبا
يونس قمص شيهات . وفي سنة ٥٧٥ ميلادية أغار البربر على برية
شيهات ، وقد جاء في كتاب تاريخ البطارقة الذي وضعه « أفيتس »
أن البربر انقضوا على المناطق كلها وخرّبوا الأديرة . كما جاء في هذا
الكتاب أن البربر أغاروا على البرية بعد ذلك سنة ٨١٠ ميلادية ، وكانت
كفردوس النعيم فتركوها خراباً وهدموا الكنائس والقلالي وأسروا
كثيراً من الرهبان ، وكان ذلك في عهد البابا مرقس الثاني ، وقد قيل
أنه ظل يبكي حزناً على ما حل بالأديرة حتى مات من تأثره . وذكر
كاترمير في رسالته عن مصر أنه في عهد سانوتوس البطريرك الخامس
والخمين الذي جلس على كرس الأسكندرية من سنة ٨٥٩ إلى سنة
٨٨١ ميلادية علم البربر أن هذا البطريرك اعترّم أن يزور برية شيهات هو
وحاشيته في عيد الفصح ، فقدموا سراً من الوجه القبلي واستولوا على كنيسة
القديس مقار وتوابعها ونهبوا كل ما فيها ، ثم طافوا على الأديرة الأخرى
وطردوا من فيها بالقوة بعد أن جردوهم مما عليهم . كما ذكر كاترمير أن
هذه الأديرة عانت كثيراً من المصائب بعد ذلك بزمان يسير ، فقد ألقي البربر
رحالهم في الصحراء وراحوا يترقبون خروج الرهبان من الأديرة
لجلب الماء ، فينقضون عليهم وينهبون ملابسهم وأوانيهم .

٢ — وقد لقيت الأديرة الخراب على أيدي الغزاة الذين كانوا يغيرون على مصر ، وقد جاء في تاريخ الأنبا بطرس البطريك الرابع والثلاثين في أوائل الجيل السابع أن كسرى ملك الفرس حين هجم على الإسكندرية في عهد البطريك أندونيقيوس ، صر في طريقه بيرية شيهات وكانت بها ستمائة دير عاصر بالرهبان فخر بها . وقد ذكر المقرئ المتوفى سنة ١٤٤١ ميلادية أنه لم يبق من هذه الأديرة في زمنه غير سبعة .

الأديرة التي وصلتنا أخبارها :

لم تصل إلينا إلا أخبار قليل من الأديرة التي أنشئت منذ القرن الرابع الميلادي ، واندثر أغلبها أو لم يبق منه إلا أطلال ، وقد وجدنا بيانات عن بعض هذه الأديرة ، منتشرة فيما بقي لنا من كتب التاريخ أو كتب الكنيسة ، ومن هذه الأديرة :

- أ - تسعة عشرة ديراً بيرية شيهات ، لم يبق عامراً منها إلى اليوم سوى أربعة ، وهي دير برموس ودير السريان ودير الأنبا بيشوى ودير أبومقار .
- ب - ثمانية أديرة بالوجه البحرى ، وهي خالية جميعاً اليوم من الرهبان .
- ج - سبعة أديرة بالقاهرة وضواحيها ، وهي خالية جميعاً اليوم من الرهبان .

- د - ثلاثة وثمانون ديراً بالوجه القبلى ، ولم يبق عامراً منها سوى أربعة ، هي دير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا ودير الأنبا صموئيل ودير المحرق .
- أما أديرة الراهبات العامرة حتى اليوم فهي خمسة ، وهي دير مارى جرجس ودير العذراء بحارة زويلة ودير الأمير تادرس بحارة الروم ودير أبى سيفين ودير مارى جرجس بمصر القديمة .

وقد وردت في تاريخ المقریزی أسماء اثنين وثلاثين من الأديرة التي كانت معروفة في عصره ، أى في القرن الخامس عشر .

وقد تناوبت على الأديرة أزمنة عمار وخراب ، فلم يستمر منها عامراً بالرهبان منذ إنشائه حتى اليوم إلا دير السريان الذي أنشئ في القرن الرابع الميلادي ولم يخل من رهبانه إلا فترة وجيزة أثناء غارة البربر في سنة ٨١٧ ميلادية ، ثم عاد رهبانه إليه ولم يغادروه بعد ذلك .

ويمكننا أن نكون فكرة عن الأديرة القبطية ومحتوياتها وطريقة بنائها من تقرير كتبه الجنرال أندريوس أحد قواد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ ، ويصف فيه أديرة وادي النطرون ، وقد جاء به : « أنشئت أديرة الأقباط بوادي النطرون في القرن الرابع الميلادي ، إلا أن الصوامع المعدة لإقامة الرهبان لا بد أن يكون قد تجدد بناؤها مرات كثيرة منذ ذلك العهد ، ويوجد من هذه الأديرة ثلاثة مربعة الشكل يتراوح أكبر أضلاعها بين ٩٨ و ١٤٢ متراً ويتراوح أصغر أضلاعها بين ٥٨ و ٦٨ متراً ، ويبلغ متوسط مساحتها ٧٥٦٠ متراً مربعاً ، ولا يقل ارتفاع جدران الأسوار عن ثلاثة عشر متراً ، ويتراوح سمكها بين مترين ونصف وثلاثة أمتار ، وهي متينة البناء ، وفي أعلاها فتحات صغيرة تستخدم في الدفاع عن الدير من غارات المغيرين . وليس للدير سوى مدخل واحد ضيق لا يزيد عرضه عن الثلاثي متر ولا يزيد ارتفاعه عن متر واحد ، وبابه سميك جداً ، ويقفل من الداخل ويحكم رتاجه بمزلاج في أعلى وبمفتاح من الخشب في الوسط ، وبعارضة تدخل في البناء يميناً ويساراً في أسفل ، وهو مكسو جميعه بمحازم عريضة من الحديد ، ويوضع خارجه حجران ضخمان . ويوجد بداخل كل دير برج مربع الشكل لا يمكن الوصول إليه إلا بمعبر متحرك طوله خمسة أمتار وارتفاعه ستة أمتار ونصف ، فإذا رفع المعبر استحال الوصول إلى

البرج . وبكل دير بئر يبلغ عمقها ثلاثة عشر متراً ، وبستان صغير يزرع فيه قليل من الخضر وبعض الأشجار كالنخل والزيتون . وصوامع الرهبان عبارة عن مخادع لا يدخلها النور إلا من أبوابها ، وبها أثاث بسيط لا يزيد على حصير وطبق للأكل وجرة للماء ... ويقتات الرهبان بالفول والعدس المطبوخ بالزيت ويقضون أوقاتهم في الصلاة وحرق البخور .. في تلك الخلوات المحاطة بالأسوار في قلب الصحراء ، والصليب يعلو قبابها »

وقد حدث أن مر السلطان الناصر ببعض أديرة برية شيهات في أوائل القرن الحادى عشر ، وكان في صحبته ابن فضل الله العمرى صاحب كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ، فقال في وصفها : « إننا مررنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصرية ، وهى فى رمال منقطعة وسباخ مالحة وبارار معطشة وقفار مهلكة ويشرب سكانها من حفارات لهم وهم فى غاية من قشف العيش وشظف القوت » .

الأديرة العامة حتى اليوم :

لم يبق من الأديرة السالفة الذكر إلا ثمانية عامة بالرهبان وخمسة عامة بالراهبات ، وهذا بيان موجز عن كل من هذه الأديرة :

١ - دير برموس :

هذا الدير يسمى دير السيدة العذراء برموس ، أو دير سيدة برموس، أو دير برموس ، وهو أبعد أديرة برية شيهات الأربعة إلى الشمال الغربى ، ويقع غربى الملاحات التى فى وادى النطرون ، ويقع إلى الشمال الشرقى منه دير أنبا موسى الأسود ، وهو دير برموس الأصيل ، وقد أصبح اليوم خراباً .

ويظهر أن كلمة برموس مأخوذة عن الكلمة القبطية « بى روماووس »

ومعناها « الرومي » ، لأن دير برموس قد سمي باسم القديسين الروميين مكسيموس ودوماديوس اللذين عاشا هناك في أواسط الجيل الرابع على عهد القديس مكاريوس ، وبني دير برموس في الموضع الذي دفنا فيه ، وقد أطلق عليه الأنبا مكاريوس إسمهما .

وتبلغ مساحة هذا الدير أربعة أفدنة وأربعة قراريط ، وبه قلالي كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم ذو ثلاثة أدوار ، وقصر جديد للضيوف بني في سنة ١٩٢٧ ، وبه خمس كنائس وبضعة حدائق صغيرة أقدمها الحديقة البحرية والحديقة القبلية ، وبه ساقية قديمة عميقة يستقي الرهبان منها . وقد ذكر المقرئى هذا الدير سنة ١٨٥٤ ، ويقال أن أنبا موسى كان يسكنه ودفن فيه ، حتى إذا تخرب نقلوا جسده إلى دير السيدة العاصر الآن .

وفي أواخر القرن الثامن عشر أجرى المعلم إبراهيم الجوهري عمارة على نفقته في دير السيدة برموس سنة ١٨٧٣ ، فبني به قصراً وبني كنيسة صغيرة ، كما أنه أضاف إليه مساحة كبيرة بني حولها سوراً جديداً .

٢ - دير السريان :

هذا الدير على اسم العذراء . وقد دعى دير السريان لأنه كان من قبل يحتوى على جملة من الرهبان السريان والرهبان الأقباط معاً ، ولكن ليس به الآن إلا أقباط ، وهو واقع إلى الجنوب الشرقى من دير السيدة برموس بمسافة ساعتين . وقد ذكره المقرئى .

ومساحة الدير فدان وثلاثة عشر قيراطاً ، وبه قلالي كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم وقصر حديث للضيوف ، وبه أربع كنائس وحديتان صغيرتان .

٣ - دير الأنبا بيشوى :

يقع هذا الدير بالقرب من دير العذراء بالسريان ، وقد ذكره المقرئى .
ومساحة هذا الدير الآن فدانان وستة عشر قيراطاً ، وفيه قلالى للرهبان ،
وقصر كبير قديم وقصر حديث للضيوف وأربع كنائس وحديقة واسعة ،
وبه ساقية مياهها عذبة .

والقديس الأنبا بيشوى كان من بلدة تسمى شنشا من أعمال مصر ،
وقد جاء إلى جبل شيهات وترهب عند القديس الأنبا بموى تلميذ الأنبا
مكارىوس ، ولما أتى البربر إلى برية شيهات مضى وسكن فى جبل أنصنا
ومات هناك . ولما انقضى زمن الإضطهاد أحضروا جسده مع جسد الأنبا
بولا إلى دير القديس الأنبا بيشوى .

٤ - دير أبو مقار :

يقع دير أبو مقار ، أو الأنبا مكارىوس ، إلى الجنوب الشرقى من ديرى
السريان وأنبا بيشوى ، بالقرب من دير برموس .

ومساحة الدير اليوم فدان وإثنان وعشرون قيراطاً ، وكان فيما مضى
أربعة أفدنة وثلاثة قراريط ، وبه قلالى كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم
أثرى هو أوسع وأجمل قصور الأديرة الغربية ، وقصر حديث للضيوف ،
وبه سبع كنائس ، وبه أجساد ستة عشر من الآباء البطارقة محنطة ومحفوظة
فى تابوت .

وفى الدير حديقة وجرس عظيم . وقد ذكر المقرئى هذا الدير .
وتوجد الآن بقايا عدة أديرة خربة حول دير أبى مقار .

٥ - دير الانبيا صموئيل :

يقع هذا الدير في الجبل الغربى بالقرب من مغاغة بمديرية المنيا . ويبعد عن البحر الیوسفى نحو سبع ساعات . ويسمونه أحياناً دير القامون ، لأنه يقع في جبل القامون . وقد كانت خراباً متروكاً حتى سنة ١٨٩٨ ، حين ذهب إليه بعض رهبان من دير سيدة برموس وشرعوا في تعميره وبناء خرائبه وسكنوا فيه ، وانضم إليهم غيرهم ، وظل عامراً حتى اليوم . وقد ذكر المقرئى هذا الدير .

٦ - دير الانبيا أنطونيوس :

يقع هذا الدير في الجبل الشرقى مقابل مديرية بنى سويف . وقد شيد في الجبل الرابع في أسفل جبل عال يطل على البحر الأحمر ، وعلى جبال سینا ، بالقرب من العين التى كان يستقى منها القديس أنطونيوس ، وعلى مقربة من المغارة التى كان يعيش فيها .

وللدير باب من الخشب المصفح بالحديد . وارتفاع سورہ عشرة أمتار وسمكه نحو مترين . ومساحته الآن ثمانية عشر فداناً ، وبه ساقية يستعملها الرهبان لرفع الأشخاص والأشياء بدل فتح باب الدير ، تتركب من أسطوانة خشبية تدور حول محور لها ، وقد ثبتت فيها أربعة أذرع أفقية وربط فيها حبل ضخمة من أحد طرفيه ويمر طرفه الآخر على بكرة حديدية معلقة في السقف من خارج السور قبالة الأسطوانة ، ثم يتدلى بعد ذلك على الأرض وقد تفرع في نهايته إلى فرعين ، في نهاية كل فرع منهما خطاف حديدى . حتى إذا أراد الرهبان رفع شخص دلوا الحبل حتى يصل إلى أسفل السور

ثم يقف الشخص ويعقد الجبل حوله ثم يمسكه بيديه ، ثم تدار الأسطوانة فيرتفع الشخص إلى أعلى البناء . وعند حضور حطب الوقود كان الرهبان يهدمون سد الباب ويدخلونه ثم يبنون السد ثانياً . إلا أن الرهبان اليوم وقد استتب الأمن يدخلون من باب غير مسدود ولا يستعملون الساقية إلا في رفع الغلال .

وفي هذا الدير قصر كبير قديم وقلاليات للرهبان بعضها قديم وبعضها حديث . وبه ست كنائس وحديقة متسعة مساحتها أحد عشر فداناً بها فواكه متنوعة . وإلى الجنوب من الدير توجد عين ماء تنبع من قلب الصخر ، ولها حوض عظيم الإتساع يملأونه منها ويروون به الحديقة . وقد ذكر المقرئى هذا الدير باسم دير العزبة .

وتوجد بالقرب من الدير المغارة التي كان يسكنها القديس أنطونيوس ، وهي عبارة عن تجويف في قلب الجبل كونه الطبيعة ويبلغ ارتفاعه نحو متر ونصف وعرضه لا يزيد عن ثلاثة أرباع المتر ويبلغ طوله نحو عشرة أمتار ، وينتهى بحفرة كروية الشكل تقريباً تبلغ عشرين متراً مكعباً وهي التي كانت مأوى ذلك القديس العظيم ، وبها الآن مذبح خشبي لإقامة الشعائر الدينية في اليوم الثاني والعشرين من شهر طوبة من كل عام ، حيث يحضر الرهبان لإحياء ذكرى القديس العظيم .

٧ - دير الأنبا بولس :

يقع هذا الدير في الجبل الشرقي بالقرب من دير الأنبا أنطونيوس بمديرية بنى سويف ، وبينه وبين البحر الأحمر ثلاث ساعات . وتحيط به الجبال والهضاب المرتفعة .

ومساحة هذا الدير الآن نحو خمسة أفدنة ، ولبابه ساقية يدخلون ويخرجون بواسطتها كما في دير أنطونيوس ، وبه قلايات كثيرة للرهبان ، وقصر كبير قديم وأربع كنائس ، وحديقة مساحتها نحو فدان ، وعينان للماء داخل السور الجديد .

٨ — دير المحرق :

يقع هذا الدير — وهو على اسم السيدة العذراء — بجبل قسقام في مديرية أسيوط ، وقيل أنه من أديرة أنبا باخوميوس ، كما قيل أن السيدة العذراء حين هربت بابنها إلى مصر هي ويوسف النجار أقاموا في مكان هذا الدير . وقد ذكره المقرئى . وبه الآن ما يقرب من مائة راهب .

ومساحة هذا الدير نحو تسعة أفدنة ، وبه قلايات كثيرة للرهبان ، وقصر كبير قديم وأربع كنائس ، وقصر جديد نخم ، وبه ما كينة للماء والكهرباء . وقد وقفت عليه أملاك كثير .

أديرة الراهبات :

ليس ثمة من أديرة الراهبات العاصرة اليوم سوى خمسة أديرة ، وكلها بالقاهرة وهي :

١ — دير مارى جرجس بحارة زويلة .

٢ — دير السيدة العذراء بحارة زويلة .

٣ — دير الأمير تادرس بحارة الروم .

٤ — دير الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة .

هـ — دير الشهيد مارى جرجس بمصر القديمة .

و نظراً لضعف النساء لم يرتب الأنبا أنطونيوس أو الأنبا مكاريوس سكنى
الراهبات فى البرية ، بل جعلت لهن أديرة خاصة بهن فى داخل المدن أو قريباً
منها .

البحث السابع

خلاصة العقيدة القبطية

رأينا مما سلف كيف دخلت المسيحية في مصر وكيف تقبلها المصريون وأقبلوا على اعتناقها ، وكيف تلقوا مبادئها وفهموا تعاليمها ، ثم كيف تصدوا بعد ذلك للصراع الذي نجم عما ظهر من بدع وهرطقات تخالف جوهر هذه المبادئ. والتعاليم ، فلم يهدأ لهم بال حتى اطمأنوا إلى أن إيمانهم القويم قد أصبح في مأمن من الضلالات والأباطيل ، ومن ثم حافظوا عليه وراحوا يتوارثونه جيلا بعد جيل .

ويجدر بنا أن نختم هذا البحث بنبذة تتضمن خلاصة العقيدة القبطية ، كما تلقاها الأقباط عن آبائهم الأوائل ، حتى نستكمل بذلك معالم التعريف بالأقباط .
ونتناول في هذا الفصل الكلام عن عقيدة الأقباط في الله ، وفي الإنسان ، وفي العلاقة بين الله والإنسان .

« أ » الله

١ - وجود الله :

يؤمن الأقباط بوجود الله الأوحد الذي لا شريك له ، والذي خلق العالم بقدرته ، ويدبره حسب مشيئته .

٢ — صفات الله :

ويؤمن الأقباط بأن الله روح بسيط ، أزلي ، أبدي ، قادر على كل شيء ، عديم التغير والتحول ، غير محصور في مكان ، مدبر كل شيء ، عليم حكيم ، قدوس ، كامل جواد ، غير مستند إلى أحد أو متعلق بأحد ، وكل المبروءات متعلقة به .

١ — فالله روح بسيط ، أى أنه غير قابل للتقسيم والتجزئة ، منزّه عن كل اختلاط وتركيب ، خال من كل جسم وصورة ، غير منظور بالأعين أو محسوس بأي حاسة جسدية ، وهو يعلم ذاته وصفاته .

٢ — والله أزلي أبدي ، أى أنه عديم الابتداء والانهاء في وجوده الذي لا يقترن بزمن ، بل يحيط بسر مدبته الأزلية والأبدية ويعلو عليها ، فهو الواجب الوجود لذاته ، المستقل بصفاته ، الذي لا زوال ولا فناء له .

٣ — والله قادر على كل شيء ، أى أن كل شيء ممكن لقدرته ، ولا يوجد شيء غير مستطاع عنده إلا الذي لا يريده ، فقوته لا تقاوم ، وسلطته لا تخضع ، بل يعمل حسب مشيئته ، ومقتضى قصده ، دون احتياج إلى وسائط يستعين بها ، لأن عظمته فائقة ، وقوته غير محدودة .

٤ — والله عديم التغير والتحول ، أى أنه تعالى منزّه عن الأغراض ، وذو كمال غير متناه ، لا يمكن أن يتغير ليكون أكل مما هو ، حيث أنه كامل في جوهره وصفاته ، فلا يزيد ولا ينقص في جودته ورحمته وعدله وقداسته ومعرفته وحكمته وقوته ، ولا يمكن أن يخطئ في أحكامه وتصرفاته ليعود فيصلحها ، لأن حكمته غير محدودة ، وتحيط بسائر الأزمنة والظروف والأحوال ، وبما أنه يعلم منذ الأزل كل ما يحدث في الكون ، فلا حاجة لتغيير رأيه أو تعديل رسومه وأحكامه الإلهية .

٥ — والله غير محصور في مكان ، بل موجود في كل مكان ، أى أنه تعالى حاضر في كل زمان ومكان ، وماليء السموات والأرض منذ الأزل وإلى الأبد ، إلا أنه غير محدود أو محصور في مكان بما ، وهو موجود في كل مكان بقدرته وعنايته وبذاته وجوهه ، في وقت واحد وزمن واحد .

٦ — والله مدبر كل شيء ، فلا يمكن أن يحدث أمر في الكون إلا بأمره وإذنه وعنايته ، لأنه هو الذي يرتب كل الحوادث العالمية بحكمته السامية وقدرته الفائقة . فليس هناك صدفة أو اتفاق أو قدر محتوم أو حظ ، لأن كل ما يجري تحت الشمس غير خارج عن دائرة الترتيب والقصد الإلهي . وهو بحكمته يتسلط على كل أفعال الخليفة وحركات الأحياء والجمادات ويدبرها بكمال تدبيره ، كبيرها وصغيرها على السواء .

٧ — والله عليم حكيم ، لأنه لما كان الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان ، ويملا الأرض والسموات ، وهو كامل وغير متغير ولا محدود في جوهره ، فيستلزم ذلك أنه ذو علم غير محدود ولا متغير أيضاً . وعلم الله غير مكتسب ، وإنما هو ذاتي طبيعي ، فلا يحصل عليه بالبحث والاستقصاء ولا يحصل عليه بالتتابع ، وليس هو معرضاً للزيادة أو النقصان ، لأن كل الأشياء التي حدثت وسوف تحدث موضوعة أمام عينيته منذ الأزل ، كبيرها وصغيرها ، جليلها وحقيقها ، كلياتها وجزئياتها .

٨ — والله قدوس كامل . والقداسة هي استقامة الضمير وكمال ، وهي النقاوة الداخلية البريئة من كل دنس ، والفضيلة التي أخصها المحبة ذات النعمة وذات المجد ، وهي مطابقة الإرادة والعقل مع الشريعة الأزلية الكائنة في ضمير الله . ولما كانت الإرادة الإلهية هي نفس الضمير الإلهي ، ونفس الشريعة الأزلية أيضاً ، كانت الإرادة الإلهية هي نفس القداسة الكاملة ، غير المخلوقة ، وغير المتناهية . ويراد بقداسة الله طهارة سيرته الأدبية والروحية ،

وخلوه التام من النجاسة والإثم ، وانفراده بالصلاح والكمال ، وتنزهه عن الظلم والجور ، في وصاياه وفرائضه وأحكامه .

٩ — والله جواد . وجودة الله تشمل قداسته ومحبته ورحمته وعدله ونعمته وعنايته بسائر مخلوقاته . وقد ظهرت هذه الصفات السامية الكريمة ظهوراً جلياً في خلقته لهذا الكون ومنحه إياه طبيعة قابلة للسعادة والسرور ، وفي عنايته الشاملة بسائر مخلوقاته .

١٠ — والله غير مستند إلى أحد أو متعلق بأحد ، وكل المبروات متعلقة به . أى أن الله سبحانه وتعالى موجود بذاته ، وكل الخليفة أخذت وجودها عنه . فليس الله والطبيعة شيئاً واحداً ، بل أنه جل شأنه مستقل عن العالم استقلالاً تاماً ، وهو الذى أخرجه من العدم إلى الوجود ، لأن المادة ليست أزلية ، بل أبدعت في بداية الزمن . وإذن فكل الكائنات على اختلاف أنواعها متعلقة بالله وحده ، ومعلولة له دون غيره ، وهو الذى يصونها ويدبرها بكمال قدرته وحكمته .

٣ — أقانيم الله :

ولما كان لا يمكن لأحد أن يعرف ما هو الله إلا الله وحده ، فلا يمكن للعقل البشرى أن يصل إلى معرفة كنه الله ، إلا إذا تلقى بذلك إعلاناً من الله ذاته . وقد عرف المسيحيون من تعاليم السيد المسيح أن الله واحد في ثلاثة أقانيم ، هم الآب والابن والروح القدس . وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد بسيط منزّه عن التأليف والتركيب .

وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى ، الذى لا يفهم إلا أن الطبيعة

الواحدة إنما تتضمن أقنوماً واحداً ، أى ذاتاً واحدة ، وأن تعدد الأقانيم أو الذوات ، إنما يستوجب تعدد الطبائع ، بيد أن هذا هو الحال بالنسبة للطبيعة المخلوقة ، فى حين أن الأمر هنا متعلق بالطبيعة الخالقة ، التى لا يسوغ أن نتخذ من الطبيعة المخلوقة مقياساً لها . وقد فهمنا من كلام السيد المسيح - الذى دفعنا بمعجزاته إلى الإيمان بألوهيته - أن الأقانيم الثلاثة الذين فى الله ، وإن اتحدوا جوهرأ وطبيعأ وذاتأ وصاروا واحداً ، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية : فالآب ليس هو الإبن . والروح القدس ليس هو الآب ولا الإبن . غير أن لكل من الآب والإبن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية ، وكل ما ينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد وعظمة واحدة ، وذلك لأن الطبيعة واحدة ، ولأن الأقانيم الثلاثة هم واحد ، دون تعدد أو تركيب أو تأليف ، وإلا كان فى الذات العلية ثلاثة آلهة ، وذلك ما تنكره المسيحية وترفضه وتعتبر أنها تؤمن بالإله الواحد الوحيد ، الفرد السرمدى ، الذى تنطق كل النصوص الإلهية بوحدانيته . غير أن هذه الوحدة ليست نظير الوحدة المادية التى لا يمكن القول عن الواحد منها أنه ثلاثة أو أنه كائن فى ثلاثة ، وإنما هى وحدة إلهية تفوق إدراكنا ولا ينافيها وجود ثلاثة أقانيم فيها ، لان الثلاثة أقانيم ليسوا ثلاثة آلهة . ولكنهم إله واحد .

وقد دعى الأقنوم الأول أبأ أو والدأ . ودعى الأقنوم الثانى إبنأ أو مولودأ ، وليس المقصود بالولادة هنا خروج كائن من كائن ، أو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ، وإنما المقصود بها أن الأقنوم الأول هو بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله . فكان الأقنوم الثانى صورة كاملة للأقنوم الأول ومساوياً فى الطبيعة والجوهر ، ويمثله لا تمثيلاً عرضياً خيالياً ، وإنما تمثيلاً ذاتياً ، حقيقياً ، وتاماً ، إذ

قال يسوع عن نفسه : « من رآنى فقد رأى الآب » .

وقد دعى الأقنوم الثالث الروح القدس ، ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تمييزاً فى روحانية الجوهر ، لأنهم متساوون فى ذلك ، ولأن كلا من الأقنومين الآخرين يسمى روحاً كذلك ، وإنما لأعماله الخاصة به . والروح القدس وإن كانت له طبيعة الآب وجوهره كالابن ، إلا أنه لم يدع ابناً أو مولوداً ، بل يقال له « روح منبثق » أى صادر عن الآب . وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التى لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشرى ، وإنما ينبغى أن تؤمن بها كما وردت على لسان السيد المسيح إذ قال « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » .

وبما أن للأقنوم الإلهية طبيعة واحدة وجوهرأ واحداً بدرجة متساوية ، فلا امتياز لأحدهم على الآخر ، كلاً أو نقصاً .

ألوهة السبر المسيح :

والسيد المسيح هو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس ، وهو مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية . ومن أدلة ذلك :

١ — قول السيد المسيح : « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء » (يو ٥ : ٢٠) .

٢ — وقوله : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ومات فسيحيا » (يو ١١ : ٢٥) .

٣ — وقوله : « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (يو ٨ : ٥٦) .

٤ — وقوله : « والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم » (يو ١٧ : ٥) .

٥ — وقوله : « وما أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) .

٦ — وقوله : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » .

٧ — وقوله للميت : « أيها الشاب لك أقول قم » ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم (لو ٧ : ١٤) .

٨ — وقوله للعاذر الذي كان قد مات ودفن منذ أربعة أيام « لعاذر هلم خارجاً » فعاد إلى الحياة وخرج من القبر (يو ١١ : ٤٣) .

٩ — وقول بطرس ليسوع : « أنت هو المسيح ابن الله الحي » (مت ١٦ : ١٦) .

١٠ — وقول الروح النجس الذي كان في أحد اليهود حين رأى يسوع : « آه مالنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا ، أنا أعرفك من أنت قدوس الله » فانتهره يسوع قائلاً : « إخرس واخرج منه » فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه (مر ١ : ٢٤) .

١١ — وقول اللص على الصليب : « أذكرني يارب متى جئت في ملكوتك » (لو ٢٣ : ٤٢) .

١٢ — وقول بولس في رسالته إلى تيموثاوس : « الله ظهر في الجسد » (١ تي ٣ : ١٦) .

١٣ — وقوله في رسالته إلى أهل كوثورس : « ورب واحد يسوع

المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » . (١ كو ٨ : ٦) .

تجسر السبر المسيح :

حين خالف آدم وصية الله جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته ، وطرده هو وذريته من الفردوس ، ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا أولاً إلا بعد الحصول على مغفرة خطاياهم . ولم يكن ممكناً للإنسان أن يقدم كفارة عن خطايه لعجزه وتسلب هذه الخطايا على طبعه . وقد كان الله قادراً على أن يجرى على آدم أحد أمرين : فأما أن يهلكه عقاباً له على جريمته ، أو يسامحه تعظفاً على ضعف طبيعته . إلا أن عقابه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة . كما أن تبريره بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل . فى حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين ، لأن فى ذلك نقصاً وإخفاق منزه عن النقص . لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبه بها يخلص الإنسان ، ويستوفى العدل الإلهي حقه فى ذات الوقت : وتلك هى ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة إلهية ، باشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها وتفى ما عليها تجاه العدل الإلهي . ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية ، حتى يمكن أن تتم المصالحة بين الله والناس ، لأن العدل الإلهي يقضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت ، ومن ثم فقد أخذ الله طبيعة الإنسان لكي يتحمل فيها القصاص الواجب ، واتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً ، حصل به الجسد على كمال غير متناه ، يتيسر له بواسطته أن يقدم الكفارة عن خطيئته غير المتناهية . وبذلك فقد كانت هذه الوسيلة هى أسمى الوسائل وأحكمها ، لأنها استوفت العدل والرحمة معاً ، ووفقت بينهما ، إذ أعطت كلا منهما حقه : فالعدل لم يزل عدلاً عندما ظهرت الرحمة . والرحمة لم تزل رحمة عندما تم العدل .

طبيعة السيد المسيح :

ونرى مما سلف أن للسيد المسيح طبيعتان إلهية وإنسانية ، بيد أنهما بالاتحاد الذاتى الطبيعى صارتا طبيعة واحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ، لأن اللاهوت غير الناسوت ، والكائن بذاته غير الكائن بغيره ، وصورة الله غير صورة الإنسان ، وقد اتحد الأقنومان فصارا أقنوماً واحداً متحداً هو أقنوم الإله المتأنس بالكمال . واتحاد الأقنوم الإلهى بالأقنوم البشرى إتحاداً جوهرياً حصلت الطبيعة الناسوتية على ما لم تكن حاصلة عليه من قبل ، وأصبحت أفعالها أفعالاً إلهية غير متناهية ودعيت بحصر اللفظ أفعال ابن الله نفسه . وقد اقتبل السيد المسيح الآلام بناسوته وليس بلاهوته . واكتننا لا نقول أن الناسوت هو الذى تألم ومات ، وإنما نقول إن ابن الله الأزلى نفسه هو الذى تألم ومات ، لأنه اتحد بالجسد ذى النفس الناطقة ، التى يجوز عليها الألم والموت . وليس معنى هذا أننا نقول أن الله تألم ومات لأنه لا يجوز عليه الألم والموت ، وإنما نقول إنه كان عالماً بما يحدث للجسد ، وكان يعتبر آلام الجسد آلامه ، ويعتبر موته موتاً له .

ولئن كان اتحاد كلمة الله بطبيعة الإنسان يفوق كل ما يتصوره الفكر البشرى من ضروب الاتحاد المعلومة ، ولا يمكن أن يحيط بكنهه إلا الله وحده ، إلا أننا لتقريب ذلك إلى الفهم يمكننا أن نمثله باتحاد النفس العاقلة مع الجسد فى الشخص الإنسانى : فكما أن الإنسان مركب من طبيعتين مختلفتين ، هما طبيعة النفس البسيطة الروحانية ، وطبيعة الجسد الكثيف المحسوس ، اللذين باتحادهما معاً بغير اختلاط ولا امتزاج صارا ذاتاً واحدة وطبيعة واحدة وشخصاً واحداً وإنساناً واحداً . هكذا السيد المسيح له المجد وإن يكن مركباً من طبيعتين مختلفتين وهما الطبيعة الإلهية الكاملة ،

والطبيعة الإنسانية الكاملة ، إلا أنه بهذا الاتحاد الإلهي الحقيقي الذاتى الطبيعى صار واحداً وحدة حقيقية بغير اختلاط ولا امتزاج . وكما أن عدم اختلاط وامتزاج طبيعتى النفس اللطيفة والجسد الكثيف لا يوجب اعتبار الشخص الإنسانى جوهرين وطبيعتين . . هكذا اختلاف الجوهر الإلهى وطبيعته عن الجوهر الناسوتى وطبيعته لا يوجب اعتبار المسيح له المجد جوهرين وطبيعتين منقسمتين بأى وجه من الوجوه ، بل أن الذى ولد من الله أزلياً ومن الإنسان زمناً هو نفسه ابن الله وابن الإنسان .

ألوهية الروح القدس :

الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس ، وهو مساو للآب والابن فى الذات والجوهر والطبع وكل فضل اللاهوت ، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام والقوة ، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والابن .

ومن الأدلة على ألوهية الروح القدس :

١ — جاء فى سفر الأعمال أن بطرس الرسول قال لحنايا : « يا حنايا لماذا ملا الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس . أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (أ ع ٥ : ٣) .

٢ — وقال السيد المسيح : « وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليكث معكم إلى الأبد روح الحق القدس الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أتم فتعرفونه لأنه مكث معكم ويكون فيكم » . (يو ١٤ : ١٦) .

٣ — وقال كذلك : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم

الآب والإبن والروح القدس . (مت ٢٨ : ١٩) .

٤ - وقال كذلك : « الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر ،
والتجديف التي يجدفونها ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة
إلى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية » .

٥ - وقال بولس الرسول : « فأعلنه الله لنا بروحه ، لأن الروح بفحص
كل شيء حتى أعمال الله » (١ كو ٢ : ١٠) :

٦ - وقال يوحنا الرسول : « فأن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة :
الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يوه ٥ : ٧) .

إنبثاق الروح القدس من الآب :

تؤمن الكنيسة القبطية بأن الروح القدس ينبثق من الآب وحده .
وقد ورد في قانون الإيمان : « نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من
الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له » .

وقال القديس باسيليوس الكبير : « كما أن الروح القدس ليس له الولادة
بحالة ما ، هكذا الإبن ليس له الإنبثاق . وكما أن الإبن ليس هو من الروح
القدس ، هكذا الروح القدس ليس من الإبن . وكما أن الإبن مولود من
الآب وحده ، هكذا الروح القدس ينبثق من الآب وحده » .

٤ - قضاء الله وعنايته :

« ١ » - قضاء الله :

كل الحوادث الكونية ناشئة عن قضاء الله الواحد ، الأزلي الأبدي ، غير
المحدود ، القادر الحكيم ، القدوس العادل ، الرحيم ، الذي يختار لإتمام
مقاصده أفضل الوسائط وأقدسها :

١ - فهو واحد لأنه لا يحدث في ملكه ما لا يشاء ، وفي مشيئته ما لا يكون ، ولأنه ليس له شريك أو مشير .

٢ - وهو أزلى أبدي غير محدود ، لأنه عديم التغير في مقاصده ، ثابت في أحكامه لإحاطته بسائر الظروف والأحوال الزمانية والمكانية في وقت واحد ، منذ بداية الزمن حتى نهايته .

٣ - وهو قادر وحكيم ، لأنه يسوس مخلوقاته بقوة ثابتة مطلقة لانصدم بناموس ولا يحول دون تنفيذها قانون ، وهو ليس مقيداً بشيء في سائر تصرفاته وأعماله وأحكامه .

٤ - وهو قدوس وعادل ، لأنه صالح يكره الشر ولا يقضى به جبراً على أحد ثم يعاقبه عليه .

٥ - وهو رحيم ، لأنه مع انعكاف عبده على الخطأ ، لا ينفك عن البذل والعطاء والصفح والغفران .

وقضاء الله نافذ لا محالة ، إلا أن الكائنات غير العاقلة تخضع له خضوعاً إضطرارياً وفق نواميس ثابتة قررها لها منذ تكوينها . أما الكائنات العاقلة فتخضع له بمقتضى العقل ووفق الإرادة الذاتية .

وقضاء الله يشمل سائر أعماله ، ويشمل سائر مخلوقاته ، وقضاؤه يجرى لغاية نهائية هدفها المجد لذاته والخير لمخلوقاته . وهو بحكمته تعالى متسلط على كل أفعال الخليقة ، كبيرها وصغيرها ، ولكل شيء عنده سبب صحيح ، فلا شيء مطلقاً يقع صدفة أو اتفاقاً دون مشيئة منه في وقوعه ، وغاية حكيمة يقصد إليها من ورائه . وبأذنه تجري أحوال الدول والأفراد ، ويصدر من الناس الخير والشر : فالخير يقع بقضاء منه ، والشر كذلك يقع بقضاء منه . وهو حين يسمح بوقوع الشر إنما يقصد من ورائه خيراً في النهاية ، وإن

خفيت علينا في أول الأمر حكمته . وليس الله بذلك قاضياً بالخير عن جبر مطلق ، ولا خالقاً للشر الذي هو ضده ، وإنما ترك للنفس العاقلة حرية الاختيار بين الخير الذي يحبه ، وبين الشر الذي يتميز الخير به ، والذي لا نعلم لما إذا يسمح بوقوعه ، ولكننا نؤمن بأن من وراء ذلك حكمة له وخير يهدف أخيراً إليه .

وقضاء الله ثابت لا يتغير ، لأن كمال حكمته وعلمه وقدرته ينفي حاجته إلى تغيير قضاؤه ، لأنه حكيم لا يخطئ . فيضطر إلى تصحيح خطئه ، عالم بالنهاية منذ البداية ، فلا يستجد عليه ما يدفعه إلى تغيير حكمه ، قادر على كل شيء ، فلا يعسر عليه أن يستمر في إتمام مقاصده .

والقضاء السابق لا يمنع الإنسان من العمل ، لأنه ليس إلا بالعمل ينال الإنسان ما قضى له به . فالقضاء هنا غاية ، والعمل هو الوسيلة إلى هذه الغاية . فإذا فرضنا ترك الوسيلة وجب أيضاً أن نفرض بطلان الغاية لارتباط كل منهما بالآخر .

أما سبق علم الله ، فليس سبباً سابقاً لكون شيء مما هو كائن ، لأن العلم شيء والإرادة شيء آخر : فالإرادة تقضى بالحوادث ، وأما العلم فيرى هذه الحوادث محققة الوقوع . والله قد يريد في وقت ثم لا يريد في وقت آخر ، ولكنه عالم دائماً وفي كل وقت .

ولا يمكن أن تنسب إلى الله المسؤولية عن وقوع الشر ، لأن الشر موجود لحكمة لا نعلمها . ولكن الله ترك الخيار للإنسان في أن يفعل الخير أو الشر . فالإنسان هو المسئول عن أفعاله التي أتاها بكامل حريته وإرادته . وقضاء الله السابق ، ومسئولية الإنسان عن أفعاله ، لا يتعارضان ، لأنه وإن كان الله قد قضى منذ الأزل بأن إنساناً ما سيرتكب شراً ، إلا أن

هذا الإنسان كان في إمكانه ألا يرتكب الشر ومع ذلك ارتكبه ، لأن قضاء الله لم يسلب إرادته ، ولم يجبره على إتيان أمر لا يريد . ولو رفع قضاء الله وعلمه السابق المسؤولية عن فاعل الشر وامتنع عن عقابه ، لوجب أن يمتنع كذلك عن إثابة فاعل الخير ، وهذا مناف لكمال عدله ، الذي يستوجب عقاب المسيء وإثابة المحسن .

أما الجبر المطلق الذي لا اختيار فيه للإنسان فليس من شأن الخالق جل شأنه وإنما من شأن المخلوق الذي يجبر غيره إجباراً يكون به ظالماً له متعدياً عليه ، والله تعالى عادل لا يظلم أحداً ، ولا يتعدى على أحد .

وحرية الاختيار التي يتمتع بها الإنسان أمر ثابت تجمع عليه كل الشرائع والقوانين السماوية والأرضية ، بل تدل عليه الطبائع والنوازع النفسية في الإنسان ذاته . ولما كان الشر لا يفرض نفسه على الإنسان فرضاً ، لأنه قادر على أن يقاومه ويقهره ، فهو إذن كامل في اختياره أو رفضه ، وهو من ثم مسئول عن أفعاله ، ومستحق لما يناله عنها من عقاب أو ثواب .

ومجمل القول أن قضاء الله حق . وهو يشمل كل الكائنات . ولكنه بالنسبة للإنسان لا ينافي حرية واختياره لأفعاله ، سواء كانت خيراً أو شراً . وإنما يتصرف الله مع الإنسان بكيفية يحول بها كل أعماله إلى وسائط لإتمام مقاصده الإلهية ، على مقتضى حكمته السامية التي يقصر العقل البشري عن إدراكها .

ب — عناية الله :

وعناية الله تشمل الكليات والجزئيات معاً . وسياسته في تدبير الكون عامة حكيمة مقدسة فعالة : عامة لأنها تشمل كل المخلوقات وأعمالهم . وحكيمة لأنها تناسب كل الطبائع الحية وغير الحية . ومقدسة لأنها ذات مقاصد صالحة

مفيدة . وفعالة لأنه لا يمكن مقاومتها حيث تجرى على كيفية يحول بها كل أعمال مخلوقاته إلى إتمام مقاصده في الوقت المعين دون معارضة لحريتهم وخواص طبيعتهم .

إلا أن الله لا يعتنى دائماً بجميع الأشياء مباشرة ، بل في كثير منها عن طريق واسطة من العلل الثانوية ، لالتقص في قوته السامية ، بل لفيض صلاحه ومحبه للبشر .

أما وجود الشر والضرر ، فلا ينفي وجود العناية الإلهية ، لأنه وإن كان يضر من ناحية ، فإنه ينفع من ناحية أخرى .

كما أن البلايا والتجارب لا تتعارض مع العناية الإلهية ، لأن الغرض منها تهذيب الصالح وعقاب الشرير ، وذلك من مستلزمات الحياة ، ومن موجبات العناية الإلهية .

كما أن عدم المساواة ضروري لقيام نظام الكون فقد وضع الله كل شيء في منزلة خاصة لأداء وظيفة خاصة ، ولا يستقيم نظام الكون إلا بذلك ، فهو الدليل على عناية الله .

كما أن وجود الخطيئة ليس دليلاً على انتفاء العناية الإلهية ، لأن الله لم يكن العلة المباشرة للخطيئة ، ولأن الخطيئة ليست سوى النتيجة الطبيعية للحرية التي منحها الله للكائنات العاقلة . وقد سمح الله بوجود الخطيئة في العالم لغاية تتضمنها حكمته ، وليس في مقدور العقل البشري إدراكها . إلا أن العناية الإلهية لا تسوق الإنسان إلى الخطيئة ولا تحرضه على ارتكابها ، بل هو يرتكبها بمحض إرادته وكامل حريته . والله لا يشاء أن يهلك أحد البتة ، ولا يمنع نعمته عن يطلبها ، ولا يسوق أحداً إلى الخطيئة قسراً ، بل يعد الوسائط اللازمة لخلاص الجميع .

وأخيراً فإن موت الإنسان في سن مبكرة لا يعتبر دليلاً على انتفاء عناية الله لأن الله حدد عمراً متساوياً لجميع الناس : فمن سلم من الأحداث عاش حتى نهاية العمر المحدد له، ومن تعرض للأحداث مات قبل ذلك . والله يتولى الإنسان بعنايته ، ولكن هذا لا يحمل الإنسان على الإهمال في حفظ حياته، فإذا فعل كان مقصراً ومسئولاً .

ولعل أعظم برهان على عناية الله ورحمته ، هو الكفارة التي قدمها إبنه الوحيد للعدل والشرعية ، باحتماله عن البشرية جمعاء ، القصاص الذي استحقته عن خطاياها ، فكان ذلك أكبر دليل على محبة الله ونعمته ورحمته ببني البشر .

« ب » الملائكة

١ — وجود الملائكة :

الملائكة هم مخلوقات روحية عاقلة متوسطة بين الله والإنسان . وهم مخلوقون منه تعالى منذ ابتداء العالم ، متصفون بالنعمة والفضل والإرادة والعواطف وسائر المواهب اللازمة لهم ليثبتوا في محبة خالقهم ويصلوا إلى السعادة الأبدية القائمة بالنظر إلى وجهه تعالى .

والملائكة أرواح ، أي جواهر روحية غير هيولية . وهم ليسوا معرضين للزيادة أو النقصان كاللبن ، لأنهم لا ينسلون ولا يموتون ، فهم خالدون .

٢ — وظائف الملائكة :

وظائف الملائكة هي السجود لله والعبادة لجلاله الأقدس ، وحراسة المؤمنين ، وخدمة القديسين ، والصلاة على المتضيقين ، وحمل أرواح المتوفين ، ومحاربة الشياطين ، وغير ذلك من الواجبات التي وضعها الله على عانقهم .

٣ — الملائكة الأبرار ، والملائكة الأشرار :

والملائكة نوعان : ملائكة أبرار ، أو مختارون أو مقدسون ، وهم الذين



« الملاك ميخائيل »

نبوا في النعمة . وملائكة أشرار ، وهم الشياطين أو الأبالسة ، وهم طغمة من

الملائكة فعلوا ما استوجب غضب الله عليهم فسقطوا ، وقد طرحهم الله في جهنم ، وسوف يكون عذابهم في يوم الدينونة أشد ، حيث يكون للبشر غير التائبين والملائكة الساقطين قصاص متشابه ومكان مشترك .

قال بولس الرسول : « إلبسوا سلاح الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس ، فأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناس الشر الروحية في السموات » .

« ج » الإنسان

١ — الروح والجسد :

يتكون الإنسان من روح وجسد . قال السيد المسيح : لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرُونَ أن يقتلوها » (مت ١٠ : ٢٨) وقال أيضاً : « أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف » (مت ٢٦ : ٤١) وقال وهو على الصليب : « يا ابتاه بين يديك أستودع روحي » (لو ٢٣ : ٤٦) . وقال بولس الرسول : « وإنما اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد » (غل ٥ : ١٦) . وقال صاحب سفر الجامعة : « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها » (جا ١٢ : ٧) .

٢ — فناء الروح :

وروح الإنسان خالدة ، إذ لا سبيل إلى فنائها من جهة طبيعتها ولا من جهة خالقها ، لأنها خلقت غير قابلة للفساد من جهة ، ولأن فناءها يخالف لحكمة الله

وعِدالته من جهة أخرى - وقد قال السيد المسيح : « وأما من جهة قيامة الأموات أما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات بل إله أحياء » - وقال صاحب سفر الجامعة : « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاه » (جا ١٢ : ٧) .

٣ - قيامة الأجساد :

تقوم الأجساد في يوم القيامة ليحاسب الإنسان على أعماله أثناء حياته في الدنيا . وعقيدة قيامة الأجساد من أخص العقائد المسيحية لأنها إذا انتفت ينتفى معها الخلاص بالمسيح أيضاً :

١ - فقد قال السيد المسيح : « لا تعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » . (يو ٥ : ٢٨) .
٢ - وقال أيضاً : متى جاء ابن الإنسان في مجده فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » . (مت ٢٥ : ٢٤) .

٣ - وقال بولس الرسول : « فأن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . . وإن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فأننا أشقى جميع الناس » (١ كو ١٥ : ١٣ - ١٥) .

٤ - وقال بولس كذلك : « هوذا سر أقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » .

٦ - وجاء في قانون الإيمان : « ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى » .
وتكون القيامة بقيام ذلك الجسد الذى سقط بالموت نفسه ، ويكون الرجوع إلى الحياة برجوع ذلك المائت عينه . ولكن الأجساد تموت وتدفن فى الأرض وهى فاسدة ثم تقوم بغير فساد ولا فناء ، وقد سلمت من كل ما أصابها أثناء الحياة ، لأن الله يتم فى القيامة نقص طبيعتنا وفسادها . وقد قال بولس الرسول : « هكذا قيامة الأموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسداً روحياً » (١ كو ١٥ : ٤٢) .

٤ - الدينونة :

إن الدينونة حادثة حقيقية معينة تحدث فى يوم مجهول لدى الجميع قد رسمه الله منذ الأزل وحدده ليقضى فيه منتقماً من الأشرار الظالمين ومنتصراً للأبرار المظلومين .

أما الديان فهو يسوع المسيح الذى قال : « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان » (يو ٥ : ٢٧) - وقال أيضاً : « كما أسمع أدين ودينونتى عادلة » (يو ٥ : ٣٠) - وقال أيضاً : « إن الآب لا يدين أحداً وإن سلطان الحكم ينسب للابن فقط » .

والذين يقومون فى يوم الدينونة هم كل أفراد الجنس البشرى بلا استثناء . وقد قال السيد المسيح : « فأنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨) وقال أيضاً :

« ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات . . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط إذهبوا عني يا فاعلى الإثم » . (مت ٧ : ٢١ ولو ١٣ : ٢٥) .

٥ — الحياة الأبديّة والعذاب الأبديّ :

يكون جزاء الأبرار فى يوم الدينونة هو الحياة الأبدية وجزاء الأشرار هو العذاب الأبدى ، إذ قال السيد المسيح : « فيمضى هؤلاء - أى الأشرار - إلى عذاب أبديّ ، والأبرار الى حياة أبدية » . (مت ٢٥ : ١٦) .

والحياة الأبدية والعذاب الأبدى حالتان أولاهما فى أقرب القرب إلى الله ، والثانية فى أبعد البعد عنه . والأولى ثواب البر والثانية عقاب الخطيئة .

ونعيم الأبرار هو اتصاّهم بالله ورؤيتهم جلاله ، وتلك هى سعادة الإنسان النهائية التى إليها تتجه كل أشواق قلبه . ومن هذه المشاهدة الإلهية والمحبة المتسببة عنها يتولد فى قلبه سلام وسكون وسرور وتهلل لا يدركه أو يفهمه إلا أولئك الذين عرفوه بالتجربة . ومن خصائص نعيم الأبرار الذى يحظون به فى الحياة الأبدية أنه ثابت غير متناه ، فهو لا يفنى ولا يزول ، وهو يفوق كل إدراك البشر فى سعادته وتبرّؤه من كل ما ينغص الحياة . إلا أن الجميع لا يكونون فى درجة واحدة من السعادة بل فى درجات متفاوتة حسب الفضل والاستحقاق . وقد قال السيد المسيح : « إن المنازل فى بيت أبى كثيرة » . (يو ١٤ : ٢) .

وأما جحيم الأشرار فهو نار جهنم الحقيقية المستعرة على الدوام ، إذ قال السيد المسيح : « إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية » (مت ٢٥ : ٤١) . ولكن طبيعة نار جهنم تختلف عن طبيعة نارنا العنصرية في كونها ليست مفتقرة إلى مادة تغذيها ، ولذلك قيل عنها أنها نار روحية لأنها لا تفتقر لقيامها إلى مادة ، بل أنها تحرق الأتفس والأجسام المعذبة بها دون أن تبيدها أو تفتنيها ، كما أنها تشتعل ولا تنطفئ ، وهي تعذب كل واحد من الخطاة حسب خطيئته وبمقدارها .

٦ - الأرواح قبل القيامة :

إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها ، بل تأخذ عربوناً فقط من السعادة إذا كانت صالحة ، أو من التعاسة إذا كانت طالحة ، حتى يجيء يوم القيامة فتلبس الأرواح أجسادها التي تنال معها ما تستحقه من ثواب كامل أو عقاب كامل ، لأن عدالة الله لا ترضى أن تسعد النفس أو تشقى قبل أن تتحد بجسدها الذي كان شريكاً لها في الطيب والخبيث من أعمالها .

فالأرواح الصالحة التي انفصلت بالموت لا تتمتع مباشرة بملكوت السموات ، بل تنعم في مكان خاص عينه الله للمتوفين من الأتقياء قبل قيامة الأجساد للدينونة . وكذلك الأرواح الشريرة لا تطرح مباشرة في الجحيم الأبدى ، وإنما تعتقل في مكان للعذاب حتى يوم الحساب .

وقد أعلن السيد المسيح أن ثواب الأبرار وعقاب الأشرار لا يكون إلا بعد نهاية العالم ، بقوله : « ومتى جاء بن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف

عن يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي
أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . . ثم يقول أيضاً للذين عن
اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . .
فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية .

«د» الشريعة

١ — الشريعة الطبيعية والشريعة المكتوبة :

كانت الشريعة التي تحكم الإنسان هي الشريعة الطبيعية ، حتى أنزل الله له
الشريعة المكتوبة .

والشريعة الطبيعية هي المتعلقة بالواجبات المفروضة على الإنسان من قبل
الناموس الطبيعي ، وقد خلقت هذه الشريعة مع الإنسان ، وكانت كافية
لإرشاده إلى السبيل القويم . ولكن لما أخذ ظلام الخطيئة يغطي أصول تلك
الشريعة ، وأصبحت عاجزة عن إرشاد الإنسان وتهذيبه ، مده الله بالشريعة
المكتوبة . وقد أنزل الله هذه الشريعة على موسى النبي في جبل سيناء في
السنة الأولى لخروج بني إسرائيل من أرض مصر ، ونقشها على لوحين من
الحجر ، يتضمن أحدهما الوصايا الأربع المتعلقة بالله تعالى ، ويتضمن الآخر
الوصايا المتعلقة بالإنسان .

أ — فالوصايا المتعلقة بالله تعالى هي : (١) أنا الرب إلهك لا يكن لك
آلهة أخرى أمامي . (٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما في
السماء من فوق وما في الأرض من تحت . لا تسجد لهن ولا تعبدن .
(٣) لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . (٤) أذكر يوم السبت لتقدس .

ب — والوصايا المتعلقة بالإنسان هي : (١) أكرم أباك وأمك لكي

تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إهلك . (٢) لا تقتل .
(٣) لا تزن . (٤) لا تسرق . (٥) لا تشهد على قريبك شهادة زور .
(٦) لا تشتت بيت قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً
مما لقريبك .

وفيا بلى كلمة عن كل من هذه الوصايا العشر :

١ — الوصية الأولى : « أنا الرب إهلك لا يكن لك آلهة أخرى
أمامي » - وهي توجب على الإنسان الاعتقاد بوحدانية الله وتحرم عليه
الشرك . كما توجب على الإنسان أن يمجّد الله بأن يحبه ويسجد له ويصلي
إليه ، وألا يعبد غيره من الخلائق أو يعبد الشيطان .

٢ — الوصية الثانية : « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما
مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت . لا تسجد لهن ولا تعبدهن » .
أى لا تتخذ لك صورة مما في السماء كالشمس والقمر والنجوم ، ولا
مما في الأرض كالإنسان والحيوان والزواحف والهوام . أى أن الله ينهانا
عن عبادة الأصنام .

٣ — الوصية الثالثة : « لا تنطق باسم الرب إهلك باطلا » - والله
بهذه الوصية ينهانا عن التهاون والاستخفاف باسمه دون مراعاة الرهبة
والاحترام ، كما ينهانا عن القسم باسمه على صحة ما هو كاذب .

٤ — الوصية الرابعة : « أذكر يوم السبت لتقدس » - وقد فرض
الله ذلك على الإنسان لكي يخصص وقتاً معيناً من الأسبوع لعبادته عبادة
جماعية . وقد استبدل المسيحيون يوم السبت بالأحد لأن فيه قام المسيح من
بين الأموات . ويكون تقديس يوم الأحد بترك العمل ، والتوجه إلى الله

بالعبادة وإلى البشر بالمحبة والسلام .

٥ — الوصية الخامسة : « أكرم أباك وأأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك » - ويريد الله منا بهذه الوصية أن نحب والدينا ونطيعهم ونوقرهم متجنبين كل ما من شأنه إيذاؤهم أو الخط من كرامتهم أو الاستخفاف بهم ، حتى لقد قال تعالى : « ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً ، ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً » .

٦ — الوصية السادسة : « لا تقتل » - وهذه الوصية تنهى عن إتلاف الإنسان حياته وحياة غيره من البشر ، كما تنهى عن كل ما يلحق بالإنسان تلفاً كالجرح وبتتر العضو وما إليه ، لأن الإنسان لم يحصل على حياته من تلقاء نفسه بل من الله الذي له الحق وحده في استرجاعها متى أراد ذلك ، ومن ثم كان من أتلف حياته أو أضر بها قد تعدى على حقوق الله .

٧ — الوصية السابعة : « لا تزن » - وهذه الوصية تنهى عن الزنى وما في حكمه . وقد اعتبر السيد المسيح مجرد الأفكار الدنسة في حكم الزنا .

٨ — الوصية الثامنة : « لا تسرق » - وهذه الوصية تنهى عن سلب مال الغير بغير رضاه سراً أو علانية ، وتنهى عما في حكم ذلك من غش في البيع وعدم وفاء الدين وما إلى ذلك .

٩ — الوصية التاسعة : « لا تشهد على قريبك شهادة زور » - وهذه الوصية تنهى صراحة عن شهادة الزور ، وتنهى ضمناً عن الكذب والوشاية والنميمة والغيبة والتشهير واليمين الجائفة . -

١٠ — الوصية العاشرة : « لا تشته بيت قريبك ولا امرأته ولا ثوره

ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك » - وهذه الوصية تنهى عن اشتها مال القريب ، وهى تتضمن الوصيتين السابعة والثامنة ، وزادت عليهما تحريم الفكر الردى .

٢ - المهر الجدير :

وحين جاء السيد المسيح ، أكل الشريعة المكتوبة ، بتعاليمه الإلهية ، فصارت هى الشريعة الجديدة فى العهد الجديد ، وصارت هى الدعامة التى تقوم عليها الكنيسة فى كل العصور .

« ه » الكنيسة

١ - مرلول الكنيسة :

الكنيسة فى الأصل هى جماعة من المؤمنين اعتادوا الاجتماع فى مكان واحد للعبادة ، كما أطلق اسمها على مكان الاجتماع ، وعلى الكهنة أيضاً .

وتدعى الكنيسة ، بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية :

١ — فهى واحدة لأن كل المؤمنين الذين تكونت منهم بمثابة جسد واحد .

٢ — وهى مقدسة لأن المسيح قدس الجماعة الذين تتكون منهم .

٣ — وهى جامعة أى عمومية بالنسبة إلى الزمان والمكان والأمم .

٤ — وهى رسولية أى تأسست بكراسة الرسل .

٢ - طقوس الكنيسة :

الطقوس فى اصطلاح الكنيسة هى مجموع الصلوات والابتهالات التى تتم فى

الاحتفالات الكنسية ، ويتلوها الكاهن ومساعدوه في أداء الاسرار المقدسة وغيرها بترتيب خاص موضوع .

وقد وجدت الطقوس في الكنيسة منذ عهد الرسل ، ومنها :

١ — واجب السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة .

٢ — واجب أداء الصلوات السبع التي فرضتها الكنيسة على أبنائها يومياً : وهي صلاة باكر ، وصلاة الساعة الثالثة ، ثم السادسة ، ثم التاسعة ، ثم الحادية عشرة ، ثم الثانية عشرة ، ثم صلاة نصف الليل .

٣ — رفع البخور بعد صلاة باكر ، وما يتلوه الكاهن خلاله من صلوات متنوعة .

٤ — مقدمة الحمل ، وتكون بتقديم طبق الحمل إلى الكاهن وعليه ثلاث قربانات خالية من العيوب ، فيختار منها واحدة ويمسحها بقليل من الماء - رمزاً للعماد - ثم يلفها في لفافة نقيية ، ويرفعها فوق رأسه ويدور حول المذبح دورة واحدة ، ثم يضعها في الصينية على المذبح ، ويضع الخمر في الكأس ممزوجاً بقليل من الماء ، ثم يتلو صلاة الشكر ويغطي الجميع بستر كبير - رمزاً إلى دفن المسيح - ثم ينحدر من الهيكل ساجداً . . . وهكذا إلى أن تتم خدمة القداس .

٥ — وتأمّر الكنيسة بتقديم الذبيحة المقدسة يومياً على مدار السنة ماعداً الثلاثة الأيام الأولى من أسبوع الآلام .

٣ - أسرار الكنيسة :

إن أسرار الكنيسة من أهم عقائد الإيمان ومبادئ الشريعة الجديدة وأركان العهد الجديد .

والسر هو عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة .

وأسرار الكنيسة سبعة وهى :

١ - سر المعمودية :

المعمودية هى سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً بالماء والكلمة . وقد قال بطرس الرسول : « وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح القدس » . (أ ع ٢ : ٣٧) - وقد ارتسم سر المعمودية فى وقت عماد السيد المسيح .

والعماد يكون بالماء ، إذ قال السيد المسيح : « إن كان لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » . (يو ٣ : ٥) .

ويتم العماد بتغطيس المتعمد ثلاث دفعات فى الماء باسم الثالوث الأقدس الاب والإبن والروح القدس ، إذ قال السيد المسيح : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) . ويمثل العماد بهذه الصورة موت السيد المسيح وقيامته ، لأن الإنسان بعماده يموت من الخطيئة ويقوم بحياة البر الجديدة .

ولا يجوز العماد بالرش - أى بالاكتفاء برش المتعمد بالماء دون تغطيسه فيه - إلا فى أحوال استثنائية ، كالمرض الشديد والإشراف على الموت .

والعماد يمنح نعمة الميلاد الثانى ، أى الميلاد الروحى ، كما أنه يمنح نعمة التقديس والتبرير وغفران الخطايا الجديدة ، أى الموروثة عن جدنا آدم ، والخطايا الفعلية ، أى التى ارتكبها الشخص ذاته قبل العماد . وهو يمنح نعمة التبنى لله ، والوراثة فى السماء ، والوحدة فى كنيسة المسيح التى لا تتجزأ .

ولا يصح إجراء العماد إلا بواسطة الكاهن وحده ، لأن المسيح منح حق العماد للرسول ، وهؤلاء منحوه للكهنة .

٢ — سر المسحة أو الميرون المقدس :

سر المسحة أو الميرون المقدس هو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات في الإيمان ، وبدونه تكون المعمودية ناقصة ، وغير قانونية لأنه كما أن السيد المسيح حل عليه الروح القدس شبه حمامة على أثر عماده في نهر الأردن ، هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون ، وهو الزيت المقدس على أثر خروجه من المعمودية ، لأن الميرون هو عوض عن الحمامة التي حلت على السيد بعد عماده .

وقد تسلمت الكنيسة صنع الميرون المقدس من الرسل . وذلك أن الرسل حفظوا ما كان من الجنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الجنوط الذي أحضرته النسوة ، ثم أذابوه في زيت الزيتون ، وقدسوه في عليقة صهيون ، وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً للمعمودية ، ووزعوه في كل الجهات ، وصاروا يدهنون به المؤمنين المعتمدين . وحين أتى القديس مرقس الرسول إلى مصر كان معه جزء منه ، فاستعمله لذلك الغرض وتسلمه خلفاؤه من بعده إلى عهد أثناسيوس الرسولي ، وقد أضاف هذا إلى الجزء الباقي منه الأفاويه العطرية التي أمر الله موسى بصنعها كما ورد في التوراة ، وبعد أن طبخ الميرون هو والأساقفة والكهنة بعث منه إلى البلاد المسيحية . وقد استن سنته البطارقة من بعده حتى لا تنفد هذه الذخيرة المقدسة . وقد تم تجهيز الميرون المقدس من عهد الرسل إلى اليوم خمساً وعشرين مرة .

ومن العقاقير العطرية التي يصنع منها الميرون : القرفة والسوسن والصندل والقرنفل والزعفران والعود الهندي والبلسان وغير ذلك . ويتولى الكهنة

دقها ثم طبخها ، ثم يضيفون إليها الخميرة المقدسة التي يمتد تاريخها إلى الدهن الذي صنعه الرسل .

وتقدس الميرون قاصر على رؤساء الكهنة ، أما ممارسته فمن حق الكهنة جميعاً .

٣ - سر الأنخارستيا أو القربان المقدس :

سر الأنخارستيا هو سر جسد ربنا يسوع المسيح ودمه تحت عوارض الخبز والخمر ، وهو يتم إحياءاً لذكرى ذبيحة الصليب ، ويعطى لنيل النفوس والأجساد الحياة الروحية ، أى حياة النعمة في هذا العالم ، وحياة المجد في العالم الآتى .

ومادة سر الأنخارستيا هي الخبز والخمر كما رسم السيد المسيح ، إذ أنه في العشاء الأخير أخذ خبزاً وباركه وأعطى التلاميذ وقال : « خذوا كلوا هذا هو جسدى » ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : « إشرَبوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦) .

وقال : « إنه هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٢٨ - ٥١) .

وقال : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية

وأنا أقيم في اليوم الأخير لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد » (يو ٦ : ٥٣ - ٥٩) .

وتعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوي حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم ونفس ولاهوت السيد المسيح ، أي أن الخبز والخمر يستحيلان وينتقلان بكلمات التقديس إلى جسد المسيح ودمه لا على وجه الرمز أو الإشارة ، ولا بحسب حلول اللاهوت في مادتي الخبز والخمر ، وإنما باعتبار أن الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه ذاته ، بحيث لا يبقى من الخبز والخمر الأصليين شيء إلا الظواهر الخارجية وحدها .

فعندما يتلو الكاهن أثناء خدمة القديس قول السيد له المجد : « خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وهذا هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك من أجل كثيرين لمعرفة الخطايا » ثم يتلو صلاة استدعاء الروح القدس يتحول الخبز والخمر الموضوعان على المذبح إلى جسد المسيح ودمه الطاهرين .

ويرجع ترتيب القديس إلى الرسل ، إذ كان يعقوب الرسول هو أول من وضع قداساً وسلمه لكنائس أورشليم . ثم وضعت بعد ذلك ثلاثة قداسات هي قداسات مرقس وباسيليوس وغريغوريوس .

٤ - سر التوبة أو الاعتراف :

لما كان الإنسان الأول بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية لا يعتقد مطلقاً من نتائج الخطيئة الجدية والفساد الإرثي الذي هو الميل الطبيعي إلى الشر ، بل قد ينجح إلى الخطيئة تارة باختياره وطوراً بالرغم منه ، لذلك

أقيم سر التوبة ليكون بمثابة الدواء الشافي من الخطايا المقترفة بعد اقتبال سر المعمودية .

وهذا السر هو اعتراف الإنسان للكاهن بخطايه وذنوبه وجرائره ومعاصيه .

وقد أسس السيد المسيح هذا السر أثر قيامته من بين الأموات ، حيث نفخ في أوجه تلاميذه قائلاً : « إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٨) ، وقوله أيضاً لتلاميذه : « كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء » (مت ١٨ : ١٨) .

ومن أهم ثمار سر الإعتراف الحصول على غفران الخطايا وسلام النفس ، إذ قال يعقوب الرسول : « صلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له . إعرفوا بعضكم البعض بالزلات » (يع ٥ : ١٥) . وقال يوحنا البشير : « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١ : ٩) .

٥ - سر مسحة المرضى :

مسحة المرضى سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ، ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً . وقد قال مرقس الإنجيلي أن الرسل « دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفيهم » (مر ٦ : ١٣) . وقال يعقوب الرسول : « أمرض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له » . (يع ٥ : ١٤) .

٦ — سر الزواج :

لما كان الإنسان طوع أمر الطبيعة في إشباع رغبته الجنسية كسائر الكائنات الحية ، فقد وضع الله ناموساً يتم بموجبه عقد زواج شرعى بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لتكبر طرق الفساد . وقد جعل السيد المسيح الزواج - فوق كونه ناموساً طبيعياً - سراً من أسرار الكنيسة ، إذ قال : « فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٦) .

والزواج سر تمنح بمقتضاه النعمة الإلهية بواسطة صلاة الكاهن على الزوجين اللذين ارتبطا علناً أمام الكنيسة بوعده كل منهما للآخر أن يحفظ الأمانة ويصون العهد .

ولا يصح الطلاق لدى المسيحيين إلا لعلة الزنا ، إذ سأل جماعة من الفريسيين يسوع قائلين : « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب » فأجابهم قائلاً : « أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٣ - ١٠) . وقال أيضاً : « وقيل من طلق امرأته فليعطا كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى » (مت ٥ : ٣١ - ٣٢) .

ويتم الزواج بواسطة الله نفسه ، إذ قال يسوع : « فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » . ولما كان الكاهن هو وكيل الله ، فيجب أن يتم على يديه، ويجب أن يتم الزواج في الكنيسة ، لأنه سر من أسرار الكنيسة .

٧ — سر الكهنوت :

سر الكهنوت هو عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص

المنتخب ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى إحدى درجات الكهنوت .

وقد وضع السيد المسيح أساس الكهنوت ، إذ اختار الإثني عشر رسولاً ثم السبعين الآخرين ، وأعطاهم سلطات الكهنوت ومنها التعميد وتقدیس القربان وغفران الخطايا . وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم . وقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس : « لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة » (١ : ٤ : ١٤) — وقال لتيطس أسقف كريت : « من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك » (تي ١ : ٥) وقال لأسقف أفسس : « وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢ : ٢ : ٢) .

و درجات الكهنوت ثلاثة وهي الأسقفية والقسوسية والشماسية : —

١ — ففي الأسقفية قال بولس الرسول : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم وكو كيل الله » (تي ١ : ٧) .

٢ — وعن القسوسية قال صاحب أعمال الرسل : « وانتخبنا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلوا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به » (١٤ : ٢٣) .

٣ — وعن الشماسية قال بولس الرسول : « يجب أن يكون الشماسة ذوى وقار لا ذوى لسانين غير مولعين بالخمر ولا طامعين بالربح القبيح » (١ : ٣ : ٨) .

وتتم رسامة الكاهن بوضع اليد والصلاة ، وسر الكهنوت من خصائص الأسقف وحده ، لأنه هو الذى له حق وضع اليد .

٤ — تقاليد الكنيسة :

للكنيسة القبطية تقاليد درجت على اتباعها والمحافظة عليها منذ نشأتها الأولى ، ومن أهم هذه التقاليد الصوم والاحتفال بالأعياد المقدسة :

١ — الصوم :

والصوم هو امتناع الإنسان عن الطعام وقتاً معيناً من النهار ثم اقتصاره بعد ذلك على ما كولات خالية من الدسم ، إضعافاً للشهوات ، وتقوية للعواطف الروحية ، وتمكيناً للإنسان من التذرع بوسائل النجاة من تجارب الحياة وضيقاتها .

وتفرض الكنيسة القبطية أيام الصوم التالية :

١ - الصوم المقدس وعدد أيامه خمسة وخمسون يوماً ، هي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها السيد المسيح ، مضافاً إليها أسبوعى الاستعداد والآلام ، ويمتنع في هذا الصوم عن أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، ويقتصر على أكل البقول .

٢ - صوم الميلاد ، وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوماً تنتهى بعيد الميلاد .

٣ - صوم الرسل ، وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها في الجامع المسكونية لضبط عيد الفصح ، وتتراوح مدته بين خمسة عشر يوماً وتسعة وأربعين يوماً . ويبدأ دائماً بيوم الإثنين الذى يلي عيد العنصرة .

٤ - صوم السيدة العذراء مريم ، ومدته خمسة عشر يوماً ويبدأ بأول

شهر مسرى .

٥ - صوم أهل نينوى ، ومدته ثلاثة أيام ، ويبدأ عادة بيوم الإثنين

وينتهى بيوم الأربعاء .

٦ - صوم يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ما عدا أيام الخمسين وعيدى الميلاد والظهور إذا اتفقا فيهما . وعلة الصوم فى هذين اليومين أن أحدهما تذكـار المؤامـرة على السيد المسيح والآخـر تذكـار صلبه .

٧ - صوم البرامون ومعناه الاستعداد ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور وتتراوح مدته بين يوم واحد وثلاثة أيام .

ب - الأعياد :

رتبت الكنيسة القبطية أعياداً تحتفل بها إكراماً للسيد المسيح أو للقديسين والشهداء . وهذه الأعياد هى :

١ - الأعياد السيديـة السبعة الكـبيرة - وقد سميت سيديـة نسبة إلى السيد المسيح - وهى :

١ - عيد البشارة فى ٢٩ برمـهات .

٢ - عيد الميلاد فى ٢٨ أو ٢٩ كيهك .

٣ - عيد الظهور ويعرف بعيد الغطاس فى ١١ طوبة .

٤ - عيد الشعانين فى الأحد السابع من الصوم المقدس .

٥ - عيد القيامة المجيد فى الأحد الثامن من الصوم المقدس .

٦ - عيد الصعود بعد عيد القيامة بأربعين يوماً .

٧ - عيد الخمسين ويقع بعد عيد القيامة بخمسين يوماً .

ب - الأعياد السيديـة السبعة الصغـيرة وهى :

١ - عيد الختان فى ٦ طوبة .

٢ — عيد عرس قانا الجليل في ١٣ طوبة .

٣ — عيد دخول الهيكل في ٨ أمشير .

٤ — عيد خميس العهد قبل عيد الفصح بيومين .

٥ — عيد أحد توما في الأحد التالي ليوم القيامة .

٦ — عيد دخول المسيح أرض مصر في ٢٤ بشنس .

٧ — عيد التجلي في ١٣ مسرى .

ح — أعياد القديسين والشهداء : كالقديسة مريم والرسل والملائكة والقديس جاورجيوس والسيدة دميانة .

٥ — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى :

توجد بعض أوجه الخلاف العقائدية أو المتعلقة بالطقوس بين الكنائس المسيحية ، نتيجة للاختلاف في وجهات النظر والتباين في فهم أسرار الدين المسيحى . ونورد فيما يلى بعض أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية ، وغيرها من الكنائس المسيحية :

١ — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية :

١ — تعتقد الكنيسة القبطية أن للسيد المسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن المسيح طبيعتان بعد الاتحاد إحداها لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٢ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الآب . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أنه منبثق من الآب والإبن .

٣ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس غير البروتستانتية

بوجود نظام الكهنة ووجوب إقامة المذبح والبخور والهيكل والحجاب وسائر الطقوس المتعلقة بذلك . أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أنه لا كهنة ولا مذبح ولا بخور ولا هيكل ولا حجاب في نظام العهد الجديد .

٤ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الإيمان والأعمال معاً ضروريان للخلاص لكونهما علة التبرير . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالإيمان بل هي ثمرة الإيمان ونتيجة التبرير .

٥ — تحافظ الكنيسة القبطية على التقليد وهو النظام الذي تلقته الكنيسة عن الرسل وآباء الكنيسة الأوائل ولم يدون في الكتب . أما الكنائس البروتستانتية فلا تتقيد إلا بالكتاب المقدس وحده .

٦ — تعتقد الكنيسة القبطية في قدسية أسرار الكنيسة السبعة . أما الكنائس البروتستانتية فتخالفها في ذلك .

٧ — تمسك الكنيسة القبطية بفريضة الصوم . أما الكنائس البروتستانتية فتنكر هذه الفريضة .

٨ — رتبت الكنيسة القبطية أعياداً خاصة تقيمها إكراماً للسيد المسيح أو للشهداء والقديسين . أما الكنائس البروتستانتية فترفض الاحتفال بهذه الأعياد .

٩ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الشهداء والقديسين مقاماً رفيعاً أمام الله ، ولذلك تطلب احتياجاتها من الله بواسطتهم ، أي أنها تستشفع بهم . أما الكنائس البروتستانتية فتنكر ذلك وتحرمه .

١٠ — تتخذ الكنيسة القبطية صور القديسين للتذكرة والعبرة . أما الكنائس البروتستانتية فتنكر ذلك وتعتبر الصور محرمة .

١١ — تعتقد الكنيسة القبطية بوجوب الصلاة على أنفس المنتقلين الصالحين وطلب الرحمة لها . أما الكنائس البروتستانتية فلا تعتقد بذلك .

١٢ — تعتقد الكنيسة القبطية بصحة نظام الرهبنة ، معتبرة إياه موافقاً للكمال الروحي . أما الكنائس البروتستانتية فتستنكره .

١٣ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعهما سائر الكنائس الرسولية أن السيد المسيح بعد موته ذهب نفسه الطاهرة وهي متحدة باللاهوت إلى الجحيم وأخرجت نفس آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائفة الخطيئة الأصلية وما توا على الرجاء ، وأصعدتهم إلى الفردوس . أما الكنائس البروتستانتية ، فترفض هذه العقيدة .

١٤ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعهما سائر الكنائس الرسولية بقانونية الأسفار المحذوفة وهي أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابيين الأول والمكابيين الثاني وبروخ وبعض قطع من سفرى إستير ودانيال . أما الكنائس البروتستانتية فتعتبرها غير قانونية .

١٥ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعهما سائر الكنائس الرسولية أن درجات الكهنوت ثلاث ، وهي الأسقفية والقسوسية والشماسية . أما الكنائس البروتستانتية فلا تعترف إلا بدرجتين هما القسوسية والشماسية ، وتعتبر أن الأسقفية هي القسوسية ذاتها .

ب — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية :

١ — تعتقد الكنيسة القبطية أن للسيد المسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، إحداها لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٢ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الآب . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أنه منبثق من الآب والإبن .

٣ — تعتقد الكنيسة القبطية أنه لا يوجد بعد الموت سوى النعيم للأبرار والجحيم للأشرار . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن هناك مكاناً ثالثاً يسمى المطهر تعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة ، وتظل تعذب في ناره عذاباً أليماً حتى تنق ما بقي عليها من الدين للعدل الإلهي ، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت .

٤ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الأخرى أن مغفرة الخطايا لا يمكن أن تتم بدون توبة وانسحاق قلب . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب بلا توبة على أساس أن للكنيسة الحق في أن تعطي ما تشاء من الغفرانات التي تتناولها من ذخيرة استحقاق المسيح والقديسين . ولذلك راحت تبيع صكوك الغفران . بل أنها ذهبت إلى أن الغفران في هذه الحالة ليس قاصراً على الأحياء ، وإنما ينسحب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت في المطهر .

٥ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الرسل متساوون جميعاً في الفضل فلا رئاسة لواحد منهم على الآخرين . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن السيد المسيح قد أقام بطرس نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً للكنيسة . وقد رتبت على ذلك أنه لما كان بابا روما هو خليفة بطرس ، فهو إذن رأس الكنيسة من بعده ، وهو نائب المسيح على الأرض ، ومن ثم فهو معصوم من الخطأ .

٦ — درجت الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية على إتمام سر المعمودية بالتغطيس . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد عمدت منذ القرن الثالث إلى إتمام هذا السر بطريق الرش .

٧ — درجت الكنيسة القبطية على أن يتم مسح المتعمد بالميرون المقدس بمجرد خروجه من المعمودية سواء أكان راشداً أم قاصراً . أما الكنيسة الكاثوليكية فترجىء ذلك بالنسبة للقاصر حتى يبلغ سن الرشد .

٨ — درجت الكنيسة القبطية على أن تستعمل في إتمام سر التناول الخبز المختمر ، وأن تناول الخبز والخمر للجميع . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد استبدلت الخبز المختمر بالفطير ، كما أنها منعت عامة الشعب من تناول الدم الكريم .

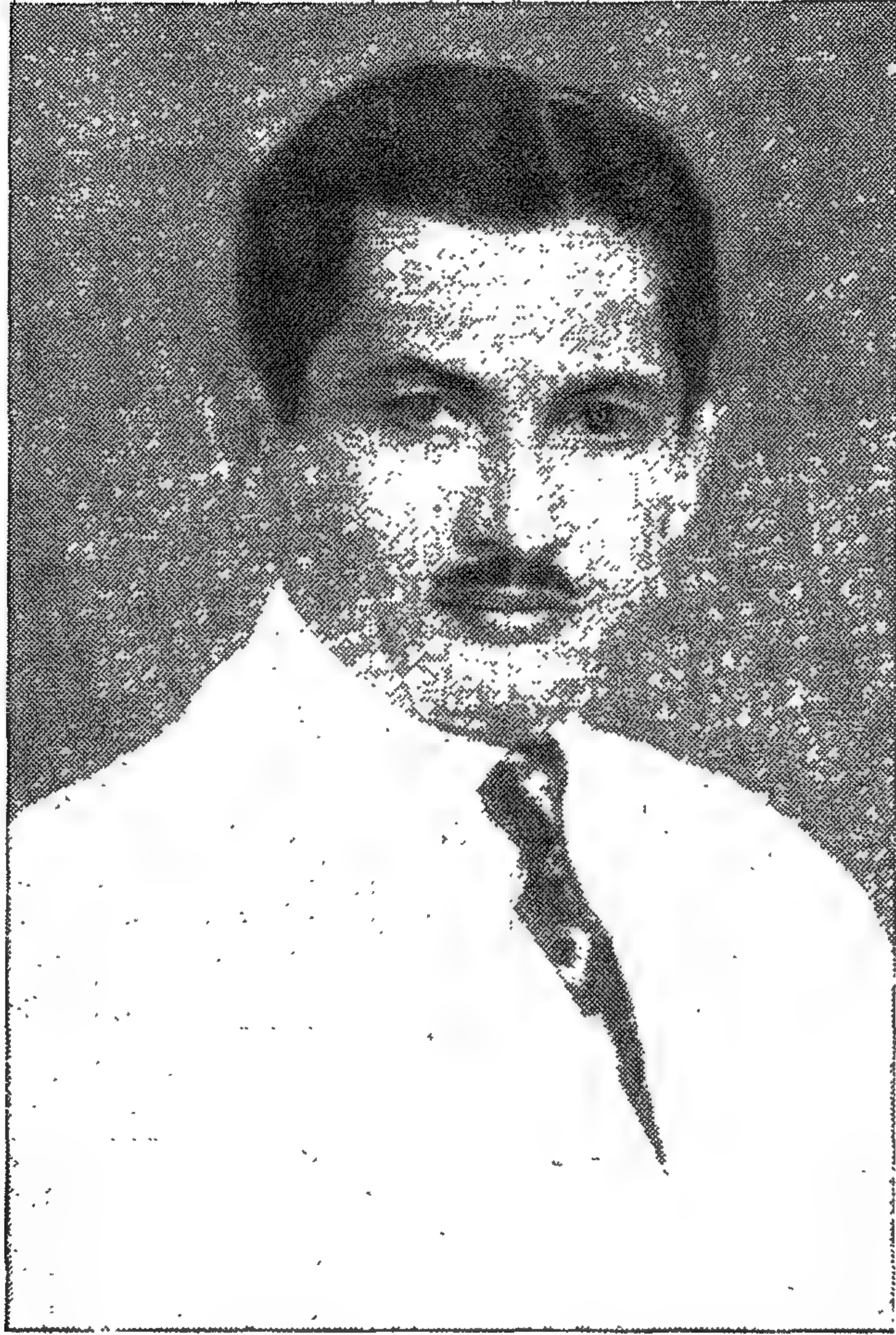
٩ — أوجبَت الكنيسة القبطية زواج القسوس والشمامسة مرة واحدة فقط قبل وضع الأيدي عليهم . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد حرمت الزواج على جميع رجال الكنيسة .

١٠ — سمحت الكنيسة القبطية بوضع الأيقونات والصور في الكنائس ولم تسمح بعمل أيقونات بارزة أو منحوتة على شكل تماثيل حتى تبتعد عن مظاهر الوثنية . أما الكنيسة الكاثوليكية فتتخذ التماثيل فضلاً عن الصور .

١١ — تحرم الكنيسة القبطية الطلاق إلا في حالة الزنا . أما الكنيسة الكاثوليكية فتحرمه في جميع الأحوال .

١٢ — تستوجب الكنيسة القبطية استدعاء الكاهن ليمسح المؤمنين بالزيت المقدس كلما أصابهم مرض . أما الكنيسة الكاثوليكية فلا تمسح بهذا الزيت إلا المشرفين على الموت .

(تم الجزء الاول)



الاستاذ زكى شنودة

مراجع الكتاب

- ١ - الكتاب المقدس .
- ٢ - السنكسار القبطى .
- ٣ - بستان الرهبان .
- ٤ - تاريخ البطارقة لساويرس بن المقفع .
- ٥ - تاريخ الأمة القبطية - تأليف لجنة التاريخ القبطى .
- ٦ - خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر - تأليف كامل صالح نخلة .
- ٧ - تاريخ الكنيسة القبطية - تأليف الشماس منسى القمص .
- ٨ - جدول تاريخ البطارقة - تأليف كامل صالح نخلة .
- ٩ - مختصر تاريخ الأمة القبطية - تأليف سليم سليمان .
- ١٠ - الأقباط أبناء الفراعنة - تأليف الأستاذ كامل ميخائيل عبد السيد .
- ١١ - موجز تاريخ القبط - تأليف وليم ورل ترجمة الدكتور مراد كامل .
- ١٢ - موجز تاريخ المسيحية - تأليف القمص أنطونيوس البرموسى .
- ١٣ - تاريخ الأمة القبطية وكنيستها - للسيدة بوتشر .
- ١٤ - تاريخ مصر - تأليف جورجى زيدان .
- ١٥ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك - لأحمد بن على المقرئ .
- ١٦ - تاريخ مصر القديمة - تأليف سليم حسن .
- ١٧ - تاريخ مصر من أقدم العصور - لبرستيد ترجمة حسن كمال .
- ١٨ - ديانة قدماء المصريين - لأستيندورف ترجمة سليم حسن .
- ١٩ - صور من تاريخ القبط - لجمعية مار مينا .
- ٢٠ - خلاصة تاريخ الكنيسة للعلامة بوموند .

- ٢١ - صفحة من تاريخ القبط - لجمعية مار مينا .
- ٢٢ - الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة - للأب أيسيدورس .
- ٢٣ - حسن السلوك في تاريخ البطارقة والملوك - للأب أيسيدورس .
- ٢٤ - تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين - تأليف القمص
عبد المسيح صليب المسعودي البراموسي .
- ٢٥ - وادي النظرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة - للأمر
السابق عمر طوسون .
- ٢٦ - تاريخ الأديرة البحرية - للأمر السابق عمر طوسون .
- ٢٧ - رحلة إلى الأديرة - تأليف إدوارد سرجيوس .
- ٢٨ - ماذا في الأديرة - تأليف ألفي بديع سكلا .
- ٢٩ - كوكب البرية الأنبا أنطونيوس - للقمص كيرلس الأنطوني .
- ٣٠ - حياة الأنبا أنطونيوس - لجمعية أصدقاء الكتاب المقدس .
- ٣١ - تاريخ الأنبا يوحنا القصير - للقمص ميصائيل بحر .
- ٣٢ - الراهب إيلاري أو القديسة إيلارية - تأليف القمص أرسانيوس
حبشي شتا .
- ٣٣ - تاريخ أنبا برسوم العريان - لمكتبة المحبة .
- ٣٤ - أبو مقار الكبير - لأسرة القديس مقاريوس .
- ٣٥ - الأنبا يشوي - لأبناء القديس أبو مقار .
- ٣٦ - حياة الأنبا أنطونيوس - تعريب القس مرقس داوود .
- ٣٧ - الإثنا عشر تلميذاً - تأليف حبيب سعيد .
- ٣٨ - حياة يسوع - للقس أنسي عبد الملك .
- ٣٩ - تاريخ مار مرقس - تأليف كامل صالح نخلة .
- ٤٠ - تاريخ أنبا بطرس - تأليف كامل صالح نخلة .
- ٤١ - جامعة الإسكندرية - تأليف الدكتور إبراهيم جمعه .

- ٤٢ - ديسقورس - تأليف القمص أرمانوس حبشى .
- ٤٣ - تاريخ الإنشقاق - للأرشمنديت جراسيموس .
- ٤٤ - تاريخ الهرطقات - تأليف ألفونسوس ليكورين .
- ٤٥ - تاريخ المجامع - لساويرس بن المقفع .
- ٤٦ - عصر المجامع - تأليف القمص كيرلس الأنطونى .
- ٤٧ - تاريخ أثناسيوس الرسولى - تأليف كامل صالح نخلة .
- ٤٨ - إحياء الكنيسة القبطية - تأليف فريد كامل .
- ٤٩ - مار جرجس أمير الشهداء - للشماس فارس سعد .
- ٥٠ - تاريخ مار جرجس وعجائبه - للقمص سمعان جورجىوس .
- ٥١ - مار جرجس الإسكندرى - تأليف أثناسيوس بولس .
- ٥٢ - تاريخ مار جرجس - تأليف ميلاد واصف .
- ٥٣ - سيرة الشهيدة دميانة - لمكتبة المحبة .
- ٥٤ - مار مينا العجايبى - للقمص يوحنا السبكي الأنطونى .
- ٥٥ - سفر الشهيدة دميانة - تأليف جرجس فيلوثاوس .
- ٥٦ - الشهيد العظيم مار مينا - تأليف جرجس فيلوثاوس .
- ٥٧ - خلاصة الأحوال الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية - تأليف حبيب جرجس .
- ٥٨ - علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - تأليف الإيغومانوس ميخائيل مينا .
- ٥٩ - المبادئ المسيحية الأرثوذكسية - تأليف حبيب جرجس .
- ٦٠ - حقيقة عقيدة التثليث - تأليف القس ليب ميخائيل .
- ٦١ - شرح التوحيد والتثليث - تأليف صادق الياس .
- ٦٢ - مجلدات مجلة الكرمة - للمرحوم حبيب جرجس .
- ٦٣ - الكنز الثمين فى أخبار القديسين - للبطريرك مكسيموس مظلوم .

- ٦٤ - مروج الأخبار في تراجم الأبرار للآباء اليسوعيين .
- ٦٥ - تاريخ الكنيسة المسيحية - لموسيم .
- ٦٦ - تاريخ مصر القديم والحديث - لميخائيل شاروويم .
- ٦٧ - تعاليم الرسل - لحافظ داوود .
- ٦٨ - المجموع الصفوى - لابن العسال .
- ٦٩ - اللائىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - للقمص يوحنا سلامه .
- ٧٠ - الأثر الذهبى - لعطية وهبه .
- ٧١ - الرابطة بين سكان مصر الحاليين وسكانها القدماء لماسبيرو .
- ٧٢ - اللغة القبطية - لجرجس فيلوتاوس .
- ٧٣ - فى صحراء العرب والأديرة الشرقية - للبيب حبشى وزكى تاوضروس .
- ٧٤ - القبط - لجرجس فيلوتاوس .
- ٧٥ - مجموعة مجلة عين شمس - للمرحوم أكلاديوس بك لبيب .
- ٧٦ - مجموعة المجلة القبطية - لجرجس فيلوتاوس .
- ٧٧ - مجموعة مجلة التوفيق - لجمعية التوفيق القبطية .

- 78 - Christian Egypt , by M. Fowler.
- 79 - The Ancient Coptic Churches of Egypt , by A. Butler.
- 80 - Modern Sons of the Pharaohs , by G. H. Leader.
- 81 - The History of Egypt , by S. Sharpe.
- 82 - History of Egypt , by I. Lane Pool.
- 83 - The Nile , by Wallis Budge.
- 84 - The History of Egypt under Roman Rule , by Miline.
- 85 - Histoire de l'Eglise d'Alexandrie , Par Vansleb.
- 86 - L'art Copte , Par Gayet.
- 87 - Geographie de l'Egypte à l'époque Copte, Par E. Amelineau

- 88 - Les Grandes Villes d'Egypte à l'Epoque Copte, par Daressy.
 - 89 - L'Egyte Romaine , Par W-Hohlwein
 - 90 - Coptes et Romans de L'Egypte Chretienne.
 - 91 - Chronologie des temps Chretiens, par Chainé.
 - 92 - Resumé Chronologique de L'Histoire deL'Egypte, par Arthur Rhone.
 - 93 - Histoire de L'Ecole d'Alexandrie.
 - 94 - Hisoire de L'Egypte , par Champollion Figeac.
 - 95 - Geographie Ancienne de La Basse Egypte, par Vicomte jaque de Rougé.
-

فهرس

صفحة

٣	كلمة جمعية التوفيق القبطية
٥	تقديم للأستاذ عياد عياد
٧	مقدمة المؤلف

الباب الأول

٩	أصل الأقباط
---	-------------

الباب الثاني

١٣	لغة الأقباط
١٣	أصل اللغة القبطية
١٤	لهجات اللغة القبطية
١٥	آثار اللغة القبطية
١٧	إندحار اللغة القبطية

الباب الثالث

٢٠	عقيدة الأقباط
٢٠	مقدمة

الفصل الأول

٢٢	عقائد قدماء المصريين
٢٢	عبادة النيل
٢٣	عبادة آلهة متعددة
٢٨	عبادة إله واحد

صفحة

٣١ قصة أوزوريس

٣٥ الخلاصة

الفصل الثانى

٣٨ المسيحية فى مصر

٣٩ الفرع الأول : ظهور المسيحية

٣٩ البحث الأول : قصة السيد المسيح

٣٩ ١ - ميلاد السيد المسيح

٤٣ ٢ - الهرب إلى مصر

٤٤ ٣ - يسوع فى صباه

٤٦ ٤ - العهاد

٤٧ ٥ - التجربة

٤٨ ٦ - تعاليم يسوع ومعجزاته

٥٦ ٧ - التآمر على يسوع

٥٨ ٨ - دخول أورشليم

٥٩ ٩ - حفلة الوداع

٦٠ ١٠ - الآلام والصلب

٦٥ ١١ - القيامة

٦٧ ١٢ - الصعود

٦٨ تحقق النبوءات

٧٠ وثائق رسمية

٧٣ البحث الثانى : رسل السيد المسيح

٧٣ أعمال الرسل

٧٥ ١ - متى البشير

صفحة

٢	— مرقس البشير	٧٦
٣	— لوقا البشير	٧٦
٤	— يوحنا البشير	٧٦
٥	— بولس الرسول	٧٨
٦	— يعقوب الرسول	٧٨
٧	— بطرس الرسول	٧٩
٨	— يهوذا الرسول	٨١
٩	— متياس الرسول	٨١
١٠	— فيلبس الرسول	٨١
١١	— برثلماوس الرسوا	٨٢
١٢	— سمعان الرسول	٨٢
١٣	— أندراوس الرسول	٨٢
١٤	— توما الرسول	٨٣
١٥	— يعقوب الرسول	٨٤
٨٥	خلفاء الرسل	
١	— أسقفية أورشليم	٨٦
٢	— أسقفية الإسكندرية	٨٦
٣	— أسقفية أنطاكية	٨٨
٤	— أسقفية روما	٨٨
٥	— أسقفية أفسس	٨٩
٦	— أسقفية أزمير	٨٩
٧	— أسقفية أثينا	٨٩
٨	— أسقفية ليون	٩٠

صفحة	
٩٠	٩ - أسقفية قرطاجنة
٩١	البحث الثالث : الكتاب المقدس
٩١	أسفار الكتاب المقدس
٩١	١ - العهد القديم
٩٢	٢ - العهد الجديد
٩٣	ترجمة الكتاب المقدس
٩٥	الفرع الثاني : دخول المسيحية في مصر
٩٥	البحث الأول : بشارة مرقس الرسول
١٠٠	البحث الثاني : الإضطهادات
١٠١	أشهر الإضطهادات
١٠١	١ - إضطهاد نيرون سنة ٦٤ م
١٠١	٢ - إضطهاد دوميتيانوس سنة ٩٠ م
١٠٢	٣ - إضطهاد تراجان سنة ١٠٦ م
١٠٢	٤ - إضطهاد أدريانوس سنة ١٢٤ م
١٠٣	٥ - إضطهاد مار كوس أوريليوس سنة ١٦٢ م
١٠٤	٦ - إضطهاد سافيروس سنة ٢٠٣ م
١٠٤	٧ - إضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ م
١٠٥	٨ - إضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٥ م
١٠٥	٩ - إضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩ م
١٠٧	١٠ - إضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨ م
١٠٨	١١ - إضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ م
١١٠	١٢ - إضطهاد غاليريوس سنة ٣٠٤ م
١١٠	١٣ - إضطهاد مكسيميان سنة ٣٠٥ م

صفحة	
١١١	أشهر الشهداء
١١١	١ - القديسة دميانة
١١٢	٢ - القديسة كاترينة
١١٣	٣ - القديسة تيودورة
١١٤	٤ - القديسة بوقامينا
١١٤	٥ - القديسة صوفيا
١١٤	٦ - القديس جاورجيوس
١١٦	٧ - القديس تادرس
١١٦	٨ - القديس يوليوس
١١٧	٩ - القديس مرقوريوس
١١٨	البحث الثالث : جامعة الإسكندرية :
١١٨	١ - الجامعة الوثنية
١١٩	٢ - الجامعة الفلسفية
١٢٠	٣ - الجامعة المسيحية
١٢١	١ - بانثينوس
١٢٢	٢ - إكليمنضوس
١٢٤	٣ - أوريجانوس
١٣٣	٤ - ديديموس
١٣٥	٥ - أثناسيوس
٣٣٧	٦ - كيرلس
١٤١	البحث الرابع : البدع والهرطقات :
١٤٣	١ - كرتثيوس
١٤٤	٢ - الغنوسطيون

صفحة

١٤٤	٣ - أمونيوس السقاص
١٤٥	٤ - باريليديس
١٤٥	٥ - كربوكراتس
١٤٥	٦ - فالنتينوس
١٤٦	٧ - سايلوس
١٤٦	٨ - نيبوس
١٤٧	٩ - بيرلس
١٤٧	١٠ - بولس السيمساطى
١٤٨	١١ - مانى
١٤٩	١٢ - هيراكس
١٤٩	١٣ - آريوس
١٥٨	١٤ - مكديوس
١٥٩	١٥ - نسطور
١٦٢	١٦ - أوطاخى
١٦٢	١٧ - بدعة الطبيعتين والمشيئتين
١٦٤	١٨ - الاختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح
١٦٥	١٩ - الاختلاف فى ماهية الأقانيم
١٦٦	٢٠ - بدعة انبثاق الروح القدس من الآب والإبن
١٦٨	البحث الخامس : المجامع
١٦٩	١ - مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية
١٧٣	٢ - مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية
٤٣١	٣ - مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ميلادية
١٧٥	٤ - مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ ميلادية

صفحة

١٧٦	.	.	.	٥ - مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية
١٧٨	.	.	.	البحث السادس : الرهبنة
١٧٨	.	.	.	كلمة عامة
١٨٩	.	.	.	نشأة الرهبنة
١٩٠	.	.	.	أساس الرهبنة
١٩٢	.	.	.	مؤسسو الرهبنة
١٩٢	:	.	.	١ - الأنبا بولا
١٩٤	.	.	.	٢ - الأنبا أمونيوس
١٩٤	.	.	.	٣ - الأنبا أنطونيوس
١٩٧	:	.	.	٤ - الأنبا باخوميوس
٢٠٢	:	:	:	٥ - الأنبا مكاريوس
٢٠٣	:	:	:	٦ - القديسان مكسيموس ودوماديوس
٢٠٤	:	:	:	٧ - القديس أرسانيوس
٢٠٦	:	:	:	٨ - الأنبا موسى
٢٠٦	:	.	:	٩ - الأنبا يوحنا القصير
٢٠٧	:	:	:	١٠ - الأنبا بيشوى
٢٠٧	:	:	:	١١ - الأنبا شنودة
٢٠٩	.	.	.	آداب الرهبنة
٢١٠	.	.	.	مراسم الرهبنة
٢١١	:	:	:	مراتب الرهبان
٢١٢	:	:	:	أثر الرهبنة القبطية في العالم المسيحى
٢١٧	:	:	:	الأديرة
٢١٧	:	:	:	نشأة الأديرة وازدهارها .

صفحة

٢٢٠	خراب الأديرة
٢٢٢	الأديرة التي وصلتنا أخبارها
٢٢٤	الأديرة العامرة حتى اليوم
٢٢٤	١ - دير برموس
٢٢٥	٢ - دير السريان
٢٢٦	٣ - دير الأنبا بيشوى
٢٢٦	٤ - دير أبو مقار
٢٢٧	٥ - دير الأنبا صموئيل
٢٢٧	٦ - دير الأنبا أنطونيوس
٢٢٨	٧ - دير الأنبا بولا
٢٢٩	٨ - دير المحرق
٢٢٩	أديرة الراهبات :
٣٣١	البحث السابع : خلاصة العقيدة القبطية
٢٣١	١ - الله
٢٣١	١ - وجود الله
٢٣٢	٢ - صفات الله
٢٣٤	٣ - أقانيم الله
٢٣٦	ألوهية السيد المسيح
٢٣٨	تجسد السيد المسيح
٢٣٩	طبيعة السيد المسيح
٢٤٠	ألوهية الروح القدس
٢٤١	إنبثاق الروح القدس من الآب
٢٤١	٤ - قضاء الله وعنايته

صفحة

ب — الملائكة ٢٤٦

١ — وجود الملائكة ٢٤٦

٢ — وظائف الملائكة ٢٤٦

٣ — الملائكة الأبرار والملائكة الأشرار ٢٤٧

ج — الإنسان ٢٤٨

٢ — الروح والجسد ٢٤٨

٢ — خلود الروح ٢٤٨

٣ — قيامة الأجساد ٢٤٩

٤ — الدينونة ٢٥٠

٥ — الحياة الأبدية والعذاب الأبدى ٢٥١

٦ — الأرواح قبل القيامة ٢٥٢

د — الشريعة ٢٥٣

١ — الشريعة الطبيعية والشريعة المكتوبة ٢٥٣

١ — الوصية الأولى ٢٥٤

٢ — الوصية الثانية ٢٥٤

٣ — الوصية الثالثة ٢٥٤

٤ — الوصية الرابعة ٢٥٤

٥ — الوصية الخامسة ٢٥٥

٦ — الوصية السادسة ٢٥٥

٧ — الوصية السابعة ٢٥٥

٨ — الوصية الثامنة ٢٥٥

٩ — الوصية التاسعة ٢٥٥

١٠ — الوصية العاشرة ٢٥٥

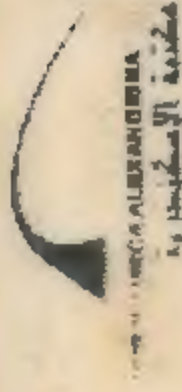
صفحة

٢٥٦	٢ - العهد الجديد
٢٥٦	هـ - الكنيسة
٢٥٦	١ - مدلول الكنيسة
٢٥٦	٢ - طقوس الكنيسة
٢٥٦	٣ - أسرار الكنيسة
٢٥٨	١ - سر المعمودية
٢٥٩	٢ - سر المسحة أو الميرون المقدس
٢٦٠	٣ - سر الأنخارستيا أو القربان المقدس
٢٦١	٤ - سر التوبة أو الاعتراف
٢٦٢	٥ - سر مسحة المرضى
٢٦٣	٦ - سر الزواج
٢٦٢	٧ - سر الكهنوت
٢٦٥	٤ - تقاليد الكنيسة
٢٦٥	أ - الصوم
٢٦٥	ب - الأعياد
٢٦٧	٥ - أوجه الاختلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى
٢٦٧	أ - أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية
٢٦٩	ب - أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية
٢٧٥	مراجع الكتاب

تصحیح الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٥	إحتوته	إحتوته
١٤	٨	بالمفية	بالمفية
١٥	١٠	اللعة	اللغة
١٥	١٥	باد	بادر
١٧	٧	كل القبط	القبط كل
٢٥	١٢	الميث	الميت
٢٩	٢٣	الآلهة	الآلهة
٣٢	٤	ما فتئت	ما فتئت
٤٤	٧	توحد	توجد
٥٥	٢	يدهب	يذهب
٦٢	٧	يستهرئون	يستهرئون
٦٨	٥	كفته	كتفه
٧٥	٩	أشروا	أشروا
٧٦	٢٠	يتراس	يتراس
٧٧	٥	إقامة	إقامة
١٠٧	٦	أحشائهم	أحشائهم
١٠٨	٢٢	نزهب	نزهب
١٢٤	١٤	حنكه	حنكة
١٢٥	٤	رأى مقتضيات	رأى من مقتضيات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٨	٢	وهراطقته	وهراطقته
١٣٠	١١	وكان وقد	وكان قد
١٣١	١٥	لا تقع	لا تقع
١٣٤	١٤	المؤوخ	المؤرخ
١٣٥	١١	قوة	قوة
١٥٣	١٢	نيقية	نيقية
١٧٣	٢٠	مكدونبوس	مكدونبوس
١٧٧	٢٢	الدقاع	الدفاع
١٧٧	٢٣	الأرتوذكسية	الأرتوذكسية
١٨٠	٦	إليه من في	إليه في
١٨٣	٤	حكها	حكهما
١٨٤	١٥	يمحوا	يمموا
١٨٦	١	الأثناس	الأثناس
١٨٦	٢	الضاربة	الضارية
١٨٩	٢١	هذه القديس	هذا القديس
١٩٦	١٧	الشهادة	الشهادة
١٩٧	٨	فأنبهم	فأنبهم
١٩٩	٨	وصيرت	وحيرت
٢١٨	٢٠	فيتنبه	فيتنبه
٢٢١	١٣	كثيراً	كثيراً
٢٣٥	٢٢	مساوياً في	مساوياً له في



Bibliotheca Alexandrina



0209193

٢٠